بيزنطة في الصراع

العثماني المغولي المملوكي

(١٣٦٣-١٤٠٢م/٧٦٥-٨٠٤هـ)

الطبعة الأولى
1445هـ - 2024م

اسم الكتـــاب: بيزنطة في الصراع العثماني المغولي المملوكي
المـــؤلـــف: محمد صبحي غازي الصعيدي
عدد الصفحات: 216
عدد المـــلازم: 13.5 ملزمة
مقاس الكتـاب: 17 x 24
عدد الطبعـات: الطبعة الأولى
الترقيم الدولي: ISBN:978-9921-815-56-6

القاهرة - جمهورية مصر العربية
٠١٠١٢٣٥٥٧١٤
٠١١٥٢٨٠٦٥٣٣
elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheermashr@gmail.com

جميع حقوق الطبع والنسخ والترجمة محفوظة لدار البشير للثقافة والعلوم، حسب قوانين الملكية الفكرية، ولا يجوز نسخ أو طبع أو اجتزاء أو إعادة نشر أية معلومات أو صور من هذا الكتاب إلا بإذن خطي من الناشر

بيزنطة في الصراع

العثماني المغولي المملوكي

(١٣٦٣-١٤٠٢م/٧٦٥-٨٠٤هـ)

إعداد

محمد صبحي غازي الصعيدي

تقديم

أ. د/ ياسر مصطفي عبد الوهاب

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

وكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث

جامعة كفر الشيخ

عضو مجلس إدارة إتحاد المؤرخين العرب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾[1]

صدق الله العظيم

1ـ سورة يوسف: الآية: 111

إهـداء

إهداءٌ لمن أناروا لنا دروبَ المعرفة، لمن بذلوا الغالي والنفيسَ من أجلِ العلم، لمن حملوا إلينا ذلك النور، وأوصلوه نقيًا لا تَشُوبه شائبةٌ.

إلى أصحابِ كتبِ التاريخ، وعلومِه في كل زمانٍ ومكان.

إلى والديّ الكريمين وزوجتي وأبنائي وإخواني.
إلى كلِّ صاحبِ فضلٍ عليّ بعد الله سبحانه أهدي هذا العمل المتواضع..
سائلًا الله أن يغفرَ لي الزللَ، وأن يتقبلَ جُهدَ المقلِّ المعترفِ بالتقصير.

الباحث

تقديم

يُسعِدُني أن أُقدمَ لجمهورِ القُرَّاء باحثًا متميزًا في تاريخِ العصورِ الوسطىٰ، هو الباحث/ محمد صبحي غازي الصعيدي ، حيث تُعَدُّ دراستُه الأكاديمية والتي تحملُ عنوانَ : بيزنطة في الصراع العثماني المغولي المملوكي (1402-1363م/ -765 804هـ) ، والتي كانت في الأصل رسالةَ ماجستير للباحث- شَرُفتُ بالإشرافِ عليها - وفيها حصل على تقديرٍ (ممتاز) مع التوصيةِ بطبعِ الرسالةِ على نفقةِ الجامعة وتبادلها مع الجامعاتِ المصريةِ والعربية.

ولا يَفوتُني في هذا المقامِ أنْ أؤكدَ على أنَّ الإشرافَ العلمي على الباحث أتى أُكُلَه جَليًّا على مُنجَزِه البحثيِّ وإبرازه وإظهاره بهذ الشكل الفريد، بعد أنْ نجحَ في تبويبِ كتابِه وتقسيمِ عناصِره ، ونجح إلى حدٍّ كبيرٍ في التوصُّلِ إلى نتائجَ جيدةٍ ، ومِن ثَمّ يَسُرُّني أن أقدمَ للقُراء والباحثينَ في تاريخِ العصورِ الوسطىٰ أُولىٰ الثمراتِ العلميةِ لهذا الباحثِ الواعِد ، وأسألُ اللهَ العليَّ القديرَ أنْ تكونَ هذه الدراسةُ فاتحةَ خيرٍ له؛ لإنتاجاتٍ خصبةٍ أخرى، والله الموفق والمستعان.

والله ولي التوفيق

أ. د/ ياسر مصطفي عبد الوهاب

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

وكيل كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث
جامعة كفر الشيخ

عضو مجلس إدارة إتحاد المؤرخين العرب

مقدمة

شـهد التاريخ الوسـيط خـلال النصف الثانـى من القـرن الثالث عشـر الميلادي / الثامن الهجرى أحداثاً مُهمة، أسفرت فى نهايتها عن حدوثِ تغيراتٍ سياسيةٍ عديدة، بعـد أن تأثرت موازين القوى الدولية وأنماط التفاعلات فى الشـرق والغرب بالهجمةِ المغوليـة الثانيـة، والتى تزامنـت مع وصول المماليك للحكم في مصر وبلاد الشـام، بالإضافة إلى اكتمال قوة العثمانيين، بعد أن أصبحوا قوةً نشـطة وفاعلة، ليصبحوا إلى جانب المماليك الفاعل الإسـلامى الثانى على السـاحة الدولية، وهو ما تزامن كذلك مع اقتراب نهاية الدولة البيزنطية التى استمر ثِقلُها السياسـى والحضارى حاضراً بقوة طوال ما يقرب من عشـرة قرون من الزمان، ومع ازدياد الخطر المغولي، ظهرت فكرة التحالفات الثنائية بين القوى الموجودة بل واشتد الصراع السياسي والعسكري بينهما في تلك الفترة أيضا .

لذلـك كان اتجـاه الباحث إلى اختيـار موضوع هذا العمل، وهو بعنـوان " بيزنطة في الصـراع العثمانـي المغولـى المملوكـي ؛ وذلك في الفترة التي تبدأ بإسـتيلاء السـلطان العثمانـى مـراد الأول 1359-1389 Murad I م / 761_791 هـ على مدينـة فيليبوبوليـس Philippopolis ثم الاسـتيلاء على أدرنـة Adrianople – ثانى أكبر المدن البيزنطية بعد القسـطنطينية – ليتم نقـل العاصمة العثمانية إليها في عام 1365 / 766 هـ ليظهر التهديد العثماني لبيزنطة بشـكل خطيـر، وتزامن ذلك مع خروج القائد المغولـي تيمورلنـك Tamerlan من وسـط آسـيا بعد مرحلة شـهدت تشـتت شـمل المغول، وانقسامهم إلى ممالك عدة، فقرر التحرك غربا، طامعاً في تأسيس إمبراطورية كبرى على غرار إمبراطورية جنكيزخان . فنجح في سـنوات قليلة فيما بين أعوام 1380 – 1386 م / 781-788 هـ فى مهاجمة شمال بلاد فارس وشرقها، وأخضع معظمها،

جاعلا من مدينة سمرقند عاصمة لدولته، ثم واصل مهاجمته لعدة مدن هامة مثل الرها وملطية، وآمد وسيواس، وهى مدن اعتبرها كل من العاهلين العثماني والمملوكي خاضعة لنفوذهما، لتبدأ بين الأطراف الأربعة مرحلة من الصراعات السياسية والعسكرية وتلاها تحالفات ثنائية، لذلك تعد الدراسة من الموضوعات المهمة التي تجذب انتباه الدارسين في مجال العصور الوسطى، خاصة في هذه الفترة التي تتداخل أحداثها في كثير من الأحيان وتتشابك، وأيضا الدراسة تحظى بأهمية خاصة، نظرًا لخلو المكتبة التاريخية من مؤلفات قائمة بذاتها في هذا الموضوع.

أما عن الحدود الزمنية للدراسة: فهي الفترة التي تبدأ بسقوط أحد المعاقل البيزنطية الهامة وهى مدينة فليبوبوليس Philippopolis، في ذروة حكم أسرة باليولوجوس، وتنتهي الدراسة بعام 1402م / 804هـ وهو عام وقوع معركة أنقرة وتغير ميزان القوى في شرق العالم في عالم العصور الوسطى.

أما فيما يخص الدراسات السابقة، فقد عرف عن هذه الفترة موضوع الدراسة أنها تُعَدُّ من الفترات الهامة في تاريخ بيزنطة، بل والعالم في العصر الوسيط فقد كان هناك تغير واضح في السياسة الخارجية لبيزنطة أمْلَته الظروف، وتخلى البيزنطيون عن موقف الدفاع إلى موقف الهجوم، وبينما حَظِيَتْ الكتابات عن السياسة الخارجية والداخلية لبيزنطة باهتمامِ كثيرٍ من المؤرخين الحديثين وطلاب الدراسات العليا في العالم العربي، إلا أنه لم تحظَ دراسة بيزنطة، وعلاقتها بالقوى الأم المجاورة لها في الشرق الإسلامي في ذلك الوقت إلا باهتمام عددٍ محدودٍ من المؤرخين الحديثين، وتعتبر أعمالهم هي الدراسات السابقة على موضوع الدراسة، ومنهم دراسة ياسر مصطفى عبد الوهاب بعنوان: "محاولات التحالف العثماني المملوكي ضد المغول وأثره على بيزنطة (1388-1402م)"[1]،ومؤلف صلاح ضبيع وهو بعنوان: "العلاقات السياسية

1_ ياسر مصطفى عبد الوهاب : "محاولات التحالف العثمانى المملوكى ضد المغول وأثره على بيزنطه، (1388-1402م)"، بحث منشور فى المؤتمر الدولى الخامس (العرب والترك عبر العصور)، كليه الآداب، جامعه قناه السويس، مارس 2013م، ص 798-818

بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية في عهد آل باليولوجوس"[1]، ورسالة إبراهيم مصباح عبد القوي بعنوان: "السياسة الخارجية للدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور حنا الخامس باليولوجس(1391-1341م)" [2]، ودراسة محمد عبد النعيم وهي بعنوان" مذابح تيمورلنك ضد المسلمين في بلاد الشام سنة 803هـ/ 1401-1400م دوافعها وأحداثها ونتائجها[3] لكن رغم أن هذه الدراسات بما أثارته من قضايا تاريخية تخدم الموضوع في بعض جوانبه وتساعد على إجلاء الغموض الذي يشوب هذه الجوانب، فإنها ليست نهاية المطاف لأنها تعالج نقاط محدودة.

أما عن المنهج المتبع في هذا العمل فهو يتم وفقا للمنهج العلمي ومراعاة التسلسل الزمني الموضوعي لموضوع البحث.

فيما يخص التبويب العام للكتاب فقد وضعت مقدمة له وأعقبتها عرضًا لأهم مصادر الدراسة التي استفدت منها، وقسمت الكتاب إلى أربعة فصول، فالفصل الأول جاء بعنوان : بيزنطة والقوى المجاورة في الشرق منذ سقوط مدينة فليبوبوليس حتى ظهور تيمورلنك (1363 - 1373م)، وفيه نبدأ بنبذه عن الموقف في بيزنطة وكذلك القوى المجاورة لها في الشرق الإسلامي خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، استيلاء العثمانيين على واحدة من أهم المدن البيزنطية وهي فليبوبوليس في عام 1363م/ 765هـ، وبداية التهديد الفعلي لبيزنطة، وفي الوقت نفسه الحديث عن تدهور الدولة المملوكية وأثره على علاقتها ببيزنطة، وأخيرا ظهور تيمورلنك على مسرح الأحداث وإحياء القوة المغولية، وأثر ذلك على الوضع في المنطقة.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان : بيزنطة بين التدخل العثماني في مشاكلها الداخلية

1_ صلاح ضبيع : العلاقات السياسيه بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية فى عهد آل باليولوجوس، المكتب العربى للمعارف، الطبعة الأولى، القاهره، 2009م .

2_ إبراهيم مصباح عبد القوي بعنوان: السياسة الخارجية للدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور حنا الخامس باليولوجس(1341-1391م)، رسالة دكتوراة لم تنشر بعد، كلية الاداب جامعة طنطا،2011م.

3_ محمد عبد النعيم عبده :" مذابح تيمورلنك ضد المسلمين في بلاد الشام سنة 803هـ/ 1400-1401م دوافعها واحداثها ونتائجها، حوليات المؤرخ المصري،ابريل 2016م،ص9-127 .

والتحالفات الدولية ضد الخطر المغولي (1393-1373م/ 795-775هـ)، وفيه نتحدث عن مشاكل العرش البيزنطي وتدخل السلطان العثماني مراد في الصراعات الداخلية، ثم محاولات التحالف المملوكي العثماني ضد المغول، وأثرها على بيزنطة 1388 1391-م/ 792-790هـ، ومن جانب أخر اشتدت خطوره المغول باستيلاء زعيمهم تيمور لنك على مدينة بغداد في 1393م/ 795هـ ومعاودة فكرة التحالف العثماني المملوكي، مع محاولات استمرار العثمانيين في إضعاف بيزنطة والتدخل في شئونها الداخلية.

وفيما يخص الفصل الثالث، والذي جاء بعنوان: حصار القسطنطينية وصراع القوى في المشرق الإسلامي (1399-1393م/ 795 - 802هـ)، ونبدأ فيه بالحديث عن بداية الحصار العثماني للقسطنطينية عام 1394م/ 796 هـ، ثم معركة نيقوبوليس وأثرها على القوى في المنطقة 1396م/ 798 هـ، والتحالف العثماني المملوكي ضد الخطر المغولي عام 1397م/ 799هـ ويلي ذلك حملة المارشال الفرنسي بوسيكو لفك الحصار العثماني عن القسطنطينية، وموقف تيمورلنك من ذلك1399م/ 801هـ، وسفارة بيزنطية لتيمورلنك تدعوه للتحالف والتصدي للخطر العثماني1399م/ 802هـ، وكيف قرر الإمبراطور مانويل الثاني التوجه نحو الغرب الأوروبي أواخر عام 1399م/ 802هـ.

والفصل الرابع بعنوان: بيزنطة في الصراع العثماني المغولي المملوكي (1402-1399م/ 804-801هـ) ونبدأ بالحديث عن رحلة مانويل لطلب المساعدة من الغرب الأوروبي وأثرها على الصراع الدائر في المنطقة 1399م/ 801هـ، وفي الوقت نفسه فشل المحاولة الأخيرة للتحالف العثماني المملوكي واستيلاء تيمورلنك على دمشق ومعظم بلاد الشام 1401م/ 803هـ، وسفارة الإمبراطور مانويل إلى تيمورلنك عارضا عليه القدوم لمساعدة القسطنطينية ومن ثم تسليم المدينة له، وانسحاب العثمانيين من أمام القسطنطينية، وأخيرا معركة أنقرة Ankara عام 1402م/ 804هـ وأثرها على بيزنطة والقوي الإسلامية.

وقـد جـاءت الخاتمـة لتعرض القضايـا الجديـدة التي أثارتهـا الدراسـة، والتي تم التوصل إليها من خلاله، والتزام الدراسـة بالطريقـة العلمية وتحري أقصى طرق الدقة في اسـتقصاء المعلومات التاريخية بدون ميول شـخصية أو اندفاعات لمحاولة إثبات رأي واحد، بل كان هدف الدراسـة تحري الرأي الأقرب والأكثر تفصيلا، وتذييل هذا الرأي باستنتاجات ووقائع وأدلة، وهذا ما يحاول إثباته في الدراسات التاريخية.

ويجـب علـيَّ أن أوضح أمرًا وهو إنْ شـابَ هذا العمل ضربٌ، مـن التقصير، وهو كذلك كسـائر أعمال البشـر، فذاك مما سـاقه اجتهادي إليه، وإن هديت فيه بتوفيق الله إلـي ماكنـت أطمح إليه، فـذاك من فضل ربي على، والله أسـال أن يوفقنـي إلى ما فيه الخير وصلى الله على سيدنا محمدا وآله وصحبه أجمعين.

كتبه/ محمد صبحي الصعيدي

مصر 1445هـ - 2024م

عرض لمصادر موضوع الدراسة

اولا: المصادر البيزنطية

ثانيا: المصادر العثمانية

ثالثا: المصادر العربية

لما كانت الدراسة تتعلق بالعديد من الأحداث الهامة ، والتي درات أواخر العصور الوسطى، وتحديدا من الفترة (1363 – 1402م/ 765 – 804هـ)، كان لزامًا على الباحث الرجوع إلى العديد من المصادر سواء المعاصرة أو المتأخرة زمنياً عن موضوع الدراسة، وتحتم على الباحث عرض مختلف الآراء والروايات والأسانيد، ومقارنتها بعضها البعض، وقد رعينا فى هذه المصادر الرجوع إلى أهمها، مع مراعاة الترتيب الزمنى لها، وهذه الصفحات رؤية عامة عن أهم المصادر التي استخدمت في عمل هذه الدراسة، وليس عرضاً لكل المصادر، والغرض الأساسي أن نبين ما قدمته تلك المصادر من مادة تاريخية لهذه الدراسة للخروج الى النور، وسيعرض الباحث فيما يلى صفحاتٍ بعضاً منها.

أولا: المصادر البيزنطية:

حنا كانتاكيوزين John VI Cantacuzenus

مـن أهم المصادر البيزنطية التي أفادت الدراسـة ما دونَّـه الإمبراطور والمؤرخ حنا السـادس كانتاكيوزين (١٣٤٧-١٣٥٤م)، وخاصة الفصل الأول في مؤلفه الذي جاء بعنـوان Historiarum [1]، حيـث كتب تاريخًا يبدأ بعـام ١٣٢٠م يروي فيه الصراع الـذي قام بين أندرونيقـوس الثاني وحفيـده أندرونيقوس الثالث، بينمـا ينتهي تاريخه ١٣٦٢م، وقد شهِدتْ تلك الفترة ضياعَ الممتلكات البيزنطية في آسيا الصغرى لصالح الأتراك العثمانيين، وبداية مهاجمتهم لأوروبا ويعتبر حنا كانتاكيوزين من أهم العوامل التـي أدت إلى تدهـور أحوال الإمبراطوريـة البيزنطية خلال النصـف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي. [2]

يتكـون مؤلـف كانتاكيوزيـن مـن أربعـة كتب، يشـمل الكتـاب الأول علـى تاريخ الحـرب الأهلية في الإمبراطوريـة البيزنطية خلال الفترة مـن ١٣٢٠-١٣٢٨م [3]، أما الكتـاب الثاني فيبدأ بعزل أندرونيقوس الثاني عـام ١٣٢٨م من الحكم على يد حفيده أندرونيقـوس الثالـث الـذي حكـم حتى عـام ١٣٤١م، وهو العـام الـذي اندلعت فيه الحربُ الأهلية بين كانتاكيوزين نفسـه وبين الإمبراطور حنا الخامس بن أندرونيقوس الثالـث [4]، أما الكتاب الثالث فاشـتمل على الفترة ما بيـن ١٣٤١-١٣٤٧م وهي فترة

1_Cantacuzenus,J.,Historiarum,C.S.H.B.، ed.by Byschopen,Vol.III,Bonnes,1828، Eng. Trans the history of John Cantacuzcnus,(BookIV):Text,Translation,and Commentary، ed. by.Miller، T.,u.s.a,1975.

2_ حمـد زايـد عبـد الله: مصادر تاريخ العصور الوسـطى "التاريـخ البيزنطى"، مصر العربية للنـشر والتوزيع، القاهرة 2015م، ص70.

3_ Cantacuzenus,J.,Historiarum,Vo1.I,PP.6-306.

4_ Cantacuzenus,J.,Historiarum,Vo1. PP.310-560.

الحرب الأهلية بين الطرفين والتي انتهت بانفراد حنا كانتاكيوزين بعرش الإمبراطورية البيزنطيـة في فبرايـر ١٣٤١م [1]، وأخيـرًا الكتاب الرابع الذي اشـتمل على فترة حكم الإمبراطور حنا السـادس كانتاكيوزين (١٣٤٧-١٣٥٤م)حتـى تنازله عن الحكم عام ١٣٥٤م وأمتد هذا الكتاب حتى عام ١٣٦٢م. [2]

يعتبـر هـذا الكتاب أشـبه بالمذكرات السياسـية حيث بدأ الكتاب مـن عام 1320م إلـى عام 1354م، وهو العام الذي اعتزل فيه كانتاكيوزين الحياة السياسـية وانتقل إلى التفرغ للحياة الدينية في الدير، وتميز أسـلوب كانتاكيوزين بالبسـاطة وعدم اسـتخدام الأسـاليب المعقدة، ويعد من أبرز الرجال في تاريـخ الإمبراطورية البيزنطية وعلاقتها الخارجية خاصة في النصف الأول من القرن الرابع عشـر، فقد لعب كانتاكيوزين دوراً هاماً في الحياة السياسية البيزنطية في تلك الفترة. [3]

يعد كانتاكيوزين شـاهد عيان على بعض الأحداث في العلاقات البيزنطية العثمانية خـلال الفتـرة الزمنيـة التي سـبقت عـام 1363م، والتـي تعد فتـرة هامة عـن التمهيد للأحداث التي ربطت بيزنطة بالعثمانيين، فقد سـلط الضوء على عملية دخوله للقصر الإمبراطوري في فبراير 1347م، وكيف أجبر الإمبراطورة آنا على توقيع اتفاقية صلح فـي الثامـن مـن فبراير 1347م والتـي كان من أهم شـروطها الاعتراف بحنا السـادس كانتاكيوزيـن John VI Cantacuzenus كإمبراطـور مشـارك فـي الحكـم لحنـا الخامـس باليولوجوس وزواج الأخير والذي كان عمره خمسـة عشـر عاماً من هيلانه (هيلين Helen) ابنه كانتاكيوزين[4]، وانفرد كانتاكيوزين بذكر تفاصيل لقائه مع صهره السـلطان العثمانـي أورخـان وزوجتـه ثيـودورا وجميع أسـرته على الشـاطئ المقابل للعاصمة في سكوتاري Skutri على الجانب الآسيوي من البوسفور Bosporos. [5]

1_ Cantacuzenus,J.,Historiarum,Vo1.II,pp.11-615.

2_ Cantacuzenus,J.,Historiarum,Vo1.III,PP.8-365.

3_ Cantacuzenus,J.,Historiarum,Vo1.III,P284.

4_ Cantacuzenus,J.,Historiarum,Vo1.II,PP.11-615

5 _ Cantacuzenus,J.,Historiarum,Vo1.II,PP.591-596;Vol.III,PP29-30.

أوضح كانتاكيوزين الكثير من التفاصيل الدقيقة حول العلاقات البيزنطية العثمانية، مثل ذكر القوة العسكرية التي أرسلها السلطان العثماني والتي كان قوامها خمسة آلاف جندي لمساعدة كانتاكيوزين في صراعه على العرش في نفس العام 1345م، كما أفاض بالمعلومات عن زواج ابنته ثيودورا Theodora من السلطان العثماني أورخان الأول (1326-1359م)، والذي أقيم عرسها في سيليمبريا على الجانب الأوربي من بحر مرمرة في شهر يونيو عام 1346م بناءً على رغبته.[1] وتحدث كانتاكيوزين عن تفاصيل تنازله عن الحكم لحنا الخامس والانسحاب من الحياة السياسية في العاشر من ديسمبر عام 1354م ودخل دير القديس جورج St. Gcorge كراهب[2].

نقفور جريجوراس Nicephorus Gregoras

يعد مؤلَّفُ المؤرخِ نقفور جريجوراس والذي جاء تحت عنوان التاريخ البيزنطي Byzantinae Historiae[3] مرجعًا هامًا، وقد وضعه في سبعة وثلاثين فصًلا،

1_ Cantacuzenus,J.,Historiarum,Vo1.II,P260.

2_ Cantacuzenus، J.,Historiarum,Vol.III,P.284;CF.also: Neville,L.,Guide to Byzantine Historical Writing,Cambridge,United Kindom,2018,P.26

3_ ولد نقفور جريجوراس بين عامي 1290-1291م بمدينة هرقليا Herakleia وكان يتيم الأب، وذهب إلى مدينة القسطنطينية لدراسة علم اللاهوت في دير خورا Chora وهو في سن الخامسة عشر، وكلفه عمه يوحنا أسقف هرقليا بونتس Herakleia ponti بإقليم فلاجونية وقام بترتيبه ورعايته، كان جريجوراس قد تتلمذ على يد لثيودور ميتوخيتس وعمل كمبعوث للإمبراطور باعتباره أديبا وعالما متعدد المواهب والثقافات، ولقد ذاع صيته في النصف الأول من القرن الرابع عشر وأتقن اللغة اليونانية الكلاسيكية وبرع في اللاهوت والفلسفة والتاريخ والرياضيات والفلك متنبئًا بكسوف الشمس عدة مرات قبل حدوثه، ووضع تقويما جديدا بدلا من التقويم الجولياني، تزعم حركة معارضه ضد اللاهوت المعروف Esychasm بالصورة التي شرحها بها جريجوراس بالاماس وصدر عليه قرار الحرمان عام 1351 م خاصه بعد رفضه أن يصبح بطريركا، فظل حبيس ديرخورا بالقسطنطينية مع أنصار بالاماس فانصرف إلى الكتابة والتأليف في مجالات البلاغة وتراجم القديسين، ولم يفرج عنه إلا بعد إعتلاء حنا الخامس العرش البيزنطي وفي عام 1361 م توفى جريجوراس. انظر:

Gregoras,N.,Byzantinae Historiae، CSHB، ed.by. Ludwig. Schopeni، Bekker,3Vo1s,I. Bonnae ,1829,P.182;CF.also: O.D.B.,The Oxford Dictionary of By Zantium,Vo1.2، New York ,Oxford,1991 PP.874 -875.

انظر أيضا: دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ترجمة وتعليق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2003م، ص 275

يتنـاول الجـزء الأول منه الحوادث التاريخية التي جرت فـي عهد الإمبراطور ميخائيل الثامـن باليولوجـوس وابنه أندرونيقوس الثاني ويركز اهتمامـه على النصف الثاني من حكم الإمبراطور أندرونيقوس الثاني ومن بعده حكم الإمبراطور أندرونيقوس الثالث أي تنـاول فيـه التاريـخ البيزنطـي الممتد مـن الفتـرة 1204 الـى 1320م باختصار ثم بالتفصيل توسع في الفترة بين عامي 1321 م الى عام ١٣٥٩م.[1]

وتحـدث عـن زواج السـلطان العثماني أورخان مـن ابنة حنـا كانتاكيوزين ثيودورا Theodora فـي صيـف عـام 1346 م وتنـاول تفاصيـل دخـول حنـا كانتاكيوزيـن للقسـطنطينية عام 1347 م وتوليه الحكم، ثـم أورد العديد من المعلومات عن علاقته بالسـلطان العثماني حتى تنازلـه عن العرش البيزنطي[2] وعلى أية حال فقد اسـتفادت الدراسـة كثيـرًا مـن المـادة العلميـة التـي أوردهـا كل مـن حنـا كانتاكيوزيـن ونقفور جريجـوراس فـي الفصـل الأول مـن الدراسـة، والـذي تناول علاقـة بيزنطـة بالقوى المجاورة لها في الشرق، وخاصة العثمانيين قبيل عام 1363م.

بيتر خارانيس Peter charanis

تعد حولية مختصرة في القرن الرابع عشر An Important short chronicle of the fourteenth century وهي مجهولة المؤلف، وقام بنشرها بيترخارانتيس فـي مجلة الدراسـات البيزنطية، العدد الثالث عشـر (بروكسـل) 1938 م (وقد غطت هذه الحولية الفترة من سـنة 1204 م الى 1391م)، وانفرد بذكر التاريخ الذي أبرمت فيه المعاهدة التي تمت بين الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس والسلطان العثماني مراد الأول عام 1372م [3].

1_ ناهـد صالح: السياسـة الخارجية للدولـة البيزنطية في عهد الإمبراطـور أندرنيقوس الثـاني باليولوجوس (1282-1328م)، رسـالة دكتوراه غير منشـورة، كلية الاداب- جامعة القاهـرة 1999م، ص13-12؛ محمد زايد عبد الله :مصادر تاريخ العصور الوسطي التاريخ البيزنطي،ص69.

2_ Gregoras,N.,Byzantinae Historiae,Vol. III,PP.241

3_ Charanis,P.,"An Important Short Chronicle of Fourteenth Century"In Byzantion,Vol.XIII، Bruxelles,1938,P.293

انفردت الحولية أيضا بالعديد من التفاصيل عن فتره حكم الإمبراطور أندرونيقوس الرابع باليولوجوس Andronicus Iv Paleologos والتنازلات التي قدمها من أجل الانفراد بالعرش، وعن فترة حكمه التي لم تتجاوز الثلاث سنوات، وقيام العثمانيين بإطاحته من العرش البيزنطي، ورفض البنادقة الاعتراف به حاكمًا على القسطنطينية[1]، وكذلك بذكر نصوص الاتفاقية التي تمت بين السلطان بايزيد الأول وبين الإمبراطور البيزنطي حنا السابع من أجل مساعدته في استعادة عرش القسطنطينية مرة أخرى في عام 1390م[2]. وقد أفاضت الحولية في الحديث عن محاولة مانويل الثاني إعلانه تحدي السلطان مراد الأول وفشل تلك المحاولة [3]، في حين أوجزت عن موقف الإمبراطور البيزنطي من تهديدات السلطان بايزيد الأول له في عام 1391م[4]

الجدير بالذكر، أن الحولية إما أن تكون كُتبت حوالي نهاية القرن الرابع عشر أو بداية القرن الخامس عشر وتكمُن أهميتها في ذكرها التواريخ بإتقانٍ شديد، بصورة قلَّما وجدت في مصدر آخر معاصر، وتم الاستفادة منها في الوقوف على طبيعة العلاقات البيزنطية العثمانية، والتدخل العثماني في شئون البلاط البيزنطي، وأثر ذلك على الأحداث في المنطقة.

ميخائيل دوكاس Michael Doukas

من المصادر البيزنطية الهامة وجاء تحت عنوان " انحدار وسقوط بيزنطة في أيدي الأتراك العثمانيين Decline and fall of Byzantium to the ottoman Turks" [5]، نظرا لمعاصرة مؤلفه للعديد من الأحداث [6]. وترجع أهميته في تتبعه

1_ انظر الفصل الثاني من الدراسة.

2_ Charanis,P.,"An Important Short Chronicle of The Fourteengh Century",PP.355-356

3_ Charanis,P.,"An Important Short Chronicle of Fourteenth Century,P.351

4_ Charanis,P.,"An Important Short Chronicle of Fourteenth Century,P.356

5_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,Tr. From"Historia Turco-Byzantion"، by Harry J. Magoulias، wayne state university، 1975. .

6_ ولد ميخائيل دوكاس في آسيا الصغرى عام ١٤٠٠م وهو يوناني لم يعرف اسمه الحقيقي، ولكن طبقا للعادات البيزنطية فقد أخذ اسم جده ميخائيل دوكاس، كان جده من أنصار الإمبراطور حنا كانتاكيوزين John VI

للعلاقات البيزنطية العثمانية لفترات سابقة قبيل الفتح العثماني للقسطنطينية عام 1453م، فانفرد بالعديد من الفصول داخل كتابه للحديث عن الأحوال العثمانية الداخلية حتى حصار القسطنطينية [1]، وفضلا عن ذلك فقد أخذ معلوماته من شهود عيان من الطرفين العثماني والبيزنطي.[2] لمعرفته باللغات اليونانية والإيطالية؛ لخدمته في البلاط الجنوي، وكذلك التركية لاحتكاكه بالأتراك السلاجقة في إفسوس التي مكنته من كتابة الأحداث بشكل جيد، ومن مصادرها الأصلية أيا كان لغتها، وقد ألف دوكاس هذا الكتاب محدِّدًا تاريخا دقيقا للفترة الواقعة ما بين 1341 –1462 م في خمسة وأربعين فصلا بناءً على رغبةِ أحد الرهبان مستعرضًا العلاقات الخارجية للإمبراطورية البيزنطية مع العثمانيين، فقد بدأ تاريخه بمقدمة قصيرة تشبه الحوليات، بدأت من آدم (عليه السلام)، وقد تضمنت الفصل الأول والثاني، وفى الفصول من الثالث حتى الثاني عشر تحدث عن الصراع بين البيزنطيين على العرش.[3]

أما فيما يخص ما دونه عن دراستنا، فقد تحدث دوكاس بشكل سريع عن إصدار

Cantacuzenus (١٣٤١-١٣٥٥م) وسجن أثناء الحرب الأهلية، وعندما هاجم السجناء الدوق الكبير ألكسيوس أبوكافكوس Alexis Apokavokos للقسطنطينية تم إعدام جميع السجناء، ماعدا ستة منهم كان من بينهم الجد دوكاس الذي فر هاربا إلى إفسوس Ephesus متنكراً في زي راهب وبقي في حماية وعطف الأمير التركي عيسي بك أمير أيدين Aydin، وفي عام ١٤٢١م انتقل دوكاس للعيش في فوكايا الجديدة Nea Phakaia، وعمل سكرتيرا في خدمة البودستا الجنوي جيوفاني ادورنو Giovanni Adorno، ورحل دوكاس إلي ليسبوس الأكثر ثَراءً وانضم إلي خدمة أسرة جاتيلوزيو Gattilusio، وفي عام ١٤٥١م ذهب إلي أدريانوبل (أدرنة) في مهمة من المحتمل أنه كان شاهد عيان على الاختبارات الأولية للمدفع الوحشي الذي أطلقه مؤسسه المهندس المجري أوربان Orban، وفي عام ١٤٥٢م كان في مدينة ديموتيقية وشاهد مقتل ربان الأسطول البندقي وباقي بحَّارته على أيدي السلطان محمد الثاني، وفي أغسطس ١٤٥٥م وصل إلي أدريانوبل لتسليم الجزية للسلطان محمد الثاني نيابة عن حاكم ليسبوس، وعندما أرسل السلطان محمد الثاني أسطوله إلي جزيرة ليسبوس في سبتمبر سنة ١٤٦٢م كان دوكاس قد وقع في الأسر، وقيل أنه مات عندما اجتاحت القوات العثمانية مدينة ميتيلين Mytilene، لمزيد من التفاصيل، انظر:

ج. ر.جونز:الفتح العثماني للقسطنطينية (857هـ-١٤٥٣م) سبعة مصادر معاصرة، دراسة وترجمة وتعليق حاتم عبد الرحمن الطحاوي، دارعين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،٢٠٢١م،ص٩٠.

1 جونز: الفتح العثماني للقسطنطينية، ص90.

2_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.29 .

3 محمد زايد عبد الله :مصادر تاريخ العصور الوسطي" التاريخ البيزنطي "، ص٧٣.

آنـا أوف سـافواى Anna of Savoy – الوصيـة علـى العـرش – لمرسـوم تعلن فيه حنـا كانتاكيوزيـن متمردًا، ثم تحدث عن لقاء حنا مع الملك الصربي سـتيفان دوشـان Stephen Dusan(1331-1355م) لمسـاعدته فـي حربـه الأهليـة ضـد مجلس الأوصياء، وتحدث عن أن السلطان العثماني أرسل قوةً عسكرية لمساعدة كانتاكيوزين فـي صراعـه على العـرش ولكنه لم يعـطِ لنا تفاصيل كثيـرة.[1] من جانـب أخر، عندما أشـار دوكاس عن تخلي العثمانيين عن مسـاندة حنا كانتاكيوزيـن والتخلي عن عرش القسطنطينية في نهاية الأمر عام 1354م، لم يوضح لنا أسباب ذلك [2].

من الملاحظ أنه بداية من الفصل الثالث عشر من مؤلف ميخائيل دوكاس، كانت الأحداث أكثر تفصيلًا عن القوى المتواجدة بجوار بيزنطة، وتحديدًا منذ عام 1389م، فقـد أشـار لدور العثمانيين في الحـرب الأهلية البيزنطية، كما أفـاض في الحديث عن ثورة الأمير العثماني سـاووجي Sawgi مع أندرونيقوس الرابع ضد أبويهما السـلطان مراد والإمبراطور حنا الخامس، ثم واصل الحديث عن الصراع على العرش البيزنطي بيـن أندرونيقـوس الرابع ضد والـده حنا الخامـس ودور العثمانيين فيـه[3]، كما روى طبيعة العلاقات بين حنا الخامس والسـلطان بايزيد الأول، ثم العلاقات بين السـلطان بايزيـد الأول والإمبراطور مانويل الثاني منذ توليته العرش البيزنطي سـنة 1391م بعد وفـاة والده، كما ذكر حصار بايزيد للقسـطنطينية، وسـرد دوكاس أيضا علاقات بايزيد بحنا السـابع، وأشـار إلى عودة الإمبراطور مانويل الثاني باليولوجوس من رحلته إلي الغرب الأوروبي إلى القسطنطينية، ودور بيزنطة في الحرب الأهلية العثمانية بعد وفاة السـلطان بايزيد عقب معركة أنقرة في عـام 1402م، وكذلك ذكر المعاهدة البيزنطية العثمانية سنة 1403 م [4]

من جانب أخر يرى الباحث أن دوكاس يؤخذ على أن روايته في الغالب مبالغ فيها

---

1 انظر: الفصل الأول من الكتاب.

2 _ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP.77-78

3_ Doukas,M.، Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks,pp.79-80.

4_ انظر: الفصل الرابع من الكتاب..

؛لأنـه لم يتحر الدقة أحيانـا في نقل المعلومات التاريخية فـي الأحداث وأنه ذكرها من باب التعصب لأمته، حيث إنه أخطأ في ذكر بناء قلعة أناضولي حصار ونسـب تأسيسها للسـلطان مـراد، إذ أن السـلطان العثمانـي بايزيد الأول هـو الذي قام ببنـاء تلك القلعة المعروفة باسم قلعة أناضولي حصار Anadolu Hisar على ضفة البوسفور [1].

وفـي حقيقـة الأمر، يعـد مؤلَّـف دوكاس جديرًا بالدراسـة والتحليـل ؛ لأنه مؤرخٌ معاصـرٌ لتلك الفترة وشـاهدُ عيانٍ على معظـم الأحداث، ويرى بعـض المؤرخين أن المسـاحة الواسـعة التي أعطاها للعثمانيين في كتابه أسـاءت كثيرًا لهذا الكتاب، وظهر فيمـا دونـه بالنزعة الدينية وقد نسـب انتصارات العثمانيين إلى ذنوب المسـيحين وأن مدينة القسـطنطينية ضاعت بسـبب غضب الرب، وقد اعتمد المؤرخ ميخائيل دوكاس أسلوبًا معروفًا في الكتابات التاريخية في فترة العصور الوسطى، فنجد دوكاس يحاول إيجـاد مشـابهة تاريخية بين السـلطان محمد الفاتـح وبين الملك نبوخـذ نصر وما بين القسـطنطينية وأورشـليم، وهو أسلوب المشـابهة بين الأحداث التاريخية التي تجري للبيزنطيين وتلك الأحداث التي جرت لليهود والتي ذكرت في العهد القديم. [2]

جورج سفرانتزيس George Sprantzes

يعـد جـورج سـفرانتزيس أحـد المؤرخيـن البيزنطييـن الذيـن يطلق عليهم شـهود عيـان، نظـرًا لمعاصرتهم لما شـهدته الإمبراطوريـة وعلاقتها مـع العثمانيين، علاوة علـى معاصرتـه للأحـداث، فقد ذكر عن نفسـه أنه خـدم آخر ثلاث أباطـرة من عائلة

---

1 يظهـر ذلـك أيضا في ذكره لقرائه بسـمو الأصل البيزنطي(الروماني) على الجنس العثـماني (الشرير) ؛ويتضح ذلك في وصفه للمعركة التي حدثت بين حنا كانتاكوزنيوس والعثمانيين في عام 1346 م، وأن كانتاكوزنيوس ورجاله الذين امتـازوا بالإقـدام والبسـالة التي ظهرت روحـا قتالية مرتفعة ومهارات عسـكرية عالية، ووقـع الكثير من الأسرى مـن الطرفين، أمـا عن الأسرى العثمانيين فقد قتلـوا جمعيًا في حين أن الأسرى البيزنطيين تم تجريدهم من ملابسـهم وأسلحتهم، وسمح لهم بمغادرة المكان إلى وطنهم عُزل وعَرايا، انظر:
Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks، PP. 72,83-86.

2 جونز: الفتح العثماني للقسطنطينية، ص234-293.

باليولوجوس من عام1413م إلي 1477م، حيث إنه دخل في خدمة الإمبراطور مانويل الثاني باليولوجوس(1425-1391م) والإمبراطور حنا الثامن(-1425 1448م) والامبراطور قسطنطين الحادي عشر(1453-1449م)[1]

أما عن مؤلَّفه الحوليات Annales(1477-1259م)[2]، فيبدأ بمقدمة موجزة فيها يقدم المؤلف نفسه ويستشهد بسنة ولادته ويناقش الوضع السياسي والمادي للعثمانيين والإمبراطورية خلال طفولته ثم ينتقل سريعًا إلي الأحداث التي يتذكرها شخصيًا منذ البداية 1413م، ثم تنتقل قصته إلي عام 1477م وتتضمن الحوليات الأحداث في عائلة سفرانتزيس وكذلك الأحداث الكبري منذ كان دبلوماسيًا مشاركًا في العديد من الأحداث السياسية في عصره.[3] اعتمد سفرانتزيس الكتابة بأسلوب سهل وبسيط، وقد ألف كتابه باللغة اليونانية العامية مما أعطي لكتابه أهمية كبرى على عكس الكتب المدونة باللغة الكلاسيكية اليونانية في القرن

1_ ولد سفرانتزيس في مدينة القسطنطينية عام 1401 م،وكان والده معلم توماس باليولوجوس بن الإمبراطور مانويل الثاني وأصبح سفرانتزيس أحد الخدم الشخصيين للإمبراطور مانويل الثاني 1418م،كما أنه أرسل في بعثة دبلوماسية للسلطان مراد الثاني 1423م ودخل في خدمه الإمبراطور مانويل الثاني باليولوجوس وهو في سن السادسة عشر من عمره، ودخل في خدمة الإمبراطور قسطنطين الحادي عشر وعين كأمين للخزانة العامة فعندما عينه حاكم على المورة رافقه سفرانتزيس في عام1428م،وكلفه قسطنطين بقلعة جلارينتزا Glarentza في المورة وقد ساعد قسطنطين في حملته لأستعادة المورة من أجل الإمبراطورية، وفي عام 1449 رافق الإمبراطور قسطنطين الي القسطنطينية أثناء الحصار العثماني ووصف كيف قام الإمبراطور بإعداد الخطط السرية لصد الحصار العثماني وتوزيع القوي العسكرية والأسلحة حيث كان مكلفا من الإمبراطور بتفتيش الدفاعات أثناء الحصار، وأسر سفرانتزيس من قبل الأتراك العثمانيين بعد سقوط القسطنطينية، هو وأسرته واستطاع أن يحصل على حريته في أول سبتمبر سنة 1453 م وهرب هو وزوجته إلى المورة وهناك دخل في خدمة توماس، بعد أن قتل ابنه الذى لم يكن يتعدى الخامسة عشر من عمره على يد السلطان محمد الفاتح في ديسمبر 1453 م بعد اتهامه بمحاولة اغتيال السلطان، بينما دخلت ابنته تامارا Tamar ضمن حريم السلطان لكنها مرضت ثم ماتت عام 1455 م وهرب سفرانتزيس إلى البندقية بعد هجوم العثمانيين على المورة، وفى عام 1468 م تحول هو وزوجته إلى راهبين تحت اسم جريجوريوس Gregorios وايوبراكسيا Eupraxia، وفى 29 مارس 1478 م كتب سفرانتزيس السطور الأخيرة من تاريخه ومات 1481م،انظر:

Sphrantzes,G.,Annales,1259-1477,ed.by I Bekker,Corpus Scriptorium Histoirae Byzantine, Bonne,1838; ، CF.also:Nevill,L. ، Guide to Byzantine Historical Writing,P.304;: Miller,W.,The Last Athenian Historian Laonikos Chalkokondyles,J.H.S.,Vol. XLII,1922 ,PP.68- 69.

2 محمد زايد عبد الله: مصادر تاريخ العصور الوسطى، ص 75.

3(4)Neville,L.,Guide to Byzantine Historical Writing,P.303.

الخامس عشر، وكان الهدف من تأليفه كتابَه كما قال : " وصف حوادث عمري قبل أُسرنا وبعد " [1]**،ويمكن تقسيم المادة التي اعتمد عليها في كتابه إلى قسمين : الأول وهي التي اعتمد فيها على ما سبقه من الكتاب الصادقين، وبعض نبلاء البلاط الإمبراطوري ومجلس الشورى وأعضاء مجلس الشيوخ القدماء، والثاني الأحداث التي عاصرها ورواها بنفسه.**

كتب سفرانتزيس الأحداث التي سبقته في الصفحات من 6 إلى 96، فقد تحدث عن الأوضاع السياسية لعائلة باليولوجوس منذ عام 1261 م الى 1399 م، في الصفحات من 6 إلى 65، وتحدث عن أصل هذه العائلة في المقدمة، وتحدث عن العثمانيين فذكر نسب السلطان بايزيد الأول في الصفحات من 66 الى 68 ثم عاد وكتب عن تاريخ العثمانيين منذ نشأتهم وحتى وفاة السلطان محمد الثاني في الصفحات من 69 الى 96 وتعد هذه الفترة فترةً مختصرة جدًا كإشارات، أما تاريخه الحقيقي وروايته المفصلة للأحداث بدأت من سنة 1402 م الى 1477 م. [2]

وقد أفدت من رواية سفرانتزيس بالنسبة لموضوع الدراسة من إشاراته لثورة صاووجي وأندرونيقوس ضد أبويهما السلطان مراد الأول والإمبراطور حنا الخامس باليولوجوس. وما يؤخذ على سفرانتزيس أنه وضع أحداث هذه الثورة بعد استيلاء العثمانيين على مدينة سالونيك سنة 1378م، كما أخطأ في اسم صاووجي فسماه موسى، وأفاد هذا المصدر البحث في إشارته إلى الصراع على العرش البيزنطي بين أندرونيقوس ووالده الإمبراطور حنا الخامس ويُؤخَذ عليه وضع السلطان بايزيد مكان السلطان مراد الذي كان البطل الأساسي لهذا الصراع،، وأشار بإختصار إلى مؤتمر سريس الذي عقده السلطان بايزيد سنة 1393 –1394م، ويجب توخى الحذر في الفترة التي سبقت سنة 1402 م لأن أحداثها مشوشة إلى حد كبير واختلف في تاريخ وفاة سفرانتزيس إلا أنه يقدر ما بين عامي 1474م –1479 [3]

1_ صلاح ضبيع: العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية في عهد أل باليولوجوس، ص 30.

2_ Miller,W.,The Historians Doukas and Phrantzes,P.66.

3_ Neville,L.,Guide to Byzantine Historical Writing,P.305.

لاونيكون خالكوكونديلاس laonikon chalcocondyles

يعد ما دونه المؤرخ لاونيكون خالكوكونديلاس في مؤلفه الذي عرف باسم التواريخ العشر Historiaram libre Decem والذي انتهى من كتابته في العام 1480م، من المصادر الهامة للدراسة، حيث تناول الأحداث التاريخية المواكبة لتاريخ الإمبراطورية البيزنطية الممتدة من العام 1298م – 1463م. [1]

تناول خالكوكونديلاس أيضا الحديث عن زواج السلطان العثماني أورخان من ثيودورا ابنة حنا كانتاكيوزين عام 1346 م وشهد الاحتفال جميع عائلة كانتاكيوزين، وحديثه عن سقوط مدينة غاليبولي Gallipoli في أيدي العثمانيين عام 1354 م، وأشار إلى نجاح السلطان مراد الأول فى الاستيلاء على أدرنة(أدريانوبل) – ثانى أكبر المدن البيزنطية بعد القسطنطينية[2] والحديث بالتفاصيل عن انتصار المغول على العثمانيين في معركة أنقرة عام 1402م/ 804هـ[3]

إن اهتمام خالكوكونديلاس بنهوض وصعود قوة العثمانيين جعلته يقوم بتسمية كتابة التاريخ التركي، وهو شيء لم يكن معتاد بالنسبة للمؤرخين البيزنطيين، فكان يهدف من كتابة ملاحظة السقوط التدريجي للإمبراطورية البيزنطية، وصعود قوة العثمانيين، وأشار خالكوكونديلاس أنه ألف كتابه باللغة اليونانية، لأن العديد في الشرق والغرب يمكنهم القراءة باليونانية، بالإضافة عن كونه تمجيداً لليونانية الكلاسيكية[4]، ويتضمن مجمل كتابه

1_ ولد لاونيكوس خالكوكونديلاس في مدينة أثينا عام 1423م (او1430م) هرب والده إلى المورة في عام 1435م، وأصبح خالكوكونديلاس فيما بعد طالباً للعلم في بلاط حكام مسترا Mestra، كان صاحب قلم رنان ومثال ناطق لإنصاف العدو إذا قام بكتابة تاريخ ألد أعداء شعبة وهم الأتراك العثمانيين، عاش حياته في منطقة ما علي ساحل بحر ايجة وظل مقيماً في القسطنطينية حتى مجيء العثمانيين اليها 1453م، درس مع جورج جيموستون بليثون George Gemistos plethon، وقد ترأس سفارة للسلطان مراد الثاني عام 1435م وتوفي عام 1490م. انظر:
Chalcocondyles,L.، Historiarum Libre Decem,CSHB، ed.by.B.G.Niebuhril، Bonnae1841، Partial English Trans، Laonikos Chalcocondyles: A Translation and Commentary of the Demonstration of Histories(BookI-III),ed.by.Nicoloas Nicoloudis، Athens، 1996;CF.also; Miller,W.,The Last Athenian Historian Laonikos Chalkokondyles، ,PP.37-39.

2_ Chalcocondyles,L.، Historiaum,p.112.

3_ Chalcocondylas,L.,Historiaum,p.157.

4_ جونز: الفتح العثماني للقسطنطينية، ص 86؛ انظر أيضا: دونالد نيكول : معجم التراجم البيزنطية، ص257 .

أصـل الأتراك العثمانييـن وكيفية صعودهم في المنطقة، كما يتضح لنـا في كثير من تحليلاته التاريخيـة والجغرافية حتى سـقوط القسـطنطينية علـى أيديهم فـي النهايـة[1]، بالإضافة إلي تحـدث خالكوكونديـلاس في كتابـه عن العديد من الشـعوب والبلاد، وخاصة المسـلمين، الجرمـان، الروس، السـلاف، الإسـبان،كما كان يعتقد فـي الكهانة والنبـوءات واعتبرها قوة مؤثرة في الأحداث التاريخية.[2]

ويؤخـذ على هذا المصدر، عدم إتباعه نظام تسلسـل زمنـي دقيق لما أورده من معلومات فضـلا عن الخلـط في كثير من الأحيـان بين الأحـداث بعضها البعض. ولقـد ظهر أيضا من خلال روايته عدم دقته في ذكر الأحداث، فضلا عن كونها مشوشـه ويشـوبها النقص، ورغم ذلـك جـاء ما دونه لاونيكـون خالكوكونديلاس عن الصراع البيزنطـي العثماني وأثره على المنطقة كمحاكاة واضحة للصراع اليوناني الفارسـي القديم، واحتفظ دائما بالإشارة إلي أن الإمبراطورية البيزنطية سوف تحيا من جديد كقوة عالمية مؤثرة [3]

1_ إبراهيـم مصبـاح عبـد القـوي: السياسـة الخارجيـة للدولـة البيزنطيـة في عهـد الإمبراطـور أندرونيقـوس الثالـث باليولوجوس (1328-1341م)، رسالة ماجستيرغير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، 2006م، ص 18 .

2_ جونز: الفتح العثماني للقسطنطينية، ص 86.

3 جونز: الفتح العثماني للقسطنطينية، ص 87.

ثانيا:المصادر العثمانية

ابن عاشق باشا Asik Pasa

ذلك المؤرخ الذي ولد بالأناضول مطلع القرن الخامس عشر الميلادي / التاسع الهجري[1] صاحب مؤلف Asik Pasoglu Tarihi [2] تحدث بن عاشق باشا في كتابه عن بداية الدولة العثمانية حتى بعد فتح القسطنطينية عام 1453م .[3]

تحدث ابن عاشق باشا في مؤلفه عن تهديد السلطان العثماني بايزيد الأول للإمبراطور مانويل الثاني باقتحام القسطنطينية إذا لم يستجب لمطالبه، ورفض الأخير وذلك في عام 1391م [4]

على الرغم من معاصرة ابن عاشق باشا للأحداث إلا أنه هناك بعض الأسباب تقلل من اكتمال القيمة العلمية والتاريخية حيث إنه بدأ كتابه تاريخه وهو في سن السادسة والثمانين أي في العام 1486م أي بعد سقوط القسطنطينية بثلاثة وثلاثين عاماً وهو الأمر الذي يدل على عدم مصداقية ما ذكره بشكل كامل نتيجة لما يختلط بذاكرة الإنسان في ذلك السن المتأخر [5]

1_ ولد بن عاشق باشا في مدينة مستيوزو الصغيرة الواقعة شمال الأناضول في إقليم أماسيا عام 1400م،اسمه الحقيقي الدرويش أحمد الملقب بعاشق، كان اسم والده عاشق باشا سعيد كان تابعا للسلطان محمد الأول كان من بين العلماء الذين استضافهم السلطان محمد الثاني في ربيع 1457م.انظر:

صلاح ضبيع: العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية في عهد أل باليولوجوس، ص14.

2_ Asikpasaoglu.,"Asikpasaoglu Tarihi"Hazirlayan,H.Nihal Atsiz,Ankara,1985.

3_ Asikpasaoglu.,"Asikpasaoglu Tarihi",P.131.

4_ Asikpasaoglu,"Asikpasaoglu Tarihi",PP.68-69

5 جونز: الفتح العثماني للقسطنطينية، ص97.

ثالثا: المصادر العربية:

ابن عربشاه

اهتم ابن عربشاه بذكر العديد من التفاصيل عن سيرة القائد المغولي تيمورلنك، نظـرا لمعاصرته لأحداث تلك الفتـرة (854-791هـ/ 1450-1389م) [1] ويحمل كتابـه عنـوان "عجائب المقدور فـي نوائب تيمور"، وعلى الرغم مـن موقفه المعادي للقائـد المغولـي تيمورلنـك، وانعكاس ذلك علـى رأيه فيه، إلا أن مؤلَّفـه يُعد مصدرًا رئيسًـا عن سـيرة حياة تيمور لنك وخاصة حملاته العسكرية على بلاد الشام، وعلاقته بالعثمانييـن، واصطدامـه بهم في أكثر من مكان، وأخرها معركـة أنقرة، كذلك تناول طبيعة العلاقات التي ربطت بين تيمورلنك والمماليك في مصر والشام، بل ومن جانب أخر أفاض بن عربشـاه في الحديث عن معاناة القسـطنطينية في ظل الحصار العثماني للمدينة أواخر القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري، وعبر عن ذلك قائلاً: "ابن عثمان كان بالحصار قد أنهكها، وأباد قُراها وضواحيها وأهلكها، وضيق على أهلها في مجاري أرواحهم مسلكها"[2].

المقريزي [3]

1ـ هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد الدمشقي،هو مؤرخ ورحالة ولد في دمشق في عام 791هـ/ 1389م، واشـتغل في الأدب ولما غزا تيمور لنك ديار الشـام تحول بعائلته إلي سـمرقند ثم انتقل إلي ما وراء النهرين، ثم هبط إلي أدريانوبل حيث اتصل بالسـلطان العثماني محمد بن عثمان فعهد إليه بترجمة بعض الكتب من العربية إلي الفارسـية والتركيـة، ومـن مؤلفاته أيضا وفاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، وقد بـرع في الكتابة والنظم باللغات الثلاثة،ثم عاد إلي بـلاد الشـام بعـد أن غاب عنها ثلاث وعشرين سـنة، وفي أواخر أيامـه رحل إلي مصر فأقام فيها حتي توفي سـنة 854هـ/ -1450م،.انظر:

عبد المالك ادريس: خصائص أسلوب ابن عربشاه من خلال كتابيه عجائب المقدور في نوائب تيمور وفاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، رسالة دكتوراه لم تنشر بعد، كلية الدراسات العليا، جامعة أم درمان 2010م،ص11-12.

2-ابـن عربشـاه: عجائب المقـدور في نوائب تيمور، تحقيق أحمد فايز الحمصي، طـ1، مؤسسـة الرسـالة للطباعة والنشر، بيروت،1986م، ص333.

3ـ المقريـزى: هـو تقـى الدين أحمد بن على المقريزى، ولـد بالقاهرة عام 1364م/ 766هـ،ولا خـلاف فى تبوئه صدارة المؤرخيين المصريين فى النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادى/ النصف الأول من القرن التاسـع الهجرى، ويكفى دليلاً على هذا أن تلاميذه من فطاحل المؤرخين فى مصر خلال العصر المملوكى وقد تناولت كتابات المقريزى أوجهـاً عـدة من تاريخ مصر والشـام فى عهود مختلفة، وأحياناً ما يقوم بتحليل الأحـداث والتعليق عليها، وقد توفى

أهم مؤلف رجعتُ إليه للمقريزي هو "السلوك في معرفة دول الملوك" (845هـ/ 1441م)[1] وهو المصدر الذي أرخ فيه المؤلف للدولة الإسلامية فترة المماليك الأولى بإيجاز، خاصة في الجزء الأول القسم الثاني والثالث، وأنه اتبع نظام الحوليات، وقد رجعت إلى هذا المصدر فيما يخص العديد من الأحداث التي دارت في المشرق الإسلامي، حيث أنه يمتاز بسهولة سرد الأحداث في كثير من أجزائه وتوضيحها وسببها مع منطقية سردها وتحليلها، خاصة في ذكر الأحداث المتعلقة بالعلاقات بين المماليك والعثمانيين، وظهور الخطر المغولي.

ابن تغري بردي[2] وكتاب "النجوم الزاهرة في ذكر ملوك مصر والقاهرة"[3] ومن المميز في مؤلفات بن تغري أنه نقل الأحداث بموضوعية دون التأثر بالمصادر التي نقل عنها، والتي كانت من أهمها مؤلفات المقريزي.

وهناك ابن خلدون[4] ومؤلفه الذي يعد من المصادر العربية التى أفادت الدراسة وهو كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)[5]

المقريزى فى القاهرة عام 1442م/ 845هـ.انظر:
على أحمد السيد، الخليل والحرم الإبراهيمى فى عصر الحروب الصليبية (1099-1187م/ 492-583هـ) دار الفكر العربى، الطبعة الأولى، القاهرة، 1418هـ/ 1998م، ج1،ص 49.

1_ السلوك لمعرفة دول الملوك، أربعة أجزاء في أثنى عشر قسماً، حقق الجزئين الأوليين محمد مصطفى زيادة، القاهرة 1939 – 1942م، وحقق الجزئيين الثالث والرابع سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة 1970 – 1973م.

2_ هو جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن تغري بردي (884هـ – 1469م)

3_ يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، عدد الأجزاء 16، ج7، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

4_ ابن خلدون هو عبد الرحمن بن محمد الخضرمى الأشبيلى المالكى المعروف بابن خلدون قاضى قضاة المالكية بالقاهرة مرارًا، وكان ممن رافق الجيش المملوكى إلى تيمورلنك فى دمشق، واجتمع به، وأعجبه كلامه وبلاغته وحسن ترسله، وتوفى وهو قاض فى القاهرة عام 1406م، عن عمر يناهز السادسة والسبعين عاماً، ودفن فى مقابر الصوفية خارج باب النصر، انظر:
ابن العماد، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج7، بيروت، د. ت، ص 76.

5_ ديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، جـ1-7، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م.

وأيضا القلقشندي (756-821هـ/ 1355-1418م)، وهو صاحب كتاب "صبح الأعشى في صناعة الإنشا" [1]، والذي قدم معلومات جيدة عن علاقة الدولة المملوكية بالقوى الموجودة في المنطقة، وذلك من خلال ذكر الرسائل مفصله بين تيمورلنك والسلطان برقوق وابنه السلطان فرج فيما بعد،وقد أفادني في العديد من التفاصيل خاصة عن تلك السفارة التي أرسلها تيمورلنك إلي السلطان المملوكي، وما قامت به من نشاط دبلوماسي في القاهرة[2] وأخيرا المؤرخ ابن الصيرفي [3]ومؤلفه" نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان [4]

وهناك العديد من المصادر العربية الأخرى، والتي اعتمدت عليها الدراسة بشكل كبير خاصة في حديثها عن علاقة الدولة المملوكية بالدول المجاورة، مثل ما سجله لنا ابن إياس وكتابه بعنوان بدائع الزهور في وقائع الزهور [5]، والقرماني مؤلفه بعنوان أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ [6]،وغيرهم من المصادرالعربية .

1_ القلقشندى: أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله الشهاب بن الجمال أبى اليمن القلقشندى، ولد فى عام 1355م، فى بلدة قلقشندة من اعمال القليلوبية. عمل كمدرس، ثم قاض على المذهب الشافعى، وعمره لا يتعدى إحدى وعشرين سنة، وقد نزح إلى الإسكندرية طلبًا للعلم، ثم التحق بوظيفة كاتب بديوان الإنشاء فى عهد السلطان المملوكى برقوق، واستمر فيه حتى وفاته فى عام 1418م. انظر:
القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الأنشاء، 14 جزء تقديم فوزى أمين، القاهرة، 2004، ج1، ص 7-10.

2_ انظر الفصل الرابع.

3_ هو ابن داوود الصيرفي(819-900ه/ 1417-1495م) مؤرخ مصري ولد وتوفى بالقاهرة، وعمل بالقضاء في عام 817ه، للمزيد من التفاصيل:
محمد الشوربجي:ابن الصيرفي "حياته ومؤلفاته التاريخية، معهد المخطوطات العربية، 2019م.

4_ ابن الصيرفي: (علي بن دواوود بن إبراهيم، ت900 هـ/ 1495م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، 3 أجزاء، تحقيق حسن حبشي، القاهرة 1970م

5_ ابن إياس (852-930هـ/ 1448-1524م): هو ابو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي مؤرخ وباحث مصري معاصر عهد المماليك،كان أبوه أحمد متصلا بالأمراء في عصره وجده الأمير إياس الفخري الظاهري من مماليك الظاهر برقوق،توفي ابن إياس في عام 930هـ1524-م. انظر:
الزركلي: الأعلام، جـ6،ص5.

6_ القرماني (939-1019هـ/ 1532-1610م): هو أحمد بن يوسف بن أحمد بن سنان الدمشقي المعروف بالقرماني ولد بدمشق سنة 939هـ، كان والد القرماني قد قدم الي دمشق لنظر البيمارستان،وتولي نظر الجامع الأموي،وقد عرف علي القرماني انه رقيق المشاعر حسن العبارات مما عزز صلاته بأعيان عصره من أمراء وحكام وتوفي القرماني ليلة الجمعة 29 شوال من عام 1019هـ ودفن في مقبرة الفراديس .انظر الزركلي : الأعلام،جـ1،ص275.

الفصل الأول

بيزنطة والقوى المجاورة في الشرق منذ سقوط فيلبوبوليس حتى ظهور تيمورلنك

(١٣٦٣ – ١٣٧٣م/٧٦٥ – ٧٧٥هـ)

_ بيزنطة والقوي المتواجدة في الشرق الإسلامي خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي.

_ استيلاء العثمانيين على فيليبوبوليس وبداية التهديد الفعلي لبيزنطة.

_ تدهور الدولة المملوكية وأثره على علاقتها ببيزنطة.

_ظهور تيمورلنك وإحياء القوة المغولية.

شـهد التاريخ الوسيط خلال النصف الثانى من القرن الرابع عشر / الثامن الهجرى أحداثـا مهمـة، أسـفرت فـى نهايتهـا عـن حـدوث تغيـرات سياسـية عديـدة، بعد أن تأثـرت موازين القوى الدوليـة وأنماط التفاعلات فى الشـرق والغرب، ببداية ضعف الإمبراطورية البيزنطية، بالإضافة إلى اكتمال قوة العثمانيين، بعد أن أصبحوا قوة نشطة وفاعلة، ليصبحوا إلى جانب المماليك الفاعل الإسـلامى الثانى على الساحة الدولية، وفـي نفـس الوقت وجدنـا قوة دولية يتـم إحيائها من جديد ألا وهـي المغول، ومن ثم سـوف نعرض فيما يلي من صفحات تلك التطورات وأثرها على طبيعة العلاقات بين تلك الأطراف المتواجدة.

بطبيعه الحال، عند محاولة تتبع العلاقات السياسية بين بيزنطه والقوي المجاورة لها في الشرق الإسلامي خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، يجب علينا أولاً معرفه أحوال الإمبراطورية البيزنطية، الطرف المشـترك مع تلك القوى، فقد كان من المعروف أنه بعد أن اسـتولى اللاتين على القسـطنطينية في عام 1204م/ 601هـ، تشتت الإمبراطورية، إلي أن ظهر ميخائيل باليولوجوس Michael Palaiologoes الذي نجح فى سنوات قليلة فى إحياء الأمبراطورية مرة أخرى، وتم تنصيبه إمبراطورا تحـت اسـم ميخائيل الثامـن Michael VIIIوذلك فى الخامس عشـر من يوليو عام 1261م مؤسسـا بذلـك أسـرة باليولوجـوس Palaiologoes آخـر الأسـر الحاكمه للإمبراطورية البيزنطية [1]

1 ينتمى ميخائيل الثامن باليولوجوس MichaelVIII إلى أسرة أرسـتقراطية عريقة فى المجتمع البيزنطى، لعبت دورا هامـا فى تاريـخ الدولة البيزنطية منذ القرن الحادى عشر فجده الأكبر جورج باليولوجوس الذى سـاعد آل كومنين فى الوصـول إلى العـرش فى أواخـر القرن الحادى عشر، وتحدث ميخائيل عن نفسـه وذكر أنه ينتسـب إلى الأسرات البيزنطيـة الحاكمـة – دوكاس وكومنـين وانجليـوس – وشـغل بعض أفـراد أسرة باليولوجـوس مناصب كبيرة فى قيـادات الجيـش وفى إدارة الإمبراطوريـة، كما ارتبطت أسرته بصـلات المصاهرة بأسرة تيودور الأول لاسـكاريس Theodore I Lascares إمبراطور نيقية، انظر:

Nicholas Melvani,The tombs of Palaiologan emperors,Byzantine and Modern Greek Studies 42(2) pp.237-260.

وأيضـا: اسـحق عبيد : الدوله البيزنطيـة فى عصر باليولوغوس 1261-1282م، مطبعـه دار الكتب، بيروت، د. ت، ص 35-36.

بيزنطة والقوي المتواجدة في الشـرق الإسـلامي خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي

على أية حال، ففي النصف الأول من القرن الرابع عشـر الميلادي، بدأت الفوضى تعـم الدولة البيزنطية، وتفاصيل ذلك أنه في عـام 1341م/ 743هـ توفي الإمبراطور أندرونيقـوس الثالث باليولوجـوسAndronicos III Palaiologoes (-1328 1341م)[1]، وكان ابنـه حنـا الخامـس باليولوجـوسJohn V Palaiologoes (1391-1341م)، فى الحادية عشرة من عمره عندما ورث عرش أبيه لتنشب حرب أهليـة فـي البـلاد للاسـتيلاء على العـرش البيزنطي. وفـي تلك الأحـداث لعب حنا كانتاكيوزينJohnCantacuzene[2] دورًا هاما، وفي الوقت نفسه، وقف فى وجه كانتاكيوزيـن حـزب قوى من" آنـا اف سـافواى Anna of Savoy أرملة الإمبراطور الراحل، والوصية على العرش البيزنطي [3] .

---

1 أندرونيقـوس الثالـث حكـم الإمبراطورية من 1328م حتي سـنة 1341م، وهـو ابنٌ للإمبراطور ميخائيل التاسـع باليولوجـس وزوجتـه ريتـا أرمينيـا وحفيـد للامبراطـور اندرونيقـوس الثـاني باليولوجـس، أعلـن مشـاركته في الإمبراطورية في شبابه، قبل 1313م، وبعد وفاة أبيه وفي أبريل 1321 م، تمرد في معارضة جده أندرونيقوس الثاني باليولوجوس. وتوج رسـميًا كمشـارك في الإمبراطوريـة في فبراير 1325 قبل الإطاحة بجـده وأصبح الإمبراطور الوحيد يوم 24 مايو 1328م، انظر:

جون باتريك كينروس: القرون العثمانية قيام وسـقوط الإمبراطورية التركية، ترجمة وتعليق ناهد إبراهيم دسـوقي، دار المعارف، الإسكندرية،٢٠٠٢م، ص٣٤.

2 ينتمـي حنـا كانتاكيوزيـن إلي الطبقة الأرسـتقراطية ذات الأملاك والأراضى الشاسـعة، وقد بلغ ذروة الشُّـهره خلال الحـرب الأهليـه التى جاءت بالإمبراطـور أندرونيقـوس الثالـث إلى العـرش (1321-1328م)، وكان الصديق الـوفى للإمبراطـور أندرونيقـوس فى ذلك الوقت الذى قـام باختياره ليكون قائـدًا عامًا، وعندما تـوفى الإمبراطور أندرونيقـوس الثالـث 1341م، توقـع حنـا كانتاكوزيـن أن يصبـح هـو ذاتـه وصيًا عـلى الوريث الشرعـى الطفل حنـا الخامـس باليولوجـوس، ولكنه وجـد الخذلان فيـما كان يرجوه على يـد الإمبراطورة الأرملة آنا من سـافوى، والبطريرك حنا الرابع عشر . انظر:

Nicol,D.,The Last Centuries of Byzantium,Cambridge,1996,pp.155-156

3_ حسنين محمد ربيع : دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1983م، صـ299.

أما آنا اوف سافواى Anna of savoy فهي أرملة الإمبراطور أندرونيقوس الثالث باليولوجوس Andronicus

عند ذلك أعلن حنا كانتاكيوزين رفضه للوضع الجديد، بوجود الطفل حنا الخامس على العرش تحت وصاية "آنا"، وذلك أثناء وجوده فى إحدى مدن تراقيا[1]، لتقوم الوصية بإصدار مرسوم إمبراطوري، تعلن فيه أن كانتاكيوزين قائدًا متمردًا، وأنه عدوٌّ للإمبراطورية[2]، ليعلن حنا كانتاكيوزين نفسه إمبراطورًا في مدينة ديموتيقية Didymotich[3]،وبذلك أصبح هناك اثنان من الأباطرة فى وقت واحد حنا الخامس تحت وصاية أمه، وحنا كانتاكوزين الذى عرف بحنا السادس John VI(1341-1354م)[4].

III palaeologus، وهي من أصل إيطالي ابنة ماريا برابانت وأميديو الخامس(1306-1360م) كونت سافواى وكانت تسمي جيوفانا((Giovanna قبل أن تسمي آنا وقد تولت آنا العرش البيزنطي (1341-1347) كوصية على ابنها يوحنا الخامس باليولوجوس John V Paleologos بعد وفاة والده أندرونيكوس الثالث 1341م،وظلت "آنا" علي المذهب الكاثوليكي عقب زواجها من أندرونيكوس ولكنها لم تعلن ذلك .انظر :

Jackson,G.,Women Rulers Throughout the Ages,Anillustrated guie,Califrnia,1999، PP.26-27

راجع ايضا: ناهد عمر صالح: الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليوجولوس(1354-1376)، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥م،ص٣٣٢ هامش (٤)

1 تراقيا : هو إقليم كبير يحتوى على خمس مدن هامة هى فيلبوبوليس Philippoplis عاصمه أوجستاتراجانا Augustatrajana، ديوكليتا نوبوليس Diokletainopolis، سيباستوبوليس Sebastopolis، وديوسبوليس Diospolis، ويُحد إقليم تراقيا من الشمال الشرقى البحر الأسود ومن الجنوب بحر مرمره، ومن الغرب مرتفعات البلقان انظر :

إبراهيم مصباح عبد القوى : السياسة الخارجية للدولة البيزنطية فى عهد الإمبراطور حنا باليولوجوس(1341-131391م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب،جامعة طنطا2011م، ص-195.

2_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.64;Brehier، L.,Vie et Mort de Byzance,Paris,1848,and Eng.Trans.the Life and Death of Byzantium ,Trens,Lated by Margaret Vaughen,New York,Oxford,1977، P.435.

3 ديموتيقية أو ديديموتيخوس Didymotichu هي إحدى مدن تراقيا Thrace. تقع على إحدى التلال المطلة على نهر إريثرون Erythros أصبحت مدينة حصينة وهامة من نهاية القرن الثاني عشر، وكانت المركز الرئيس للإمبراطور يوحنا السادس كانتاكوزنيوس John VI Cantaacuzaneus أثناء الحرب الأهلية البيزنطية (1341-1347م)، وتبعد عن القسطنطينية بحوالي خمس وتسعين ميلا يعني اسمها الجدار المزدوج ولقد احتلها الأتراك العثمانيون في نوفمبر 1361م .انظر :

Nicol,D.,The Last Centuries of Byzantium، P.196.

4_ Doukas M. Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks P. 65.

راجع ايضا: أحمد رشاد محمد أحمد : السياسة الخارجية للامبراطورية البيزنطية فى القسطنطية، رسالة ماجستير غير منشوره، كليه الآداب، جامعه حلوان، 2002م، ص96

وفي محاولة منه لتهدئة الوضع أعلن حنا كانتاكيوزين نفسه على الملأ أنه يعد نفسه وصيًا فقط على الإمبراطور الطفل حنا الخامس [1] وقد أشار المؤرخ ميخائيل دوكاس Micael Doukas أن كانتاكيوزين توجه إلى صربيا، في يوليو عام 1342م، و استقبله الملك الصربي ستيفان دوشان Stephen Dusan [2] بحفاوة بالغة وأكرمه وأحسن ضيافته، وقدم كانتاكيوزين للملك الصربي وزوجته الكثير من الهدايا والمجوهرات [3]، وبذلك جاء حنا كانتاكيوزين إلى البلاط الصربي باحثًا عن حليف يقدم له يد المساعدة والمساندة العسكرية ضد مجلس الوصاية بالقسطنطينية [4]

الجدير بالذكر، أنه أثناء اجتماع كانتاكيوزين مع الملك الصربي دار الحديث حول المدن البيزنطية التي استولى عليها الملك الصربي، ويقول كانتاكيوزين أن الملك الصربي اشترط عليه الاعتراف بخضوع تلك المدن للصرب، وأنه رفض قائلا " أنه من الأهون علي أن أتنازل عن أحد أولادي ولا أتنازل أو أفرط في إحدى المدن البيزنطية" [5] وفي نفس السياق يذكر المؤرخ

1_ Brehier، L.، Vie et Mort de Byzance، PP.435-436.

2 ستيفان دوشان Stephen Dusan تعني كلمة دوشان الروح الأبوية وفى رواية أخرى الشنق أو الخنق، وحكم من (1331-1355م)، وكان قد قضي سبع سنوات في المنفي مع والده ستيفان ديكانسكي في القسطنطينية، وقاد حركة تمرد ضد والده ديكانسكي بمساعدة نبلاء زيتا zeta، واستطاع دوشان أن يبني إمبراطورية صربية في شرق أوروبا، مستغلا ضعف بيزنطة آنذاك، وأصبحت الصرب من دويلة صغيرة تقع بين مقدونيا والضفة الشمالية لنهر الدانوب، إلى دولة قوية في عهد دوشان تضم أجزاء كبيرة من تراقيا ومقدونيا واليونان ومعظم سواحل البلقان الشرقية والغربية، بالإضافة إلى أن بلغاريا أصبحت تابعة لدوشان، وما لبثت أن انقسمت إمبراطوريته بعد موته عام 1355م، وقاد القوات الصربية في معركة فيلبوشد 1330م وقاد حركة تمرد ضد والده ديكانسكى بمساعدة نبلاء زيتا Zeta، وأقام علاقات سلام مع البلغار عن طريق الزواج من هيلانه Helena أخت إيفان الكساندر الملك البلغاري، وتوفى في 20 ديسمبر 1355م. انظر:

Soulis، G، The Serbs and Byzantium DuringThe Region of Tsar Stephen Dusan (1331-1355) and his Successors,Washington,1984,PP.60-6.-

انظر أيضا: عماد أمين محمد: الصرب وعلاقتهم بالقوي السياسية والبلقان(626هـ-1459م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الأداب، جامعة المنصورة،2003م، ص 131.

3_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.67;Cantacuzenus,J.، Historiarum,PP.255-260;CF.also: Miller,W.,The Balkans,Romania,Bulgaria ,Servia and Montenegro,NewYork,1899,P.541;Nicol,D.,The Last Centuries of Bzantium,P.196 .

4_ Soulis,G.,The Serbs and Byzantium During the Region of Tsar Stephen Dusan (1331-1355) and His Successors,Washington,1984,P.15.

5_ Cantacuzenus,J.,Historiarum,Vol.II,P.260;CF.also: Fine,J.,TheLateMedieva

ميخائيل دوكاس أن الملك الصربي وافق على تقديم العون والمساعدة اللازمة لكانتاكيوزين في حربه ضد مجلس الوصاية بدون شروط [1]

ولكن من جانب آخر يشير المؤرخ البيزنطي نقفوروس جريجوراس بشأن هذا الحوار فيشير إلى أن كانتاكيوزين اعترف للصرب بكل المدن الواقعة إلى الغرب من كافالا Kavalla فيما عدا مدينة سالونيك Thessaloniki [2]، أما عن المدن البيزنطية التي لم تقع تحت الاحتلال الصربي فكان لها الخيار في أن تظل تابعة لبيزنطة أو تعلن ولاءها وطاعتها للملك الصربي

Balkans,P.298;Soulis,G.,The Serbs and Byzantium,P.15;Miller,W.,The Balkans States the Zenith of Bulgaria and Serbia,P.541.

1 Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.68 .

2 تعد مدينة سالونيك او تسالونيكا Thessaloniki المدينة الثانية في الإمبراطورية البيزنطية بعد القسطنطينية، وإن كان قد قيل إنها تعادلها في المركز والمكانة، تبعد عن القسطنطينية بحوالي 520كم، وتقع عند رأس حوض داخلي ينهى الخليج الطويل الممتد إلى الشمال بين القمم الثلجية الوعرة لجبل أوليمبوس Olympusوأوسا Ossa إلى الغرب، والسواحل الغنية لشبه جزيرة خلقدونية وكاسندرا Cassandraإلى الشرق والخليج الذى يقع عليه سالونيك يعرف بخليج سالونيك، وكان هذا الخليج يسمى قديما شرمايكوس أو ثرمايس سينوس وهو فرع من البحر الإيجى، طوله سبعون ميلا وعرضه ثلاثون ميلا. وتقع مدينة سالونيك عند ملتقى طرق عدة أهمها الطريق القديم الذي كان يربط بين روما عاصمة الإمبراطورية الرومانية وبين القسطنطينية وبلاد الشرق، تأسست هذه المدينة عام 315ق.م على يد الملك كاسندر Cassander ملك مقدونيا الذي أطلق عليها اسم سالونيك نسبة إلى اسم زوجته ابنه فيليب المقدوني وشقيقة الإسكندر الأكبر، ويقال إن الإسكندر قام بتوسيعها سنة(315ق.م) وأصبحت سالونيك في القرن الثامن الميلادي ثغرا بيزنطيا منفردًا، وتمتعت بمكانة دينية وتجارية مرموقة، وقد ظهرت أهميتها مع نهاية القرن الثالث الميلادي مع بداية الغزوات الجرمانية التي عبرت الدانوب، وكانت مقرا لإقامة الإمبراطور جاليروس، كما كانت مقرًا بقيادة الإمبراطور جاليروس، كما كانت مقرًا لقيادة الإمبراطور قسطنطين العظيم (306-337م) أثناء صراعه مع ليسينوس Licnius، وأصبحت منفى للأخير، وتعرضت لمذبحة مريعة عام 390م على يد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (-379 395م)، وفى عام 904م قام البحار المسلم ليو الطرابلسى Leo of Tripoli البيزنطي الأصل بالإغارة عليها ثم وقعت في أيدى العثمانيين في 29 من مارس 1430م. انظر:

Runciman,S.,The Last Byzantine Ranaisance، Cambridge,1970، P.7

وللمزيد من التفاصيل انظر أيضا: مبروكة كامل: سالونيك " المدينة الثانية في الإمبراطورية البيزنطية"(1204-1284م)، نورحوران للدراسات والنشر، دمشق2021م،43-43؛ محمد عثمان عبد الجليل: ابيروس وسياستها الخارجية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا 1997م، ص 25-26؛ الأمين أبو سعدة : بيزنطة في الملاحم العربية، قراءة في سيرة الأميرة ذات الهمة، مجلة كلية الأداب جامعة حلوان، العدد التاسع والعاشر، 2001م، ص 299،هامش (63) أسمت غنيم : الإمبراطورية البيزنطية، الإسكندرية، 1995م، ص -101 102.

ستيفان دوشان [1].

يرجح الباحث انه من خلال الروايات السابقة يتضح أن هناك محاولة من حنا كانتاكيوزين بأن يظهر نفسه حاميا للإمبراطورية البيزنطية وأن علاقتهُ بالمملكة الصربية مجرد معاهدة صداقة لم يقدم فيها أيَّ تنازلات، إلا أن رواية المؤرخ نقفوروس جريجوراس تعد الرواية الأقرب للصواب والحقيقة والأكثر منطقية وبطبيعة الحال الأكثر حياداً، لأنه أظهر مدى التنازلات التي قدمها كانتاكيوزين، بل وحدد بدقة المدن التي آلت للمملكة الصربية وتنازل كانتاكوزين عنها، أما عن رواية دوكاس فقد جاءت مختصرة جداً ولم تشير إلى اللقاء بشيء من التفاصيل.

الملاحظ أنه عندما كان كانتاكيوزين في البلاط الصربي حدث أن أعلن عمر بك أمير إمارة أيدين Aydin [2]، أنه مستعدٌّ لمساندة كانتاكيوزين في دعاويه، وقام هذا الأمير بتجهيز أسطول مكون من أكثر من أربعين قاربا، وأبحر من ميناء غاليبولي Gailpli [3]، ولكن فاجأ الأمير عمر الجميع وقرر العودة بعد أن علم أن فرسان جزيرة رودوس قرروا

1_ Gregoras,N.,Byzantinae Historiae,Vol.II,PP.30-35;CF.also: Fine,J.,The Late Medieval Balkans,P. 298;Miller,W.,The Balkans States the Zenith of Bulgaria and Serbia,P.541; Nicol,D.,The Last Centuries of Byzantium,P.196 .

2_ أسست إمارة أيدين Aydin علي يد محمد بن أيدين حول بركي القريبة من ماغنيسيا، ظهرت في الأناضول بعد سقوط سلطنة سلاجقة الروم في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، كانت تابعة لإمارة جيرمان ثم استقلت عنها، امتدت حدودها لساحل الغربي لأسيا الصغرى، ازدادت قوة هذه الإمارة في عهد الأمير عمر، الذي بني أسطولا أحرقه الصليبين، وأنشأ قلعة حصينة في أزمير، وتعرضت أيدين لحملتين صليبيتين في سنة ١٣٣٤م،استولي العثمانيون عليها في سنة 1428م انظر:

Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP.265-266.

3_مدينة غاليبولي تقع على الساحل الأوروبي لبحر مرمرة شمالا وتنحصر بين بحر الأرخبيل ومضيق الدردانيل وبحر مرمرة، وكانت تعرف قديما باسم كاليبولى Kailipolis. انظر:

Hammer,V.,Histoire De LEmpire Ottoman,Tr.by.J.Hellert,Tom.I,Paris,1841-1853,P.197.

كان بها مخزون لتجارة البحرين الأسود والأبيض، وتعد سقفا لتجارة بيزنطة والشرق، وهي بوابة المرور السهل إلى أوروبا، وتقع غاليبولي على بعد 212 كيلو متر إلى الجنوب من القسطنطينية ولذلك تعد مفتاحًا لها انظر:

إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ1،ط1، المطبعةالأميرية، القاهرة،1312هـ،ص464؛ أحمد زيني دحلان :الفتوحات الإسلامية جـ2، مطبعة السعادة، القاهرة، 1330هـ، ص96-97.

الهجـوم علـى ميناء سـيمرنا Samyrna[1] وهو ما يُعـد تهديدًا لأملاكه ليعود مسـرعًا ويعقد معهم معاهدة سلام وصداقة[2]

في الوقت نفسه، استغلت الإمبراطورة "آنا" العداء القائم بين إمارة أيدين وجنوة Genoa لخدمة مصالحها، وذلك بإجبار أميرها عمر بك علَى أن يترك حليفه حنا كانتاكيوزين، فحرضت الجنويين على الهجوم على إمارة أيدين، مما جعل الأمير عمر يترك حليفه كانتاكيوزين ليواجه مصيـره وحده[3] ويرجع إلى عاصمته إفسـوس Ephesus[4]،وهكذا وجدنـا إحدى الإمارات الإسلامية وهي أيدين، تتدخل في الشؤون البيزنطية في تلك الفترة.

وفي حقيقة الأمر، لم يكن الخطر على بيزنطة يأتي من الداخل فقط، إذ كان التهديد الأكثر إلحاحاً على الدولة البيزنطية يأتي من الشـرق، وذلك مع ظهور ما يعرف بالإمارات التركمانية- والتي كانت منها أيدين- في آسيا الصغري، والتي عملت على التوسع والسيطرة على الأراضي البيزنطية.

وتفاصيل ذلك، أنه مع مطلع القرن الرابع عشر الميلادي، وتحديدًا عام 1308م سقطت دولة سـلاجقة الـروم، وكان ذلك بمثابة دخول منطقة آسـيا الصغرى لمرحلـة تاريخية جديدة، بعد أن اسـتقرت في المناطق الحدودية الشـمالية والجنوبيـة والغربيـة المتاخمة للإمبراطوريـة البيزنطيـة عناصر سكانية عرفت بالتركمان[5]، وقد تمكنت بعدها من تأسيس ما يقرب من ست

1_ تقع سـيمرنا Samyrna في آسـيا الصغرى، علي سـاحل بحر إيجة على بعد ٤٥ميل من إفسـوس وهي أزمير التركية حاليا. انظر: إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن الدول البحار، جـ1، ص٤٦٦.

2_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.69 .

3_ Nicol,D.,The Last Centuries of Byzantium,PP.205-209;Gibbons,H.,The Foundation of the Ottoman Empire: Ahistory of the Osmanlis up to the Death of Bayezid I,1300-1403، Oxford,1916,P.92

4 إفسـوس Ephesus: تقـع في آسـيا الصغرى مقابـل جزيرة سـاموس Samos، وهي عبارة عن ميناء البحر الإيجى في آسـيا الصغـرى، وبمثابـة عاصمة لها، ولقـد اعترفت بالديانة المسـيحية في القرن الرابع الميـلادي، ولقد تعرضت للإغارات العربية بداية من عام 654م، ولقد سـيطر عليها العثمانيون خلال الفترة الممتدة من 1090م إلى 1096م واتخذها القطلان قاعدة لهم عام 1304م، ثم سيطر عليها تركمان أيدين في نفس العام. انظر:
دانيال الراهب : وصف الأرض المقدسة في فلسطين للحاج الروسي دانيال الراهب 1106 – 1107م، ترجمة وتعليق سعيد عبد الله البيشاوي، داود أبو هدية، دار الشروق، عمان،2003م، ص 42؛ حاتم عبد الرحمن الطحاوي: بيزنطة والمدن الإيطالية العلاقات التجارية 1081 – 1204م، القاهرة، 1998م، ص 53.

5_ التركـمان بـدأ ظهورهـم في النصف الأول من القرن الخامـس الهجري/ الحادي عشر الميلادي على شـكل هجرات

عشـرة إمارة ذات سـمات مشـتركة ما لبث أن ظهر التنافس بينها[1]. ومن بين هذه الإمارات التي ظهـرت فـي ذلك الوقت: إمـارة أيدين وصاروخان وقرمـان[2] تلك الإمـارات والتي –على حـد قول المـؤرخ البيزنطي – ميخائيـل دوكاس عانت منهما بيزنطة كثيرًا بسـبب هجماتهما المتتالية على الأراضي البيزنطية[3]

كانـت أهـم تلك الإمارات، هي تلك التي نتج عنها ظهور الدولة العثمانية، وكانت في البداية إمارة من إمارات الغزو في الشـمال الغربي لآسـيا الصغرى، ورغم اختلاف الروايات بين المؤرخين حول نشـأة هذه الدولة، إذ قيل بأن العثمانيين هم في الأصل قبائل تركمانية هاجرت من جنوبي بلاد موراء، ونزلت عند المجرى الأعلى لنهر الفرات شـرقي آسـيا الصغرى في عـام 1224م[4] و أشـهرهم قبيلة قايي تحـت قيادة أرطغرل حيـث أقطعـه سـلطان السـلاجقة قطعة أرض ليقيـم فيها هـو وقبيلته إمارة فى شـمال غرب آسيا الصغرى بالقرب من الحدود البيزنطية وذلك فى عام 1232م [5]ولما مات أرطغرل خلفه في حكم الإمارة ابنه عثمان الذي سميت باسمه الأمة والدولة[6] وكانت إمـارة عثمان بموقعها الإسـتراتيجي على الطريق الرئيس الذي يصل بين القسـطنطينية

عشـائر مـن الرعـاة الرُّحَّل الوافدين من أواسـط آسـيا، وكانت طبيعة حياتهـم بداية من معيشـتهم تتمثل في كونهم يسـوقون قطعان ماشـيتهم أمامهم، ثـم ينصبوا خيامهم تارة على هضاب الأناضول السـلجوقية، وتارة في سـهول حلب، وأحيانا في مراعي أنطاكية، ولا يميلون للعمل بالزراعة وحرفتهم الأساسية هي الرعي، أنظر :
مبـارك محمـد الطراونـة : الحيـاة الاجتماعيـة في بلاد الشـام في عصر المماليـك الجراكسـة ، (الاردن ، المكتبـة الوطنية 2010م)، ص110.

1_ خالـد عبـد البديـع : إمـارة بني قرمان في الأناضول" دراسـة في التاريخ السـياسي والعسـكري" 1256–1483م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب– جامعة سوهاج 2004م، ص121.

2_ مخلـف عبـد الله صالح: إمـارة قرمان في السياسـة المملوكيـة العثمانية،654–888هـ/ 1256–1483م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت الأردن،2015م، ص47.

3_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP.265-266

4 مفيد الزيدي: موسوعة العصر العثماني ، دار أسامة ، عمان ط1 2003، ص13.

5_ Nicol ,D ,The Last Centuries of Byzantium ,1261-1453,(London,1972) ، P. 154.

وأيضاً: محمد فؤاد كوبريلي : قيام الدولة العثمانية ، ترجمة : أحمد السعيد سليمان ، القاهرة 1993م

6_ دوارد شـيفرد كريسي : تاريخ االتراك العثمانيين، ترجمة: أحمد سـالم سـالم، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر ، ط1 2019 ، ص23

والمدن الإسلامية في بلاد الشام، ووقوعها كإمارة تواجه الأراضي البيزنطية، جعلها إمارة أكثر أهمية من إمارات آسيا الصغرى والسبب الرئيس الذي جعل إمارة عثمان تعيش أكثر عمرًا من غيرها [1]. وعندما اعتلى السلطان عثمان عام 1326م/ 727هـ العرش خلفا لوالده أرطغرل، وجد الطريق ممهدا للزحف داخل الأراضي البيزنطية، وانتهج عثمان سياسة فرِّق تَسُد بين قادة المدن والقلاع البيزنطية في آسيا الصغرى، وبهذه الطريقة نجح في الإستيلاء على العديد من القلاع البيزنطية[2] ثم ركز جهوده على المدن الكبيرة المعزولة، وبدأ بفتح مدينة بورصة (بروسة) Proussa في عام 1326م/ 728هـ[3]

ما لبث وأن تولى بعد عثمان ابنه أورخانOrkhan [4]،والذي قرر نقل مقر دولته

1_ تيسير جبارة : تاريخ الدولة العثمانية، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا جامعة القدس المفتوحة ، فلسطين ،2015، ص 22.

2_ فضل شلق ورضوان السيد : العلاقات العثمانية –البيزنطية ، مجلة الأجتهاد، عدد41، دار االجتهاد لالبحاث والترجمة والنشر، بيروت 1999م، ص11

3_ بورصة (بروسة) Proussa: يضم الباء الموحدة وسكون الراء وفتح السين المهملتين وألف في الآخر. وربما أبدلت السين صادا مهملة وهي مدينة كبيرة في آسيا الصغرى إلى الشمال الغربي من جنوب غرب البحر الأسود، مبنية بالطوب والحجر، وشقوقها من الخشب، وبها مساجد وأسواق وحمامات، ولها سور عظيم، وبوسطها قلعة شاهقة مرتفعة البناء بها سكن سلطانها، وفيها قصور عظيمة متعددة، وجامع وثلاث حمامات، وهي حسنة الأسواق فسيحة الشوارع، تحف بها البساتين من جميع جهاتها وخارج ربض المدينة نهران أحدهما يسمى (ككدرا) ومعناه واد أزرق، والنهر الثاني يسمى (مثرباشى)، وبها جبل عظيم اسمه (كمش) به معدن فضة، وهي أيضا عاصمة بيثينا القديمة، وتعد واحدة من أكبر وأعظم المدن البيزنطية بآسيا الصغرى، وتقع على ربوة مرتفعة على سفح جبل أوليمبوس، وعلى بعد ستة عشر ميلا من ساحل بحر مرمرة وتبعد عن القسطنطينية بحوالي مائة كيلو متر فقط . انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، جـ5، ص 343؛ ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، جـ1، طـ1، دار إحياء العلوم، بيروت،1987م، ص 204.

4_ السلطان أورخانOrkhan: ولد عام 1279–1281م / 678–680 هـ وهو أكبر أبناء عثمان، وكانت أمه ملك خاتون ابنة الشيخ "أديالى من قرية إيتبورنو بالقرب من إسكى شهر، ولقد تزوج عام 699هـ/ 1299م من ابنة يار حصار واسمها نيلوفير خاتون وعمره اثنتا عشرة سنة، وما أن بلغ سن المراهقة حتى ظهرت عليه مخائل النجابة والذكاء ومال إلى حمل السلاح وقد قلده والده قيادة الجيش في جملة غزوات فعاد منتصرا، وعندما ارتقى الملك كان يناهز الأربعين . وقيل أن ذلك في رمضان من عام 726هـ/ أغسطس 1326م، وأقام أورخان أخاه علاء الدين باشا وزيره له، وبلغت مدة حكمه حوالى 27 سنة .انظر: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة

إلـى مدينـة بورصة وأرسـل قواته لفتح ماتبقي من آسـيا الصغرى [1] وأثناء ذلك سـعى الإمبراطـور أندرونيقـوس الثالث لإيقاف التقدم العثماني المندفع تجاه القسـطنطينية، لذلـك قاد بنفسـه حملة عبـر بها البوسـفور، وأنهـزم البيزنطيين، وأصيـب الإمبراطور البيزنطي في المعركة، وولى هاربا الى القسطنطينية وكان هروبه إيذانا بتخلي البيزنطيين عن آسيا الصغرى الى الأبد، بعد فقدان مدينة نيقية في عام 1331م/ 733هـ[2]

وفيما يخص التدخل العثماني في مشاكل العرش البيزنطي فيذكر المؤرخ البيزنطي ميخائيـل دوكاس Michael Doukas أن الإمبراطـورة "آنـا" أرسـلت سـفارة إلـى أورخـان لعقد اتفاقية تحالف معه، وكان من أهم بنودها : حصول السـلطان على كمية كبيـرة مـن الذهب، وحريـة التجارة من بيع وشـراء للتجار العثمانيين فـي جميع أنحاء الإمبراطوريـة البيزنطيـة، وللعثمانييـن الحريـة الكاملة في بيع الأسـرى البيزنطيين من جيش كانتاكيوزين داخل القسـطنطينية وخارجها، بل على الإمبراطورة تسـهيل عملية نقل هؤلاء الأسرى[3]

الإنشـا،جـ5،دار الكتـب الأميرية، القاهـرة،1915م، ص 367 ؛ القرماني : أخبار الدول وأثـار الأول في التاريخ، تحقيـق فهمي سـعد وأحمد حطيـط، مج3،طـ1،عالم الكتب، بـيروت 1992م،ص10؛ خليل أفنـدي مطران :مرآة الأيـام في ملخـص التاريخ العام، مـصر،1897م، ص 352؛ محمد فريد بك : تاريخ الدولـة العلية العثمانية، تحقيق إحسـان حقي،طـ1 ،دار النفائس،القاهـرة، 1896م، ص 40 ؛ إبراهيـم بك حليـم : تاريخ الدولـة العثمانية العلية (المعروف بالتحفة الحليمية)،طـ1 ،مؤسسـة الكتب الثقافية، بيروت، 1988م، ص 36 ؛ عزتلو يوسـف بك آصاف : تاريخ سـلاطين بنى عثمان، تقديم محمد زينهم محمد عزب، مطبعة مدبولي، القاهرة،1995م، صـ33. للمزيد من التفاصيل عن أورخان. انظر:

أيه سعد الدين:أورخان غازي، دار اكتب للنشر والتوزيع،2014م.

1_ محمـد فريـد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق :د.إحسـان حقـي ، دار النفائس، بيروت، ط1، 1981، ص124

2_ نيقيـة Nicae مدينـة يونانية قديمـة بنيت فى عهد الإمبراطـور أنتيجونـوس Antigonus فى عام 316ق.م، وكانت تسـمى أنتيجون Antigonia، وتبعد عن القسـطنطينية بحوالى 430 متراً من الجنوب الغربى، وتقع شرق مدينة أنكور Ancore القديمة، وأطلق عليها ليسـياكو Lysimaque اسـم نيقية، ولقد احتلها القوط عام 259م، واسـتولى عليها السـلاجقة عـام 1084م، وحاصرهـا الصليبيون عـام 1097م. وكانت عاصمة لآسـيا الصغرى، واشـتهرت بعمل الخزف والسجاجيد لمزيد من التفاصيل انظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية،، ص 40.

3 ()Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP.70-72.

الجديـر بالذكر أن اسـتعانة الإمبراطورة "آنا" بالسـلطان أورخـان كانت خطوة غير محسـوبة تمامـا[1]، وقد اسـتمع السـلطان أورخان إلى سـفراء الإمبراطـورة والعرض الذي قدمته، فهبَّ واقفًا من فرط سـروره، ووافق في الحال على هذا العرض، وأرسل إلـى الإمبراطورة قوة مؤلفة من عشـرة آلاف جندي، وعند وصولهم إلى القسـطنطينية اسـتقبلوا بترحيـب حـار بعـد أن تمتعـت تلـك القـوة بضيافـة الإمبراطورة وشـعبها، واصطدمـت بقـوات كانتاكوزيـن ولكنهـا لـم تتمكن مـن تحقيق أي مكاسـب ضده، وذلك بسبب مهاراته العسكرية الفائقة وبسالته العالية، بل قام كانتاكيوزين بقتل جميع الأسرى العثمانيين الذين تم أسرهم أثناء القتال[2]

يشـير المـؤرخ البيزنطـي ميخائيـل دوكاس Michael Doukas إلـى أن القوات العثمانية ما لبثت أن تخلت عن فكرة مواصلة القتال ضد كانتاكيوزين، ولكن دوكاس لم يبين لنا السبب في ذلك [3] وربما يرجع السبب إلى أن القوات العثمانية كانت لديها تعليمات من السـلطان أورخان بعدم حسـم المعركة لصالح الإمبراطورة، حتى يطول أمـد القتال على العرش البيزنطي، وبذلـك أيضا تطول فرصة تدخل العثمانيين في هذا الصراع.

بدأت العلاقات البيزنطية العثمانية تأخذ اتجاه التعامل مع طرفي الصراع، ففي عام سـنة 1345م / 747ه أرسـل كانتاكيوزين سـفارة إلى أورخان يطلب منه أن يرسل إليه خمسة آلاف جندي لمساعدته، لأن البيزنطيين قد ألحقوا الظلم به، وأنه أحق بالوصاية

---

1 Grousset,R.,L'Empire Du Levant,Paris,1946,P.607. علي الرغم من أن دوكاس قد صرح بوضوح أن أورخان كان سعيدًا جدًا لمساعدة الإمبراطورة "آنا" في صراعها في الحرب الأهلية ضد كانتاكيوزين وأن الإمبراطورة حاولت عقـد اتفاقيـة مـع أورخان ولكـن هنا أخفـق دوكاس في تصريحه لأن الإمبراطـورة كانت في ذلـك الوقت في صيف 1346م تسـعي للحصول علي اتفاق سري مع الأتراك السـلاجقة لإمارة صاروخان الذين أمدوها بقوة عسـكرية بلغت سـتة آلاف مقاتل سـاروا عـبر الأراضي البلغارية ومنها إلي تراقيا، وبذلك كان الاتفـاق مع أتراك صاروخان وليس مع العثمانيين، وما يؤكد ذلك هو زواج ابنه كانتاكوزين من أورخان. انظر:

Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.272. No.45.

2_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.72 .

3_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.72-73 .

على حنا، ووعد أن يزوج ابنته لأورخان، وأنه سوف ينفذ له كل رغباته وسوف يعامله كابن له، وسوف يعترف بالسلطان أورخان سيدًا على بيثينيا Bithynia [1] و كان أورخان أكثر ميلا للوقوف بجانب كانتاكيوزين، وأعرض عن تقديم المساعدة إلى الإمبراطورة "آنا"، لا سيما أنه رأى أن عروض كانتاكيوزين أفضل بكثير من عروضها على السفراء وأمرهم بالعودة، بعد أن أقسم أمامهم أنه كصهر لحنا كانتاكيوزين، سوف يقدم له المساعدات العسكرية بدون تردد كابنٍ إلى والده، وتم الاتفاق بين الطرفين على إرسال العروس مع المهر إليه قبل الصيف [2].وأرسل مع السفراء قوات عثمانية ساعدت كانتاكيوزين في الاستيلاء على كل المدن البيزنطية الواقعة على سواحل البحر الأسود شمال القسطنطينية، عدا مدينة سوزوبوليس Sozopolis [3]، ومساعدة في فرض الحصار على مدينة القسطنطينية في سنة 1345م/ 747هـ، وتخريب ضواحيها ثم عادت محملة بالغنائم التي أغرت شهية السلطان أورخان [4]، ويذكر المؤرخ كاستيلان Castellan أن هذه المرة الأولى التي يدخل فيها العثمانيون البلقان [5]

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.72; CF.also: Alix,M.، Precis De L'Histoire De L'Empire Ottoman,Tome.I,Paris,1822,P.7;Brehier، L.,Vie et Mort de Byzance,P.437;Gibbons,H.,The Foundation of the Ottoman Empire,P.93 .

2_ عبر المؤرخ ميخائيل دوكاس عن موقف أورخان من عروض كانتاكيوزين، بقوله "عندما سمع أورخان عرض السفراء، وكان كالثور الذي أصيب بعطش شديد بسبب حرارة الصيف المؤلمة، وعندما جاء ليشرب فتح فمه على آخره، ولكنه كان يشرب من ثقب ضيق في قربة مليئة بالماء البارد، ولم يكن هذا الثقب قادرًا على ملئ فمه، إن البربري (أورخان) كان عاجزا عن ضبط النفس، فعندما سمع بالموافقة على زواجه من ابنة كانتاكوزين، وحجم المهر والهدايا التي أرسلها له كانتاكوزين، وافق على وجه السرعة".انظر:
Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.73

3_ مدينة سوزوبوليس تقع في منطقة تراقيا على البحر الأسود كانت تعرف قديمًا باسم أبولونيا Appolonia وحديثا باسم سوزوبول Sozopol في بلغاريا، تقع علي ساحل البحر الأسود، كانت مركزا تجاريا كبيرا يجمع بين الإمبراطورية البيزنطية والمملكة البلغارية، كانت تابعة لمدينة بسيديا pisidia القديمة، تعرضت لهجوم القائد البيزنطي ميخائيل جلاباس طارخانيوس عام 163م. انظر: محمد فتحي الشاعر: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي "عصر جوستنيان"، القاهرة 1989، ص 41هامش (71).

4_ Wittek,P.,The Rise of Ottoman Empire، London,1958، PP.43-44 .

5_ Castellan,G.، History of the Balkans,Tr.by Nicolas Bradley,NewYork ,1992,P.43

أمـا بخصـوص مسـألة إتمـام زواج السـلطان أورخـان من ابنـة كانتاكيوزيـن، فقد ماطـل فيهـا الأخير، وهذا ما يبدو لنا من كلام المؤرخين الذين أشـاروا إلى أن الاتفاق مـع أورخـان تم تنفيـذه على كره، لاسـيما بعد أن هـدده أورخان بالتحـول إلى جانب الإمبراطورة "آنا"[1]

مـن جانب آخر، تم زواج أورخان من ثيـودرا – ابنة كانتاكيوزين – وأدى ذلك إلى توثيـق العلاقات وروابط الصداقة بين الإمبراطوريتين البيزنطية والعثمانية[2]، وسـمح أيضا للعثمانيين بالتدخل في الشـؤون الداخلية البيزنطية[3]وعقب ذلك أرسل أورخان جيشًـا لمسـاعدة كانتاكيوزين في دخول القسـطنطينية وتثبيته على العـرش[4]، ودخل كانتاكيوزين القسـطنطينية مسـاء يوم الجمعة الثالث مـن فبراير عام 1347م/ 749هـ، وأجبـر الإمبراطـورة "آنـا" علـى توقيـع الاعتراف بـه كإمبراطور مشـارك فـي الحكم لحنـا الخامس، وزواج الأخير الذى كان عمره خمسـة عشـر عاما مـن هيلين Helen ابنـة كانتاكيوزيـن [5] ليجلس على عـرش الإمبراطورية إمبراطوران حنـا الخامس و (كانتاكيوزيـن) حنـا السـادس [6]، وهكـذا انتهـت الحرب الأهليـة التي كانـت لصالح السلطان العثماني [7]

1_ Grousset,R.,LEmpire Du Levant,P.607.

2_ Barker,J.,Turkey in Europe,P.149.

3_ خليل إينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، بنغازي،2002م، ص 19– 20.

4_ Gregoras,N.,Byzantinae Historiae,Vol.II,PP.748-749;CF.also: Gibbons,H.، The Foundation of the Ottoman Empire,P. 93;Grousset,R.,L'Empire Du Levant,PP.607-608.

5_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP.74-76;Cantacuzenus ، J.,Historiarum,Vol.II ، PP. 591-596-602-615، Vol.III ,PP.29-30

راجـع ايضـا: محمود محمد الحويـري: تاريخ الدولـة العثمانية في العصور الوسـطى، ط1، المكتب المـصري للتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2002م، ص44 ؛ زبيدة عطا : بلاد الترك في العصور الوسطى،ص159.

6_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP.75-76.

7_ Gibbons,H.,The Foundation of the Ottoman Empire,P. 94 .

انظر: أسـد رسـتم: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، جـ2، ط1، دار المكشوف، بـيروت،1956م، ص236؛ صلاح ضبيع: العلاقات السياسـية بين العثمانيـين والإمبراطورية البيزنطية في عهد آل باليولوجوس ص169.

مـا لبث وأن تجدد الصراع بين كانتاكيوزين وحنـا الخامس، حيث توجه الأول في صيف عام 1354م/ 756هـ إلى تيندوس Tenedos [1] لمحاولة تسوية الخلاف مع صهره وحنا الخامس، ولكنه فشـل في تحقيق ذلـك لأن الإمبراطور حنا الخامس علم حينها أن الظروف أصبحت لصالحه وعقد اتفاق بينه وبين القرصان الجنوي فرانشيسكو جاتيلوسـيو Francesco Gattilusio وسـيطر على القسـطنطينية، وبسبب كراهية سـكان القسـطنطينية كانتاكيوزين، اضطر الأخير أن يتنازل عن الحكم في 4 ديسـمبر سنة 1354م/ 756هـ، ودخل دير في القسطنطينية وارتدى مسوح الرهبان تحت اسم جوزيف Joasaph وظل طوال التسعة والعشرين عاما الأخيرة من حياته الطويلة راهبا معتزلا السياسة [2].

علـى الرغـم من إجمـاع المؤرخين علـى تحمل حنـا كانتاكيوزين مسـؤولية جلب العثمانيين الي أوروبا، فلا ينبغي أن نحمله المسؤولية كاملة، فقد حاولت الإمبراطورة "آنا" من قبل الاستعانة بالسلطان العثماني أورخان نفسه ولكنه رفض مساعدتها وفضل عليهـا كانتاكيوزيـن، وفي النهاية سـواء كان هذا أم ذاك فإنه من المؤكـد أن العثمانيين كانـوا سـيعبرون ويسـتقرون في الجانـب الأوروبي للأراضـي البيزنطيـة كتطور ونمو طبيعـي لفتوحاتهـم، التي دعمت من خلال الإجراءات التي قام بها السـلطان العثماني أورخان، التي كان أهمها إرسـال أعداد ضخمة من الرعاة التركمان من آسـيا الصغرى إلى تراقيا لتتريكها (لجعلها عثمانية) ومنع تكوين أي مجهود مسيحي لطرد العثمانيين

1_ تيندوس Tenedos: اسمها الحالي بوزجادا Bozcada وهي جزيرة تركية تقع شمال شرقي بحر إيجة، وتبعد أربعة وعشرين كيلو متر إلى الجنوب الغربي من مضيق الدردانيل وتبعد عن ثلاثين فرسخا عن جزيرة كريت مر بها السفير الأسباني كلابيخو عام 1403م ووجدها خالية من السكان طبقا لاتفاقية تورين عام 1381م. انظر: دانيال الراهب: وصف الأرض المقدسـة في فلسطين، ص 43؛ نيقولو باربارو: الفتح الإسلامي للقسطنطينية1453م، ترجمة: حاتم عبد الرحمن الطحاوي، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة 2002م، ص105.

2_ Doukas,M.، Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks، PP .77-78 ;Cantacuzenus، J.,Historiarum,Vol.III,P.284;Gregoras,N.,Byzantinae Historiae,Vol. III,PP.241-242.

انظر أيضا: هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسـطى، ترجمة أحمد رضا محمد، جـ2،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1994م، ص174

من أوروبا، ولهذا اضطر حنا الخامس إلى الاعتراف بكل فتوحات أورخان في أوروبا في مقابل أن يسمح أورخان بتسهيل وصول المؤن إلى القسطنطينية.[1]

1ـ صلاح ضبيع: العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية في عهد أل باليولوجوس، ص120؛ محمود محمد الحويري: تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص 48.

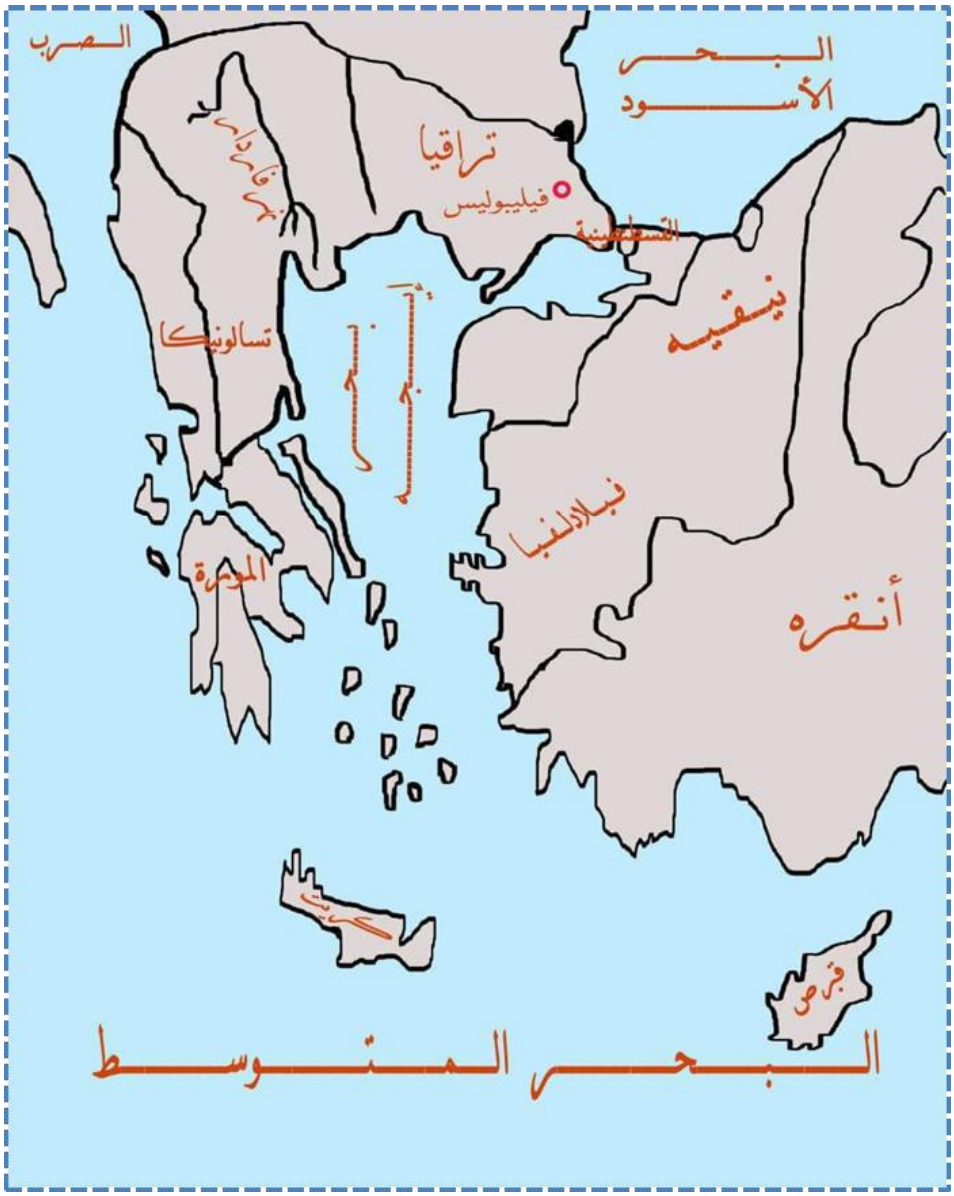

حدود الإمبراطورية البيزنطية مطلع عام 1363م/ 765 ه

استيلاء العثمانيين على فيليبوبوليس وبداية التهديد الفعلي لبيزنطة

على أية حال، بدأ فصلٌ جديد من العلاقات البيزنطية العثمانية بوفاة السلطان أورخان[1]، وبتولي ابنه السلطان مراد الأول Murad I 1360 – 1389م/ 791 –762م[2] ما لبث العثمانيون أن ازدادت رغبتهم في الاستيلاء على الأملاك البيزنطية في الأراضي الأوربية ، وقام باكتساح منطقة البلقان، لينجح فى الاستيلاء على أدرنة(أدريانوبل) Adrianople– ثانى أكبر المدن البيزنطية بعد القسطنطينية [3]،وذلك فى عام 1361م/ 762هـ، وهو ما أعطى العثمانيين مكانًا استراتيجيا رائعًا، يهددون من خلاله مدينة القسطنطينية التى تبعد

1_ قيل أن سبب وفاة أورخان حزنه علي ابنه وولى عهده سليمان باشا الذي توفي 1358م حيث سقط من علي حصانه ومات فحزن أورخان عليه حزناً كبيراً، دُفن السلطان أورخان في مدينة بورسة في عام 1360م، عن عمر ثلاث وثمانين سنة، وكانت مدة حكمة ثلاث وثلاثين سنة. للمزيد من التفاصيل انظر: عبد الباسط علي الفاخوري: تحفة الأنام مختصر تاريخ الأسلام، ط1، شعبة المعارف، بيروت،1902م، ص196.

2_ السلطان مراد الأول : هو ثالث سلاطين آل عثمان، وهو أول من تلقب بلقب سلطان بينهم، بعد أن كان والده وجده يحملون لقب "بك" و "أمير"، تولى الحكم بعد وفاه والده عام 1360م، وكان عمره 36 عاما وقتها، واستمرت فتره حكمه لمده 31 سنه، تمكن خلالها من توسيع نطاق امارته حتى أصبحت قوة إقليمية كبيرة، ثم تابع فتوحاته وتوسعاته فى جنوب شرق أوروبا، فضم الكثير من البلاد إلى ممتلكاته وإلى ديار الإسلام.. أنظر :-
أوزتونا، يلماز؛ ترجمة: عدنان محمود سلمان (1431هـ – 2010م). موسوعة تاريخ الإمبراطوريَّة العُثمانيَّة السياسي والعسكري والحضاري، المُجلَّد الأوَّل (الطبعةالأولى). بيروت – لُبنان: الدار العربيَّة للموسوعات. صـ 94 96–.
وللمزيد عن مراد الأول ، انظر:
يوسف عبد الكريم: الدولة العثمانية في عهد السلطان مراد الأول،رسالة ماجستير لم تنشر بعد، كلية التربية، جامعة تكريت 2011م.

3_ أدريانوبل :Adrianopleies تقع على الضفة اليسرى لنهر مارتيزا Maritza وعند ملتقي ثلاث أنهار مارتيزا، وآردا Arda، وتونجا Toundja، تعني مدينة أدريان، نسبة إلي الإمبراطور الروماني هادريانوس Hadrianys حكم من 117–138م، وتأسست فوق موقع مدينة أوسكوداما Yscudama، وأطلق عليها الأتراك أدرنة Adrian، تقع منتصف نهر هبروس Hebros، كانت عاصمة لتراقيا، وتعتبر المدينة الثانية بعد العاصمة في الإمبراطورية البيزنطية التي تبعد عنها 46ميلا تقريبا، وكانت أقوي الحصون بين القسطنطينية ونهر الدانوب لوقوعها على طريق الحرب الرئيس لكل من بلجراد والقسطنطينية، وتحكم في الطرق المؤدية من العاصمة البيزنطية إلى جبال البلقان، بالإضافة إلى أنها مركزا للجيش البيزنطي والنظم الإدارية في البلقان، اتخذها العثمانيون قاعدة لهم للتقدم في أوروبا، حيث ظلت عاصمة لهم حتى فتح القسطنطينية عام 857هـ 1453–م. انظر:
Asikpasaoglu,Asikpasaoglu Tarihi,PP.57-58; CF.also:Shaw,S.,History Of the Ottoman Empire and Mdern Turkey,Vol.I,Cambridge,1976، P.18;
انظر: موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق عصام محمد الشحادات، ط1، دار بن الحزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،2002م، ص 35–36.

عنها حوالى 137 ميل[1] .

مـع التدخل المسـتمر مـن جانب العثمانيين في الشـؤون الداخليـة لبيزنطة، تزامن ذلك مع مواصلة القوات العثمانية للتقدم داخل الأراضى البيزنطيه بطول شواطئ نهر مارتيـزا[2] فاسـتولى القائد العثماني أفرينوس بك علـى مدينه فاردار warder[3]، أما القائد الآخر وهو لاشـاهين قام بمهاجمة والاستيلاء على مدينه فليبوبوليس[4]، وقد اختلف المؤرخون حول سـقوط مدينه فيليبوبوليس فى يـد العثمانين، ولكن الأغلبيه منهم أشارت إلى أن سقوطها قد حدث فى 1363م/ 765هـ.[5]

وبوقوع مدينه فيليبوبوليس، تمكن السـلطان مراد الأول من السـيطرة على وادى نهـر مارتيـزا Maritsa بالقـرب من أدرنه، الـذى يمد القسـطنطينية بالكثير من القمح والأرز، فضلا عن الضرائب الهائلة التى ترد إلى خزانة الدولة[6] كما أصبح البيزنطيون لأول مرة بعد سقوط فليبوبوليس محاصرين بالعثمانين فى أوروبا وآسيا[7].

مـع مـرور الوقت بات واضحاً، وعقب ما حدث فـي فليبوبوليس، أن الإمبراطورية

1_ Chalcocondyles,L.، Historiarm,p.112.

ايضـا انظـر: القرمانى: أخبـار الدول وآثـارُ الأُوَل فى التاريخ، بيروت د تأص 99 ؛ الحنبلى : شـذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج 7 ، بيروت 1931م، ص 24. راجع ايضاً:

Hidden,A.,The Otoman Dynasty,(New York,1912),P.20; Brehier، L.،

Life and Death of Byzantium، trans. Margaret Vaughan، (New York، 1977),P.318

2_ نهـر مارتيـزا : يطلق عليه أيضا اسـم نهـر مريج، وهو يتجه مـن بلغاريا نحو الشرق حتى أدرنـه، حيث يتجه جنوبًا ليشكل الحدود التركيه اليونانية، ثم يصب فى بحر أيجه. انظر :

Alxander P.Kazhdan,The Oxford Dictionary of Byzantium,p,560

3_ مدينه فاردار : تقع مدينه فاردار شرق قارفيرا beroia . انظر:

Alxander P.Kazhdan,The Oxford Dictionary of Byzantium,p,743

4_ فليبوبوليـس philippopolis : مدينـة حصينة تقع على سـفح جبل هيموس إلى الجنوب الشرقى من صوفيا، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها فيليب والد الاسكندر الأكبر، وتسمى اليوم بلوفديف . plovde انظر محمد فريد : تاريخ الدولة العلية العثمانية، دائره المعارف الإسلامية، القاهرة، جـ1، صـ225

5_ صـلاح محمـد ضبيع :فتـح القسـطنطينية العلاقات السياسـية بـين العثمانيـين والإمبراطورية البيزنطيـة فى عهد آل باليولوجوس، المكتب العربى للمعارف، ط1، القاهره، 2009م، صـ204

6_ محمود محمد الحويرى : تاريخ الدوله العثمانيه فى العصور الوسطى، ط1، القاهره، 2002، صـ51

7_ Hammer,V.,Histoire De L'Empire Ottoman.,Tom.1,p220 ; Grousset,R.,L'Empire Du Levant,Paris,1946,p.610

البيزنطية لا تستطيع الصمود أمام تقدم القوات العثمانية، ومن ثم وجدنا الإمبراطور حنا الخامس باليولوجس يوافق عن عقد معاهدة سلام مع السلطان مراد الأول أواخر عام 1363 م/ 765هـ وقد نصت على الآتى :

1 – عدم قيام الامبراطور باي محاولات لاسترداد الاراضى التى فقدها فى تراقيا سواء كان ذلك بواسطته او من خلال التحالف مع الصرب او اى اعداء آخرين للعثمانيين.

2 – قيام الامبراطور حنا بتقديم المساعدات العسكريه للسلطان العثمانى ضد الاتراك فى الأناضول

3 – حصل الأمبراطور حنا الخامس فى مقابل ذلك على وعد من السلطان مراد الأول بعدم الاعتداء عليه، ولا شك أن هذا البند الأخير هو الذي جعل الامبراطور البيزنطى يبرم هذه المعاهدة.

وحسبما وصف المؤرخ لويس بريه BrehierL الوضع بالقول إن الأمبراطور حنا الخامس اصبح بمقتضى هذه المعاهده تابعا للسلطان العثمانى [1].

في الوقت نفسه، كانت الإمارات التركمانية تسعى للخروج من السيطرة العثمانية، خاصة إمارة قرمان فوجدنا أميرها علاء الدين القرماني يحرض القاضي برهان الدين حاكم إمارة سيواس المجاورة لإمارته على التحالف معه ضد الوجود العثماني، بل واتصل بالإمبراطور البيزنطي حنا الخامس طالبا الانضمام له والقيام بهجوم مشترك ضد الأملاك العثمانية، ولم تذكر المصادر أي رد فعل من قبل الإمبراطور البيزنطي[2]

1_ Brehier,L.,Vie et Morte de Byzance,Paris 1946.p.452 : Nicol,D.,The Last Centuries of Byzantium ، p.273

2_ قام السلطان مراد بمهاجمة الأمير علاء الدين ونجح في إخضاعه، مما أضطر الأخير إلى طلب الصلح للحفاظ على ما تبقى من أملاكه ولكي يأمن السلطان جانبه، زوج السلطان لابنته نفيسة خاتون، للمزيد من التفاصيل، انظر: على بن صالح المجيد: إمارة قرمان ودورها السياسي في آسيا الصغرى خلال العصر المملوكي(654-888هـ/ 1256-1483م)، مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 55، ربيع الثاني 1433هـ، ص 261، ص293.

ومـن ثم يرجح الباحث أن الإمبراطور لم يلتفـت لتلك الدعوة إذ كانت أحوال بيزنطة لـم تكن لتجعله ليغامر بتجـدد القتال مرة أخرى ضد العثمانييـن، بالإضافة لما نصت عليه المعاهدة السابقة التي عقدها مع السلطان العثماني.

على أيه حال، ما لبث أن ظهر رد الفعل الأوروبي على سقوط مدينه فيليبوبوليس في يد العثمانيين، ففي عام 1364م/ 766هـ وجدنا البابا أوربان الخامس Urban V[1] يدعو لقيام حملة صليبية تضم ملك فرنسا حنا الثانى John II (1364-1351م)[2]، وملـك قبـرص بطـرس لوزنيـان Peter Lozenian(1369-1359م)[3]، على أن تقوم هذه الحملة بعد احتلال فلسطين من خلال الهجوم على مصر بالقضاء على اتراك آسيا الصغرى بما فيهم العثمانيين، وخلال الإعداد للحملة ناشد البابا الإمبراطور حنا الخامس للمشـاركة فى هذه الحملة وكان رده المبدئى هو خشـيته من انتقام السـلطان العثماني خاصة بعد ابرامه معاهده السـلام مع السـلطان مراد الأول، كما أنه اشـترط أن انضمامـه لتلك الحملة يتطلـب أولاً أن تقوم بالقضاء علـى العثمانيين الموجودين فـى تراقيا وإعادة هذا الإقليم لحـوزة الإمبراطورية ثم بعد ذلك ينضم إلى الحملة التى تتجـه إلى بلاد الشـام ولكن كان انحراف بطـرس لوزنيان عـام 1365م767هـ[4] عن

1_ البابا أوربان الخامس: هو بابا الكنيسة الكاثوليكية في الفترة من 28 سبتمبر 1362 إلى وفاته سنة 1370، وهو البابا السـادس من بابـوات أفينيون، وكان راهبًـا بندكتيًا، وظل على التزامـه بالنهج البندكتي حتى بعـد انتخابه للبابوية، فعاش حياة بساطة وتقشف. انظر:

George L. Williams، Papal Genealogy: The Families and Descendants of the Pope,p.,226

2_ حنـا الثانـى: ملك فرنسـا من عـام 1351 وحتى وفاته1364م، وهـو ابن الملك فيليب السـادس وثاني ملوك أسرة فالوا، وتعد أشهر الأحداث في عهده هزيمته في معركة بواتييه، والتي أسر فيها وسُجن في إنجلترا انظر:

John H.,Rosser,Historical Dictionary Of Byzantium,p.,215

3_ بطـرس لوزنيـان : تولى بطـرس لوزنيان عرش قبرص فى نوفمبر 1359م، واسـتمر على سياسـه والده فى التصدى للقوى البحريه التركيه، وبالفعل تمكن فى أغسطس 1361م من الاستيلاء على أنطاليا، التى كانت وقتئذ اهم ميناء يقع على الساحل الجنوبى لآسيا الصغرى . أنظر:

سـهير محمـد نعينـع، الحـروب الصليبيه المتأخـره حمله بطـرس الأول لوزنيـان المتأخره عـلى الأسـكندريه 1365م / 767هـ، عين للدراسات والبحوث الأنسانيه والاجتماعيه، القاهره، ط1، 2002م، ص74

4_ تعد سنه 1359م وهى عام ارتقاء بطرس لوزينيان عرش قبرص، بدايه مرحله جديده في تاريخ الحروب الصليبيه، اذا لم يقنـع بالغـارات المحليـه الصغـيرة على بعض الموانى والسـفن الأسـلاميه، وإنـما أراد أن يقـوم بحمله صليبيه

أهدافه وهجومه على الإسكندريه قد سبب احباطاً شديداً للإمبراطور البيزنطى لأنه قضى بذلك على آماله فى الاستفادة من تلك القوات [1].

على أية حال، فى الثامن عشر من إبريل عام 1365م / 767هـ وجدنا البابا اوربان يرسل إلى الإمبراطور البيزنطى حنا خطابا جاء فيه بأنه معجب باخلاصه للكنيسة الرومانية، وأنه سوف يرسل إليه حملة صليبية أخرى لإجلاء الأتراك العثمانيين عن أراضى الإمبراطوريه البيزنطية، ولكن كانت المفاجأة عندما جنح ملك قبرص بالحملة الصليبيه صوب الإسكندرية عام 1365م/ 767هـ بدلاً من محاربة الصليبيين[2]

ونتيجه لما سبق قرر الإمبراطور البيزنطى حنا الخامس القيام بزيارة إلى المجر فتمثلت العلاقات السياسية بين بيزنطة والمجر لطلب المساعدة من ملكها لويس الأول (1343-1382 Louisi I م) [3] ضد العثمانيين ويرافقه ولديه مانويل وميخائيل وترك ابنه اندرنيقوس يدير شئون البلاد أثناء غيابه، فأبحر فى منتصف شتاء عام 1365-1366م / 767-768هـ من البحر الأسود إلى الدانوب عبر الحدود الشمالية البلغارية لأن الطريق الحربى القديم أصبح تحت سيادة العثمانين فى ذلك الوقت، باحتلالهم مدينتي أدرنة وفيليبوبوليس فوصل إلى المجر والتقى مع ملكها

جديده على الشرق، وبالفعل قام بجوله طويله استمرت حوالى ثلاث سنوات إلى الغرب الأوروبى للدعايه لحملته والحصول على مساعدات من أجل تنفيذ ذلك، وبالفعل جمع قواته وهاجم مدينه الأسكندريه فى يوم الجمعه الموافق 10 أكتوبر عام 1365م، واقتحمها دون صعوبه، وفر أهالى المدينه بعد أن انتابتهم حاله من الذعر والخوف، ليظل بطرس سته أيام ينهب ويدمر فى المدينه، وانسحب منها عندما علم بقدوم القوات المملوكيه لمحاربته، وعندما عاد للغرب أقيمت له احتفالات كبرى لحمله صليبيه تعد فاشله بكل المقاييس، إذا كل ما حققته هو الحصول على بعض الغنائم . أنظر:

سعيد عبد الفتاح عاشور: قبرص والحروب الصليبيه، الهيئه المصريه العامه للكتاب، القاهرة، 2002، صـ62-69:
سهير نعينع : الحروب الصليبيه المتاخره " حمله بطرس الأول لوزنيان على الاسكندريه، صفحات متفرقه

1_ اميرة محمد محمود نافع: العثمانيون واوربا (753-805هـ / 1352-1402م)، صـ272

2_ ابراهيم احمد مصباح: السياسه الخارجيه للدوله البيزنطيةفى عهد الإمبراطور حنا الخامس باليو لوجوس، صـ102

3_ لويس الأول Louis I : كان ملكا لدوله المجر وكرواتيا منذ عام 1343م، كما كان ملكا لدوله بولندا منذ عام 1370م حتى وفاته، منحه البابا اينوسنت السادس لقب بطل المسيح، وكان من أكثر الملوك نشاطا وبراعه فى أواخر العصور الوسطى، حيث أمتدت سلطته الأقليميه إلى البحر الأدرياتى. انظر
John H.,Rosser,Historical Dictionary Of Byzantium,p.,249

لويس الأول ودارت مناقشات بينهما أسفرت عن موافقه ملك المجر الذى تميز وقومه بالطبيعه القاسيه _وذلك على حد تعبير ديميتريوس كيدونس الذى قد حضر اللقاء_ على القيام بحمله صليبيه لطرد العثمانيين من أوروبا ولكن بشرط أن تتحول كنيسة بيزنطة للكاثوليكية وذلك الشرط كان بايعاز من البابويه ولقد طلب منه لويس الأول ايضاً أن يترك ابنه مانويل كرهينه لديه ليثبت حسن نواياه بتنفيذ هذا الشرط، ثم تنازل مللك المجر للامبراطور البيزنطى عن فيدن التى قد احتلها البلغار العام الماضى، ثم اخذ الامبراطور طريق العوده الى القسطنطنية[1].

على أيه حال، وأثناء دعوة البابا للحملة المرتقبة والتي من أهدافها كما أعلن إنقاذ بيزنطة و التصدي للعثمانيين، كانت هناك مراسلات بينه وبين ملك المجر كشفت عن نواياهم الحقيقيه ازاء الامبراطور والشعب البيزنطى بل وارثوزكس البلقان بالكامل، فكلاهما ينظر اليهم باعتبارهم هراطقه، حيث حذر البابا الملك المجرى من التعامل معهم بجديه لانهم قوم غير موثوق بهم حيث لم يقبلوا الاتحاد لرغبتهم الكامله فى الاخلاص لكنيسه روما وانما لحاجتهم الملحه للمساعدة العسكريه ضد العثمانيين، كما امره بان الحمله الصليبيه التى يسعى الملك المجرى لتشكيلها انذاك ستكون من اجل حمايه الكاثوليك فقط، ومن ثم يمكن القول، ان اعداد الغرب الاوربى لحمله صليبيه ضخمه انذاك لم يكن الهدف منه انقاذ بيزنطه بقدر ما كان بدايه لادراك خطورة المد العثمانى فى اوربا، الذين وصلت غاراتهم حتى حدود المجر الكاثوليكيه، هذا فضلا عن رغبه البابويه فى الحفاظ على املاكها وقواعدها الرئيسية فى آسيا الصغرى [2] وبذلك يتضح لنا أن البابويه كانت دائما تسعى لتحقيق اهدافها أولاً، ولم تقم بمساعده بيزنطه، الا عندما احست انها على مقربه من الخطر العثمانى الذى اصبح يزداد يوما بعد يوم .

ما لبث وأن عاد الامبراطور حنا الخامس إلى مدينة القسطنطينية في اواخر عام 1371م/ 773هـ بعد غياب استمر حوالي سنتين في الغرب الأوروبي، لم يحقق

1_ ابراهيم أحمد مصباح : السياسه الخارجيه للدوله البيزنطيةفي عهد الأمبراطور حنا الخامس باليولوجوس ص_102
2_ اميرة محمد محمود نافع: العثمانيون واوربا (753-805هـ/ 1352-1402م)، ص_272-273

خلالها شيئا يذكر، ونظرا إلى أنه كان يعلم أن رحلته أثارت غضب السلطان مراد الأول فقام بإرسال ابنه ثيودور ليخدم في الجيش العثماني على وجه السرعة بعد عودته لامتصاص غضب السلطان مراد الأول، من ناحية، والسعي إلى إيقافه بالقيام بفتوحات جديدة في أراضيه من ناحية أخرى، وبالفعل هدأ من غضب السلطان مراد وأرضى كبرياءه، وعاد الوفاق بينه وبين الإمبراطور، وإن كان ظاهريا فقط [1].

وجد الإمبراطور حنا الخامس أنه لا مفر من التفاوض مع السلطان العثماني المهيمن على المنطقة آنذاك، وذلك بعد الانتصار الذي حققه العثمانيين على الصرب والذي عزز تواجدهم في منطقة البلقان، فأقدم على إقامة معاهدة سلام جديدة بينه وبين السلطان مراد الأول [2]، وسر عندما وجد أن السلطان كان على استعداد لإقامة معاهدة سلام معه [3]، وقد اختلف المؤرخون حول التاريخ الذي أبرمت فيه هذه المعاهدة، فالبعض يرى أنها قد تم التوصل إليها في وقت ما من سنة 1372م/ 774هـ، لأنه بحلول شتاء العام التالي 1373م/ 775هـ، كانت هناك قوات بيزنطية تابعه للإمبراطور حنا الخامس وابنه مانويل تقاتل مع قوات السلطان العثماني في آسيا الصغرى، طبقا لشروط المعاهدة والتزام حنا كفصل تابع للسلطان العثماني [4]، في حين يرى البعض الآخر

1_ Hammer,V.، Histoire De LEmpire Ottoman,Tom.I,P.254;Gibbons,H.,The Foundation of the Ottoman Empire,P.144;Lavallee,T.,Histoire de L'Empire Ottoman، P.145; Hidden، A.، the Ottoman Dynasty، P. 23 .

2_ Nicol,D.,The Last Centuries of Byzantium,P.287.

3 أومان: الإمبراطورية البيزنطية،ترجمة مصطفى طه بدر، القاهرة، 1992م، ص253 .

4_ Charanis,P.,The Strife Among the Palacologi and the Ottoman Turks,1370-1402، in Byzantion,Vol.XVI، Boston,1942-1943,P. 293; Nicol، D.,The Last Centuries of Byzantium، P.288; Ostrogaskey,G.,"ThePalaeologi"، in Camb Med.Hist، Vol.IV، Cambridge,1966,P.372.

فيما بعد وفي عام 1375م أبدت الباباوية قلقها حيال تلك الإتفاقية كتب الباب جوريجوري الحادي عشر إلي الإمبراطور يوحنا الخامس قائلا "هؤلاء الأتراك بعد الهدنة التي قطعتها معهم دخلت المدينة (القسطنطينية) في كثير من الناس وهناك تجرؤ علي أراء الكثير من الأعمال الفظيعة ونخشي أن تخدع جلالتك وتحتل المدينة" لم يكن البابا معنيا في المقام الأول بسلامة العاصمة البيزنطية ولكن كان يشير إلي وجود الجنود العثمانيين بالأحرى من المدنيين العاديين داخل القسطنطينية وقد نأخذ تصريحه دليل آخر علي الاتصالات بين بيزنطة والعثمانيين التي كان من الممكن أن يتم تسهيلها من خلال معاهدة السلام المبرمة بين حنا الخامس ومراد الاول . انظر:
Necipoglu,N.,Byzantium Between the Ottoman and the Latins، Cambridge,2009، P.120.

هـذه المعاهـدة عقدت في سـنة 1373م/ 775هـ.[1] وقد نصت هذه المعاهدة على: تعهد الإمبراطور بدفع جزية سنوية إلى السلطان مراد الأول، والاعتراف به سيدا عليه،وعد الإمبراطور بتقديم الخدمة العسـكرية بنفسـه إلى مراد عنـد اللزوم، وأعطاه ابنه مانويل كرهينة، تعهد الإمبراطور بالسـماح للأتراك العثمانيين بحرية دخول مدينة القسطنطينية[2]. وأخيرا أن يوافق السلطان العثماني على أن يحكم الإمبراطور ما تبقى له من أملاك الإمبراطورية، متمثلة في القسطنطينية وسالونيك مع بعض الجزر البحرية وجزء من المورة[3]

الجدير بالذكر، أن هناك سؤال يطرح نفسه، ألا وهو ما الدافع وراء عقد الإمبراطور حنـا الخامس هـذه المعاهدة المُذلة مع السـلطان مـراد الأول؟ إن ندرة الأسـباب في المصـادر جعلت من الصعوبة معرفة الهدف مـن وراء عقد الإمبراطور هذه المعاهدة، ولذلـك تنوعت الأسـباب التي ذكرها المؤرخـون، فالبعض ذكـر أن البابا جريجوري الحـادي عشـر Gregory XI (1370- 1387م)[4]، عقـد مؤتمـر فـي بدايـة عـام 1372م/ 774هـ لمناقشـة الإجراءات التي ينبغي القيام بهـا بخصوص تجميع قوات غربيـة لمقاومـة العثمانيين على الأراضـي البيزنطية، ولكن هـذا المؤتمر لم يصل إلى

1_ Cheyney، E.,The Dawn of A New Era,U.S.A.,1936.P.314.

أمـا إينالجيـك فعندما لم يسـتطع تحديد تاريخ هـذه المعاهدة قال " وافق الإمبراطور على قبول سـيادة السـلطان مراد الأول في بداية عام 1372م (773هـ) أو 1373م (774هـ). انظر:

Inalick,H.,The Emergence of the Ottoman، P.275.

2_ Gibbons,H.,The Foundation of the Ottoman Empire,P.135-136; Brehier,L.,Vie et Mort de Byzance,P.459 .

3_ Michaud,Histoire des Croisades,Tom.III,Paris,1849,P. 377.

4_ البابا جريجوري الحادي عشر (1370م1378-م):ولد في عام 1330باسم بيير روجر دي بيوفورت، آخر باباوات أفنيون السـبعة، وآخر البابوات الفرنسـيين، أعاد البابا جريجوري الحادي عشر المحكمة البابوية إلي روما بعد غياب في افنيون، تم تعينه كاردينال كنيسة سانتا ماريا نوفا من قبل عمه البابا كلمنت السادس (1342م1352-م) في سن الثامنة عشر أو التاسـعة عشر، تم إنتخابه بالإجماع للبابوية في أفنيون يوم ٣٠ ديسـمبر 1370م عن عمر يناهز الثانية والأربعين، وتوفي جريجوري الحادي عشر في روما في السابع والعشرين من مارس 1378م،تم دفنة في كنيسة سانتا ماريا، وبعد وفاته بفترة وجيزة حصلت حادثة الانشقاق الغربي. انظر:

Kelly,J.,Oxford Dictionary of Popes,Oxford,1996,PP.225-226.

إجـراءات فعالـه بخصوص مسـاعدة بيزنطة، كمـا كان حنا الخامس قـد فقد الأمل في قدوم مسـاعدة عملية من الغرب رغم كل التضحيات التي قدمها، ولهذا لم يكن أمامه سـوى خيار السـلام مـع العثمانيين، وربمـا أيضا أنـه كان غير قادر علـى التصدي لهم فوجد أن خير وسيلة لتلافي الهجوم هو عقد السلام معهم [1]

مـن الملاحـظ أن بعـض المؤرخين ذكـروا أن انتصار السـلطان مـراد في معركة نهـر مارتيـزا Martiza[2] علـى الصرب، وفتـح العثمانيين لمقدونيا وجـزء من ألبانيا وارسـال السـلطان مراد قائده لالا شاهين [3] لفتح تراقيا كان سـبباً في قيام الإمبراطور حنـا الخامس على توقيع هذه الاتفاقية[4]، كما أشـار البعض إلـى أن رغبة الإمبراطور البيزنطـي فـي البقاء على عرش الإمبراطورية البيزنطيـة والمحافظة على ما تبقى له من أراضٍ فـي تراقيـا هـي التي دفعته إلى إبـرام هذه المعاهـدة[5]، والمرجـح في كل هذه الأسـباب التي دفعت حنا الخامس إلى توقيع هذه المعاهدة مع السـلطان مراد الأول، وإن كان السـبب الأقـرب هو انتصار مـراد على الصرب في موقعة نهـر مارتيزا والذي

1_ Nicol,D.,The Last Centuries of Byzantium,P.287;Charanis,P.، The Strife Among the Palacologi and the Ottoman Turks,P.293-294 .

2_ معركـة مارتيـزا Martiza (ماريـكا 1371 (Maricaم: كانـت بـين الجانبين العثماني بقيادة مـراد الاول والصربي بقيادة فوكاشين Vukasin وأوجلجيشا Ugliesa . للمزيد من التفاصيل انظر:
Treadgold,W.,A History of Byzantine State and Society، Stanford,1997,P.780.

3_ الأمير لالا شاهين(1330-1388م): هو سياسي عثماني وقائد عسكري، ولد في بورصة عام 1330م، وقد تربي في خدمة السلطان العثماني أورخان ثم أسند إليه تربية ابنه الأمير مراد بن أورخان، ولالا هي كلمة فارسية تعني المربي، ولـما تولي السـلطان مـراد الأول الحكم عينه قائدًا للحملة العثمانية علي تراقيا فاسـتولي علي ديموتيخو سـنة 1360م وتوغل ليسـتولي علي أدريانوبل التي جعلها السـلطان عاصمة للدولة العثمانية وفي سـنة 1364م استولي الأمير لالا شـاهين عـلي بـروج وبلوفرين وهي ثـاني أكبر مدينة بلغاريـة بعد العاصمة صوفيـا، وكان واحد من قـادة العثمانيين في معركـة مارتيـزا 1371م،وفي عـام 1382م تولي حكم الروملي، وتوفي الأمير لالا شـاهين بعد هزيمة سـاحقة في معركـة بيلجا عام 1388م.انظر:منجم باشي أحمد: جامع الدول تاريخ الدولة العثمانية(698-1083هـ/ 1299-1672م)،تحقيق أحمد أغير أقجة،جـ1،طـ1،دار الكتب العلمية،بيروت،2020م،ص52.

4_ Inalick,H.، The Ottoman Empire:the Classical Age,1300-1600,London,1973,P.13
انظـر: نيقولا فاتـان: صعود العثمانيين1362-1451م، جـ1، ترجمة بشـير السـباعي، دار الفكر للنـشر والتوزيع، القاهرة،1993م، ص53 .

5_ Dereksen,D.,The Crescent and the Cross,New York,1964,P.115;Schevill,F.,The Balkan Peninsula، New York، 1933، P.189 .

ترتب عليه انقطاع وسائل الاتصال البرية بين القسطنطينية والغرب الأوروبي[1]

ويرى أحد المؤرخين أن الخضوع المهين الذي قدمه الإمبراطور حنا الخامس وأفراد أسرته إلى السلطان مراد قد أطال في عمر الإمبراطورية البيزنطية كثيرا، لا سيما وأن مراد كان في إمكانه الاستيلاء على القسطنطينية في سنة 1370م/ 772هـ[2]، وعلى الرغم من ذلك حكم بعض المؤرخين حكمًا قاسيا على حنا بسبب هذه المعاهدة، فقد وصفوه بالجبن لشراء السلام من السلطان مراد وخضوعه له[3]، وأشار البعض الآخر أن الإمبراطورية كان من مقاصدها الاستفادة من وجود مراد في آسيا، بدلا من مساعدته بفرقة عسكرية[4]

لا يمكننا بأية حال من الأحوال أن نعتبر تلك الاتفاقية نوعاً من العلاقات البيزنطية العثمانية التي تمثلت في التعايش السلمي بين الطرفين أو بالأحرى معاهدة صلح وسلام حقيقية، لأنها حولت بيزنطة إلى وضع التابع للعثمانيين ليس فترة حنا الخامس وحده، وإنما طوال عهد آل باليولوجوس الذين جاءوا بعده، ولا يمكننا أيضا أن نقول إن حنا الخامس قد اختار تلك الاتفاقية أو سياسة التعايش السلمي مع العثمانيين، لأنه كان مكرهًا على توقيعها نظرا لتخلى الغرب الأوروبي عن مساعدته في تلك الفترة.

في حقيقة الامر، يمكننا عندما ننظر إلى الوضع الذى كان فيه حنا الخامس مع العثمانيين نجد أنه يختلف تماما عن ذلك الذى كان عليه حنا كانتاكيوزين، إذ أصبح حنا الخامس بهذه الاتفاقية تابعًا للسلطان دافعًا للجزية، وعليه القيام بخدمة السلطان العسكرية، وهذا ما حدث بالفعل كما سوف نرى، أما كانتاكيوزين فقد اختار أن يكون حليفًا وصهرًا للسلطان العثماني ولم يرد على الإطلاق أن كانتاكيوزين في فترة من الفترات كان تابعًا دافعًا للجزية، أو خدم في حملات السلطان العسكرية، بل على العكس كان هو المستفيد من خدمات السلطان العسكرية التي مكنته من الجلوس على

1_ Schevill.,F.,The Balkan Peninsala,P.184 .

2_ أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص254 .

3_ Hammer,V.,Histoire De LEmpire Ottoman,Tom.I,P.254;Miller,W.,The Balkans، Romania، Bulgaria,Servia,New York، 1899، P. 286 .

4_ Emmenul,B.,Histoire de LEurope,Pairs,1945,P.299 .

العـرش البيزنطـي، ومن ثَم فإن حنـا الخامس ربما يكون قد أخطأ عندما اتخذ سياسـة عدائيـة تجاه تلك القوة الصاعدة منذ الوهلة الأولى منذ توليه العرش، ولم ينتهج نفس نهج كانتاكوزين في سياسة التعايش السلمى مع العثمانيين.

علـى أية حال، صَاحب الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس السـلطان العثماني مراد فـي حملته على آسـيا الصغرى، وذلك في أوائل عـام 1373م/ 775هـ، ليحارب معه تحـت رايتـه، لتصبح بيزنطـة ولاية تابعـة للعثمانيين، ممـا جعل البابويـة تعتبره ضمن حلف الكفار العثمانيين [1]

تدهور الدولة المملوكية وأثره على علاقتها ببيزنطة

وسـط الزخم من الأحداث السـابق ذكرها، كان من المعروف أن الشرق الإسلامي يقـوده منذ منتصف القرن الثالث عشـر الميلادي، الدولـة المملوكية والتي دخلت في مرحلـة جهاد إسـلامية مميزة ضـد الوجود الصليبي في بلاد الشـام، حتى نجحت في نهايـة هـذا القـرن من اسـتئصاله تمامًا وتحديدًا في عـام 1291م/ 690هـ [2] وظل سلاطين المماليك يسيطرون على مصر والشام، ونظرًا لتلك المكانة الهامة التي نالها المماليـك، كان مـن الطبيعـي أن يرتبطوا بأهم قوة على الحدود الإسـلامية، ألا وهي الإمبراطورية البيزنطية .

كان مـن المعروف أن كلا من الإمبراطورية البيزنطية وسـلطنة المماليك قد انتهجتا سياسـة التقـارب والتحالف التي أملتها طبيعة الظروف السياسـية الخاصـة بالطرفين [3] ومـع مطلـع القـرن الرابع عشـر الميـلادي، وفي عهـد خلفـاء ميخائيـل باليولوجوس

1_ Nicol,D. ، The Last Centuries of Byzantium ، PP.276-277 .

2_ عن نجاح المماليك في طرد الصليبيين في بلاد الشام، انظر:
محمـد فوزي رحيـل: نهاية الصليبيين: فتح عكا، دار عين للبحوث والدراسـات الإنسـانية، القاهرة 2009م، ياسر مصطفـى عبد الوهاب: الدعم الأوروبي للإمارات الصليبية في بلاد الشـام، مكتبة دار الشروق، الكويت 2022م، ص356-358.

3_ رسالة العلاقة بين الامبراطورية والمسلمين 86
سعيد عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص.27

Palaiologoes Michael، حرصت الإمبراطورية على استمرار الصداقة مع سلطنة المماليك، وتفادي الدخول في أي صراع مع المماليك وخسارة صداقتهم والحلف معهم، وذلك امتنعت الإمبراطورية عن الدخول في المخطط الصليبي والذي يسعى لتدمير سلطنة المماليك اقتصاديًا وذلك حتى يسهل عليهم السيطرة عليها عسكريًا، وبالتالي الزحف على الأماكن المقدسة في بلاد الشام كي يمكن السيطرة عليها [1].

ولكن حدث مع مطلع العقد السادس من القرن الرابع عشر الميلادي، بدأت الفوضى تنتشر في أركان السلطنة المملوكية نتيجة عدة عوامل، منها صغر سن السلاطين الذين تعاقبوا على تلك السلطنة، لتكون النتيجة الطبيعية لذلك هو ازدياد نفوذ كبار الأمراء واشتداد سطوتهم، وتحكمهم في مصالح البلاد والعباد، وتلاعبهم بالسلاطين الصغار – إما بالعزل أو بالتعيين – وفق أهوائهم [2] ولا ننسى أن مصر ابتليت أيضا بحملة صليبية كبرى هي حملة الملك القبرصي بطرس دو لوزينيان (1359 – 1369م / 761 – 771هـ)، على مدينة الإسكندرية وذلك

1_ كان من الملاحظ منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، لجوء كل من البابوية وبعض حكام وقادة الغرب الأوروبي إلى خبراء في شؤون الشرق والمسلمين، طالبين منهم إعداد دراسات عرفت باسم: "استعادة الأراضي المقدسة De Recupe ratione Terrae Sanctae" وقد كثرت الكتابات حول هذا الموضوع، وقد سبق للعديد من المؤرخين الإشارة إلى تلك الدراسات في معرض حديثهم عن الحركة الصليبية بعد القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: دو لافيل لورو De Laville le Roulx، وعزيز سوريال عطية Aziz.S. Atiya، ونورمان هوسلي Norman Housley، وأنطوني ليوبولد Antony Leopold. وعكف البعض على دراسة جانب معين منها، أو مشروع بعينه، بعد أن تلاحقت مشاريع استعادة الأراضي المقدسة في منطقة الشرق الأدنى الإسلامي. عاكسة حجم الصدمة التي أصابت الغرب الأوربي بعد أن تهاوت صروح أمالهم وإنجازاتهم التي حققوها في القرنيين الثاني والثالث عشر الميلادي/ السادس والسابع الهجري. للمزيد من التفاصيل، انظر:
ياسر مصطفى عبد الوهاب: الشرق الإسلامي في السياسة الأوروبية أواخر العصور الوسطى، مجلة دراسات، دولة الإمارات العربية المتحدة، العدد 46،2023م.

2_ كان هناك عدد من السلاطين المماليك تولوا العرش السلطاني وهم في سن صغيرة، ويتضح ذلك إذا عرفنا أن السلطان المنصور صلاح الدين محمد (1361 – 1363) تولى السلطنة وسنه ١٤ سنة، والسلطان الأشرف زين الدين أبو المعالى شعبان (1363) – (1379) تولى السلطنة وسنه عشر سنوات والسلطان المنصور علاء الدين على (1376 – 1381 م) تولى السلطنة وسنه ست سنوات والسلطان الصالح زين الدين أمير حاج (–1381 1382م) تولى السلطنة وسنه إحدى عشر سنة، عن ذلك انظر:
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج 11 ص 7 .

في عام (1365م/ 767هـ)[1]

رغم كل شيء حافظ المماليك على مكانتهم كقوة مؤثرة في العالم الإسلامي، واستمرت العلاقة الودية التي تربط الإمبراطورية البيزنطية بسلطنة المماليك حتى بعد وفاة السلطان الناصر محمد، وليس أدل على ذلك من قيام الإمبراطور البيزنطي حنا الخامس في عام 1368م/ 770هـ ببعث سفارة إلى السلطان المملوكي الأشرف شعبان (764-778هـ/ 1363-1376م)[2]، وذلك من أجل وقف الاضطهادات التي تحدث للمسيحيين في الشرق بعد مهاجمة الإسكندرية، ومن ثم التخفيف من شدة وطأة الحملة التي قادها بطرس لوزنيان، والتي حدثت كرد فعل عما فعله الملك القبرصي عقب مهاجمته لمدينة الإسكندرية في حملته عليها قبيل سنوات، ولم يكتف الإمبراطور البيزنطي بالسفارة السابقة، بل تبعها بسفارة أخرى محملة بالهدايا الثمينة، وذلك في عام 1369م/ 771هـ، وأخرى في العام التالي وكانت تهدف جميعًا إلى تنمية الروابط التجارية والصداقة وحماية التجارة بين الطرفين[3]. هذه هي ملامح العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية وسلطنة المماليك البحرية بكل سماتها؛ والتي غلب عليها الطابع الودي على الرغم من الاضطراب الذي شهدته في بداية الأمر.

1_ تعد سنة 1359م وهي عام ارتقاء بطرس دو لوزينيان عرش قبرص، بداية مرحلة جديدة في تاريخ الحروب الصليبية، إذ لم يقنع بالغارات المحلية الصغيرة على بعض الموانئ والسفن الإسلامية، وإنما أراد أن يقوم بحملة صليبية جديدة على الشرق، وبالفعل قام بجولة طويلة استمرت حوالى ثلاث سنوات إلى الغرب الأوروبي للدعاية لحملته والحصول على مساعداتٍ من أجل تنفيذ ذلك، وبالفعل جمع قواته وهاجم مدينة الإسكندرية في يوم الجمعة الموافق 10 أكتوبر عام 1365م، واقتحمها دون صعوبة، وفر أهالي المدينة بعد أن انتابتهم حالةٌ من الذعر والخوف، ليظل بطرس سته أيام ينهب ويدمر في المدينة، وانسحب منها عندما علم بقدوم القوات المملوكية لمحاربته، وعندما عاد للغرب أقيمت له احتفالات كبرى لحملة صليبية تعد فاشلة بكل المقاييس، إذ كل ما حققته هو الحصول على بعض الغنائم، لمزيد من التفاصيل:
المقريزي: السلوك، جـ 3، ص476. راجع أيضاً: سعيد عبد الفتاح عاشور: قبرص والحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2002، ص62-69؛ سهير نعينع: الحروب الصليبية المتأخرة "حملة بطرس الأول لوسينيان على الإسكندرية 747هـ/ 1365م"، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة2002م.

2_ عدنان علي طه: دولة المماليك الأولى في مصر والشام في عهد السلطان الأشرف شعبان،رسالة ماجستير لم تنشر بعد، جامعة اليرموك 2001م، ص33-34.

3_ المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص254، ق2،ص535، ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر،ص106، راجع ايضا: ليلى عبد الجواد: علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك، ص116-117.

ظهور تيمورلنك وإحياء القوة المغولية

وسـط الصراع الدائر بين بيزنطـة والدولة العثمانية، والذي يتفـاوت ما بين الصدام والصداقة المؤقتة، وفي الوقت نفسه كانت الدولة المملوكية تعاني أشد المعاناة بسبب مـا تمـر به من فوضى داخلية أواخر عصر الدولة البرجية، كان الجميع سـواء بيزنطة أو العثمانيين أو المماليك، على موعد مع ظهور قوة مؤثرة في الشـرق ليست بالجديدة، ولكـن تم إحياؤها من جديد ألا وهي قوة المغول Monogol [1]،كانت الإمبراطورية المغولية التي أسسها "جنكيز خان"، قد انقسمت الى العديد من الممالك أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، ومع موت أبي سعيد آخر إيلخانات فارس شهد العصر الذي تلى سـقوط أقـوى دويلات المغول، وهم مغول فـارس، والمقصود بهـا الدولة الإيلخانية عام 736 هـ/ 1336 م، بشـكل عام فوضى سياسـية في المشـرق في العراق وإيران، حيث بدأ النزاع على السـلطة بين أبناء الأسـرة الواحدة بسبب عدم وجود قانون لتنظيم وراثـة العـرش، ولم يصبح قانون الياسـا [2]، قادرًا على أن يفي بهـذا الأمر، بالإضافة

---

1 المغول قبائل وعشائر متعددة سكنت هضبة منغوليا شمال صحراء تموبي التي تمتد في أواسط آسيا جنوبي سيبريا وغرب منشوريا وشرق تركستان الشرقية، وأهم قبائلهم قبيلة التتار وفنقرات، وهاتان القبيلتان من أكثر قبائل آسيا الشمالية الصفـراء وحشـية، وقبيلة قيـات الصغيرة كانت تعرف باسـم يورجوفين، وهـي القبيلة التي أنجبـت جنكيز خان وقبائـل أويـرات وأرلاد وجلاير وعشـيرة كرانيت التي أصبحت أقـوى تلك القبائل، ومعها قبيلـة النايمان، وهناك القراخطائيون الذين أنشـأوا دولة كبرى، ومع ظهور جينكيز خان حرر قبيلته قيات من سـيطرة القراخطائيين. لمزيد من التفاصيل انظر:

عباس أقبال، تاريخ المغول منذ حملة جينكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: عبد الوهاب علوب، (المجمع الثقـافي أبـو ظبي 1420ه/ 2000م)، ص48049؛ محمد سـهيل طقـوش، تاريخ المغول العظـام والإيلخانيين دار النفائس، بيروت 2007م ص22-25. أيضًا:

Cloud Chen، The Monogol and The Near East، In Setton,K.M
A History of the Crusades، 1969، voll.2، pp.7150-716.

2_ عُرف عن الياسا أنها كلمةٌ مغولية تعني مرسومًا ملكيًّا، أو مجموعة من القوانين وضعها جنكيزخان وسار عليها، هو ومن جاء بعده من الخانات - السلاطين، وقد جاءت هذه اللفظة في المصادر المملوكية بأشكال مختلفة، منها "الساسا" و"الياسـة " وقـد أعطى المـؤرخ ابن تغري بردي تحليلا لمعنى كلمة الياسـا، فذكر أن أصل الكلمة لفظة السـيق: سي يسـا وهي لفظة مركبة من كلمتين: صدر الكلمة سي العجمي، وعجُزها يسـا بالتركي لأن سي بالعجمي ثلاثة، ويا بالمعنى الترتيب. فكأن قال: التراتيب الثلاثة. وبسـبب هذه الكلمة قسَّـم جنكيزخان ملك المغول ممالكَه على أولاده الثلاثة، وجعلها ثلاثة أقسام، وأوصاهم بوصايا لم يخرج عنها الترك، مع كثرتهم واختلاف أديانهم، فصاروا يقولون:

للاختلاف الحضاري الكبير بين هؤلاء الحكام البدويين ومدنية المحكومين وانعكس ذلك على سلوك كل منهما في حياته وعلاقاته، مما تسبب في عجز المغول في مجاراة الشعوب الذي يحكمونها [1]. لتتفكك القوى المغولية، وأصبحت تشمل عدة كيانات سياسية إسلامية صغيرة وكبيرة هنا وهناك، كان أهمها الدولة الجلائرية والتي اتخذت من بغداد مقر لها [2].

كان من الملاحظ، أنه في هذه الفترة، وعلى الرغم من الضعف الواضح للدولة المملوكية في مصر والشام[3] أنَّ حكام مغول فارس كانوا ينظرون دائمًا إلى المماليك على أنهم أقوي دول الشرق، فسعى كل منهم إلى التحالف مع مصر وتوالت السفارات خاصة من جانب الدولة الجلائرية، مثل سفارة الشيخ حسن الجلائري في عام 1350م/ 752هـ [4].

وعندما تولى أويس بن الشيخ حسن الجلائري الحكم في بغداد [5] حدث خلاف بينه وبين نائبه خواجا مرجان فسعى الاثنان للحصول على دعم المماليك وأرسل خواجا سفارة إلى مصر يعلن فيها خلع أويس وإقامة الخطبة باسم السلطان الأشرف شعبان وضرب السكة باسمه، وطلب أن يكون نائبه في بغداد وبطبيعة الحال رحَّب

سي يسا (بمعنى التراتيب الثلاثة التي رتبها جنكيزخان وهي تحديد علاقة الحاكم بالمحكوم، وعلاقة المحكومين فيما بينهم وعلاقة الفرد بالمجتمع المغولي). انظر:

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص 162 163-؛ راجع ايضا:

سعد الغامدي: الياسا دراسة نقدية تحليلية واستنتاجية، مجلد37، مجلة كلية الآداب، الإسكندرية 1990م، ص74-137.

1ـ حسن كريم : موسوعة تاريخ إيران السياسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت ـ 2008، ج2، ص313-314.

2ـ يرجع اسم الجلائرين إلى قبيلة جلائر، أو جلاير، وهم من أصل مغولي سكنوا في البداية وادي نهر أونن بمنغوليا، وتصاهروا مع أسرة جنكيزخان، وقدِموا مع هولاكو إلي إيران، وخاضوا معه بعض الحروب، ويعد الشيخ حسن برزك هو مؤسس الدولة الجلائرية في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي، للمزيد من التفاصيل، انظر: شعبان طرطور: الدولة الجلائريرية، القاهرة 1987م، ص7-9.

3ـ سعيد عاشور: العصر المماليكي - ص 89

4ـ المقريزي: السوك، ج2، ق3 ، ص 816.

5ـ ولد مُعز الدين أويس في عام 738م، وأمه هي حاجي مماخاتون، وعقب وفاة والده حسن برزك تولى حكم الدولة الجلائرية من بغداد في عام 756م،انظر: شعبان طرطور:الدولة الجلائريرية، ص24.

السلطان بذلك، وأكرم الرسل، وكتب له تقليدًا بنيابة بغداد، كما أرسل إليه الخلع التشريفية وذلك في عام 1365م / 767هـ[1]،وعند ذلك أرسل أويس سفارة للسلطان المملوكي يعلن فيها عصيان خواجا، ويعلن عزمه على محاربته، ويطلب منه عدم السماح لخواجا بالهرب نحو أراضي السلطان المملوكي، ولكن السلطان أهان رسل أويس وأعلن دعمه لخواجا[2] غير أن أويس انتصر على خواجا ودخل بغداد وسمل عين خواجا[3]، وهكذا ظلت الخلافات والاضطرابات منتشرة في دويلات مغول فارس.

في خضم تلك الأحداث، ظهرت القوة المغولية من جديد مع خروج تيمورلنك Tamerlan[4] من وسط آسيا بعد مرحلة شهدت تشتت شمل المغول، وانقسامهم إلى ممالك عدة، وذلك في النصف الأول من القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري، فقرر التحرك غربا، طامعاً في تأسيس إمبراطورية كبرى على غرار إمبراطورية جنكيز خان Chingis Khãn[5] ومن الملاحظ أن تيمورلنك بدأ في الظهور عندما

1_ المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص112

2_ المقريزي: السلوك، ج3، ق1، ص113

3_ المقريزي: السوك، ج3، ق1، ص244

4_ ولد تيمور لنك في عام 1336م/ 728هـ في قرية خواجة إيلغار قرب مدينة كش الواقعة جنوب مدينة سمرقند في إقليم ما وراء النهر، وهو ينتسب إلى قبيلة جوركان المغولية، وأصل اسمه "تيمور" وهو باللغة التركية يعني الحديد، ثم أضيف إلى اسمه كلمة "لنك"، ومعناها الأعرج نتيجة إصابته بالعرج، بعد أن تعرض لسهم في فخذه، أطلق عليه أثناء سرقته لبعض الأغنام. لمزيد من التفاصيل، انظر:

ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق :أحمد فايز الحمصي ،مؤسسة الرسالة ،بيروت 1986م،ص 39-40. كذلك ايضاً:

Sykes,P.,A history of Persia,2vols,(London,1969),vol.2,PP.116-117;Jean Paul Roux,Tamerlan، (Paris,1999),PP.33-42.

تعد دراسة بول سايكس من أهم الدراسات الحديثة التي تناولت تفاصيل بداية تيمورلنك.

5_ هو تيموجين ابن يسوكاي Yesugai زعيم قبيلة قيات، اختلف المؤرخون في تاريخ ميلاده، ولكن حسب الوثائق المعاصرة فإن ولادته كانت ما بين عامي 550-563ه/ 1155-1167م، وعقب وفاة والده وهو في سن الثالثة عشرة من عمره تولت والدته أمر الوصاية عليه حتى وصل للسن التي تؤهله لزعامة قبيلته، ونجح في فترة وجيزة في الانتصار على وانك خان Wang-Khan زعيم قبيلة الكرايت Keraits في معركة جيجر أوندور Jejer Undur ثم على يانج Uang زعيم قبيلة النايمان Naimans في معركة شقير ميوت Chakirmaut، ليسيطر

زادت الفتـن والاضطرابـات في إقليـم ما وراء النهـر عقب مقتل أقـوى حكامها هناك وهو الأمير قازغان في عام 1358م/ 760هـ، ليسـتغل تيمورلنك ذلك وأخذ فى غزو الأراضـى الخاضعة لدولة المغول الجغطائييـن [1]، وتخلص من كل خصومه فى فترة وجيـزة حتى أصبح تيمورلنك هو الشـخصية الرئيسـة فـي إقليم مـا وراء النهر في عام 1370م / 772هـ[2] .

اسـتمر تيمورلنـك في الاسـتيلاء على المـدن واحدةً تلـو الأخرى، ودخـل مدينة سَـمَرقَند فـي 14 أبريـل 1370 م، وأعلن نفسـه حاكمًـا عليها[3]، وزعم أنه مِن نسـل جغتـاي بـن جنكيـز خان، وأنـه يريد إعادة مجـد دولة المغـول، وقـام بتكوين مجلس شـورى من كبار الأمراء والعلماء. ثم قام بتنظيم جيش ضخم من المغول، وبدأ يتطلع إلـى بسـط نفوذه على المناطق المجـاورة، فاتجه إلى خـوارزم[4]، وغزاها أربع مرات نجح في المرة الأخيرة في الاسـتيلاء عليها وضمها إلى بلاده، بعد أن أصابها الخراب والتدميـر مـن جـراء الهجوم المتواصـل عليها' ليبدأ بعـد ذلك في مرحلـة جديدة من

على منطقة السهوب، وجنكيز خان تعنى "إمبراطور البشر جميعًا"، وكان أول من نجح في تنظيم إمبراطورية المغول، ووضع لهم قانونهم المعروف باسم "الياسا" "Ysa"، وكان لاتباع المغول لهذا القانون أثره في ترابط دولتهم وتفوقها، وفي عهده بلغ عدد قوات الجيش المغولي نحو ثمانمئة ألف رجل، وحين وفاته في عام 623ه/ 1227م بلغت دولته من الاتساع والقوة مبلغًا عظيمًا. لمزيد من التفاصيل، انظر:

David Morgan، The Monogol، (Oxford، 1945)، p. 55-57.

1_ تنسب الدولة الجغتائية إلي جغتاي Ghgatai بن جنكيز خان، ويطلق عليها خانية جغتاي، وعلى حاكمها خـان، وكانت عاصمة دولتهم هـي مدينة الماليق، وكان آخر حكامهم زمـن تيمورلنك هو توغلق تيمور، انظر:

الشيماء سيد كامل: نظم الحكم والإدارة في الدولة الجغتائية في تركستان الشرقية(624-771ه/ 1227-1369م)، مجلة الدراسـات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مجلد 34،العدد4،يوليو2016م، ص1935-1988، ص ص1935.

2_ ابن عربشاه: عجائب المقدور فى نوائب تيمور،ص42-45.

3_ أسـماء عبـد الله سـيد: التاريـخ السـياسي والحضـاري لمدينـة سـمرقند في عهـد تيمورلنـك(771-1370م) (807ه/ 1405م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار العلوم،جامعة الفيوم،2015م،ص68.

4_ خـوارزم مـن بلاد خراسـان، وخوارزم اسـم للكورة وهي وسـمرقند كور منقطعة من خراسـان ومـا وراء النهر، وتسمى مدينتها الكبرى قيلا، انظر:

الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه: إحسان عباس، الطبعة الثانية، مكتبة لبنان،1984م، ص224.

فتوحاتـه موجهـا أنظاره تجاه الاقتـراب من القوي الموجودة غرب سـلطانه، وخاصة المماليك والعثمانيين .

ومما سـبق يتضح لنا أن الصراعـات على العرش البيزنطي قد اسـتنزفت الدولة البيزنطية من كل مواردها وعدم التفكير في الإمبراطورية البيزنطية، ونجد ذلك واضحًا فـي الصـراع بين الإمبراطور حنـا كانتاكوزين والإمبراطور حنـا الخامس وأمه آنا أوف سـافوي، فنجـد أن كل طـرف من تلـك الأطـراف كان تفكيره في كيفيـة التخلص من الآخـر سـواء بالمؤامرات الداخلية أو الاسـتعانة بالقـوى الخارجية والتـي كان أهمها الأتراك العثمانيين، وعلى الرغم من مساعدة العثمانيين لقوى النزاع، إلا أنه كان لرغبة في تحقيق أطماعهم داخل الأراضي البيزنطية، فعندما قام حنا كانتاكوزين بالاسـتعانة بالعثمانييـن والمصاهـرة بينهم بزواج ابنته من السـلطان أورخـان كان ذلك بمثابة أول مسـمار يدق في نعش الإمبراطورية البيزنطية ؛ وهو ما عجل في سـقوط القسـطنطينية والمسـاعدات العثمانيـة لكانتاكوزيـن في دخول القسـطنطينية، وأيضـا عندما تدخل العثمانيـون فـي الصراع على العرش البيزنطي ومسـاندة يوحنـا الخامس، هو ما جعل الأخير ينجح في النهاية .

كان مـن الملاحـظ، أيضـا أن بيزنطة كانـت دائما تحتفـظ بعلاقات طيبة مـع الدولة المملوكية أهم قوي الشـرق الإسـلامي أواخر العصور الوسطى، ومن جانب آخر أدرك المماليك أهمية أن تسـتمر تلك العلاقة السـلمية في ظل ما عانت منه السلطة المملوكية من ضعف ووهن في العقدين السـادس والسـابع من القرن الرابع عشر، ولا نغفل أنه في ظل العلاقات والصراعات السياسية والعسكرية التي ربطت بين القوى الثلاثة (بيزنطة- العثمانييـن- المماليـك) أطل على الجميع طرفٌ آخر لم يكـن يتوقع أن يتوحد في تلك الفتـرة، وهم المغول والذين في عهد تيمور لنك سـوف يصبحون قوة فاعلة ومؤثرة في المنطقة – موضع الدراسة – وهو ما سوف يتم عرضه في الفصل الثاني من الدراسة.

الفصل الثاني

بيزنطة بين التدخل العثماني في مشاكلها الداخلية والتحالفات الدولية ضد الخطر المغولي (١٣٧٣-١٣٩٣م/٧٧٥-٧٩٥هـ)

- **العرش البيزنطي وتدخل السلطان العثماني مراد في الصراعات الداخلية.**
- **محاولات التحالف المملوكي العثماني ضد المغول، وأثرها على بيزنطة ١٣٨٨ -١٣٩١م**
- **استمرار محاولات العثمانيين في إضعاف بيزنطة والتدخل في شئونها الداخلية.**
- **استيلاء تيمور لنك على بغداد ١٣٩٣م / ٧٩٥هـ ومعاودة فكرة التحالف العثماني المملوكي.**

تناولنا فيما سبق العلاقات بين بيزنطة والقوى المجاورة في الشرق منذ سقوط فيلبوبوليس في عام 1363 م/ 765هـ، وتتبعنا تلك العلاقات ما بين سلمية وعدائية سواء مع العثمانيين، أو المماليك، حتى إحياء الدولة المغولية من جديد كقوة مؤثرة في الأحداث السياسية والعسكرية، وذلك مع ظهور تيمورلنك وتوسعاته في عام 1373م، وفيما يلي سوف نُلقي الضوء على مرحلة جديدة من موقف بيزنطة من الصراعات والتحالفات التي تتم في الجانب الشرقي منها وتحديدًا من القوة المؤثرة الواضحة في تلك الفترة وهي العثمانيين الطامحين في تكوين إمبراطورية مترامية الأطراف، والمماليك القوة الثابتة في الكيان الإسلامي، والمغول الراغبين في إعادة الأمجاد على يد زعيمهم تيمورلنك، تلك المرحلة التي بدأت في عام 1373م/ 775هـ، مع تقارب كل من الإمبراطور البيزنطي والسلطان العثماني للتصدي لمؤامرة داخلية تهدف للإطاحة بهما، مرورًا بالتدخل الواضح والفعلي للعثمانيين في مشاكل العرش البيزنطي، وتزامن ذلك مع ازدياد خطر المغول بسبب توسعات تيمورلنك، وهو ما أوجد محاولات متتالية لإقامة تحالف عثماني مملوكي للتصدي له، وأثر ذلك على أحوال بيزنطة، والتي مالبث أباطرتها أن أصبحوا خاضعين وباستمرار في تدخل سلاطين بنى عثمان في الشؤون الداخلية لإمبراطوريتهم، وسوف نعرض فيما يلي تفاصيل تلك الأحداث المتشابكة والتي استمرت حتى مطلع عام 1393م.

العرش البيزنطي وتدخل السلطان العثماني مراد في الصراعات الداخلية

في العقد السابع من القرن الرابع عشر الميلادي / الثامن الهجري، وتحديدًا عقب تلك المعاهدة التي أبرمها حنا الخامس مع السلطان العثماني في عام 1373م/ 775ه – والتي سبق الحديث عنها في الفصل الأول من الدراسة – وأثناء غيابه فى حملته على آسيا الصغرى مع السلطان العثمانى جعل ابنه أندرونيقوس الرابع نائبا عنه فى القسطنطينية، ولكن حدث أن قاد أندرونيقوس الرابع حركة عصيان ضد أبيه مستغلا غيابه وقام بالتحالف مع صاووجى- Sawgi أحد أبناء مراد الأول – وعقدا اتفاقًا فيما

بينهـم، وذلـك فى مدينة أدرنة فـي الأول من مايـو عـام 1373م [1]، وتضمن الاتفاق ثورتهما على والديهما وإزاحتهما من فوق عرشيهما، وذلك بأن يقوم صاووجى بقتل والده السـلطان مراد، وأن يقوم أندرونيقوس الرابع بقتل أبيه الإمبراطور حنا الخامس ويجلس هو على العرش البيزنطي[2].

تشـير الدراسـات الحديثة إلي أن سـبب ما حدث يرجع لوجود حقدٍ كانا يحملانه ضـد أبويهما، وذلك لتفضيـل إخوتهم عليهما فـكان ذلك الدافع الـذي جعلهما يتفقا على الإطاحة بوالديهما [3]. ويضيف بعض المؤرخين للأمر توضيحًا بالقول: أن سبب الثـورة التـي قام بها أندرونيقـوس ضد والده هـو الانتقام منه بعـد أن عزله من منصب النائـب وإدارة شـؤون الإمبراطوريـة بعد عودته من الغرب الأوروبـي ومنحها إلى ابنه الأخـر مانويل الثانى، وعندما قرر أندرونيقوس الانتقام من والده لم يجد أمامه سـوى الأمير العثماني صاووجي الذى شاركه فى الطبع والمشاعر والغيرة هو الآخر من أخيه الأصغر بايزيد ؛ بسبب استحواذ الأخير على حب والده السلطان مراد. [4]

على أية حال، فى السـادس من مايو سـنة 1373م أعلن أندرونيقوس الرابع ثورته ضـد والده، وضم القوات التى كانت تحت يده إلى قوات الأمير صاووجى، وقاما معا بثورة فى المدن البيزنطية والعثمانية، وطالبا سـكانها بالاعتراف بهما . وعندما وصلت أنباء خروج صاووجي على أبيه، وقام السلطان مراد باستدعاء الإمبرطور حنا الخامس علـى الفـور ولامه على مـا حدث من ابنه، وتقـدم الإمبراطور بالاعتذار من السـلطان

1_ كان لدى الإمبراطور حنا الخامس ثلاثة أبناء : أندرونيكوس، مانويل، ثيودور، أما السلطان مراد فقد أنجب أيضا ثلاثة أبناء هم: صاووجي، كوندوز، بايزيد، عن ذلك انظر:

Doukas,M.، Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks,p.79;CF.also: Edward S.,History of the Ottoman Turks,Beirut,1968,p.25.

2_ George Phrantzes,Annales,1259-1477,ed,by I Bekker,C. S H. B ,Bonne,1838,p50 ; Clavigo، Emabssy to Tamerlane ,1403-1406، Tr. From the Spanish by Guy Lestrang، First Published,London,1928,p.85;Doukas,M.، Decline and fall of Byzantium to the Ottoman Turks,p79.

3_ Hearsy، City of Constantine ,p.229; Creasy,History of the Ottoman Turks,p.25.

4_ Hammer,Histoire de LEmpire Ottoman,Tom.I,pp.254-255; Brehier، Vie et Morte de Byzance,p.459;Nicol,D.، The Last Centuries of Byzantium,p.287; Gibbon,The Foundation of the Ottoman Empire,p.149; Alexander Millingen,Byzantine Conatantinople,London,p.162.

العثماني لما بدر من ابنه، وأوضح أنه برئ تماما من أفعال ابنه [1].

والجدير بالذكر أنه تم الاتفاق بين السلطان العثمانى مراد والإمبراطور حنا الخامس على أنه عندما يتم القضاء على هذه الثورة يقوم الاثنان بحرمان ابنيهما من نعمة البصر وقتلهما، وكان ذلك إنذارًا لكل من تسول له نفسه بأن يقوم بثورة فى المستقبل [2]. وبالفعل تحرك كلا من العاهلين للقضاء على تلك الثورة، وتقدما على رأس جيش أكثره من العثمانيين [3]. ولقد ساعد الإمبراطور حنا الخامس فى نقل قوات السلطان العثمانى من آسيا إلي أوروبا [4]، وتقدم السلطان مراد بقواته حتى أصبح على مقرُبة من أبيكريديوم Apicridium - إحدى ضواحى القسطنطينية - حيث قام بمحاصرة المتمردين المتمركزين على نهر مارتيزا Martiza [5] والقضاء على ثورتيهما [6]

وفى منتصف الليل وبدون حماية قام السلطان مراد بنفسه بعبور النهر بجواده إلي الشاطئ الآخر، ونادى فى الجنود الموجودين فى معسكر ابنه، وطالبهم بالعودة إلى سابق عهدهم وواجبهم، واعدًا إياهم بالصفح، وبالفعل عندما سمع الجنود صوته وأدركوا أنه

1_ Phrantzes ,G.,Annales,1259-1477,Bonne,1838,p.50; Charanis,P.,"Internal Strife in Byzantium during the fourteenth century",p.293; Hammer,Historie de LEmpire Ottoman,Tom.I,p.255; Nicol,D. ، The Last Centuries of Byzantium,p.288; Ostrogorskey,"The Palaeologi",p.372.

2_ Clavigo,Embassy to Tomerlane ,1403-1406,Tr. From the Spanish by Guy Lestrang,First Published,pp.85-86;Loenertz(R.),"LaPremiereInsurrection ، AndronicIVPaleologue(1373)atEcho DOrient,TomXXXVIII ، Bucarest,1939,p.338 ; Hammer,Historie de LEmpire Ottoman,Tom.I,p.255; Creasy,History of the Ottoman Turks,p.25. حز First Published,London,1928,p.03-1406,Tr. From the Spanish by Guy Lestrang,First Published,London,1928,p.

له نفسه بأن يثور فى

3_ Alix,Precis De LHistoire De LEmpire Ottoman ,Tom.I,p.17.

4_ Charanis,"An Important Short Chronicle of The Fourteenth Century",p.294.

5_ يطلق علي نهر مارتيزا Martiza نهر مريج، وهو نهر يتجه من بلغاريا من ناحية الشرق حتي يصل إلي مدينة أدريانوبل ثم يتجة جنوبا ليشكل الحدود التركية اليونانية ثم يصب في بحر إيجة. عن ذلك انظر:
ابتسام محمد أحمد العرابي :العلاقات السياسية بين بيزنطة والغرب الأوربي من 1363-1453م،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الآداب جامعة كفر الشيخ،2018م،ص 27.

6_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP.79-80;CF.also: Barker، J.W.,Manuel II Palaeologus,1391-1425,A Study in Late Byzantine Statesmanship، New Jersey,1969,PP.14-23; Brehier,L.,Vie et Mort de Byzance,P.323;Hidden,A.,The Ottoman Dynasty، PP. 23-24 .

سـلطانهم، قاموا بالهروب من المعسكر تاركيين الأمير صاووجي ومعه أندرونيقوس الرابع ؛ وذلك خوفا من العقاب الذي سيحل بهم لو استمروا فى تلك الثورة، وتقدموا إلي السلطان العثمانـي والتمسـوا منه العفو والسـماح، وأخبروه أنهم كانوا مجبرين علـى طاعة أوامر ابنه صاووجي[1]. ليهرب الأميران المتمردان، وينجح السلطان العثماني مراد في القبض عليهما أواخر 1373م/ 775ه[2].وعلى الفور قام بتنفيذ ما وعد به الإمبراطور حنا الخامس، فعندما وقع ابنه فى يده أصدر أوامر بسَـمْلِ عينيه ثم قتله[3]. ثم قام بإرسـال أندرونيقوس الرابع فور القبض عليه مكبلا بالسلاسل إلى والده حنا الخامس بتنفيذ ما اتفقا عليه مسبقا، وهو القيام بسـمل عينـى ابنه أندرونيقوس لأنـه كان مذنبًا تمامًا مثـل صاووجي، وأخبره أنـه إذا لم يقم بتنفيذ أوامره، مثلما فعل هو مع ابنه فإنه سيشـعل ضده حربًا لا تراجع فيها[4].ويشـير كل من هيرسـي Hearsy وروبرت برونج Robert Browning بعض المؤرخين أن السـلطان مراد أمر أيضا الإمبراطور حنا الخامس بإزالة تلك التحصينات التى بناها خلف أحد أبواب القسطنطينية، والمسمي الباب الذهبي و الذي شيده الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير (379-395م) تخليدا لذكرى انتصاره على غريمة مكسيموس عام 388م[5].

1_ Hammer، Historie de LEmpire Ottoman، Tom.I,pp.255-256; Alix,Precis De LHistoire De LEmpire Ottoman ,Tom.I,p.17; Creasy,History of the Ottoman Turks ,p.25.

2_ Pharantzes,Annales,1259-1477,p.51; CF.also: Loenertz,"La Premiere Insurrection,Andronic IV Paleologue (1373),p.329; Hammer,Histoire De LEmpire Ottoman,Tom.I,p.256;Nicol,D.، The Last Centuries of Byzantium,p.288.

3_ أمـا عـن مصير الأمراء العثمانيين والبيزنطيين الذين اشـتركوا فى الثورة، فقد أمر السـلطان مراد بربطهم فى جماعات، وإلقائهـم من أعلى أسـوار مدينـة ديموتيقة فى مياه نهر ماريتزا، كان ذلك فى الوقت الذى كان يجلس فيه على شـاطئ النهر مبتسـما من السرعة التى كانوا يغرقون بها، كما أمر مراد أيضا آباء بعض الثوار بقتل أولادهم بأيديهم، وعندما رفض اثنان منهم القيام بتلك المهمة القاسية أصدر أوامره بقتلهما فورا.

Doukas,M.، Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,p.79;Clavigo,Empassy to Tamerlane,1403-1406,p.86;Phrantez، Annales,1259-1477,p.51; CF.also: Hammer,Histoire De LEmpire Ottoman,Tom.I,p.256;Creasy,S.,History of the Ottoman Turks,pp.25-26; Hidden,Alexander .W.، The Ottoman Dynasty,New-York,1912,pp.23-24;Lavallee,Histoire De LEmpire Ottoman,p.145.

4_ Doukas,M.، Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,p79; CF.also: Charanis,"The Strife Among the Palaeologi and The Ottoman Turks,"1370-1402",p.295.

5_ Hearsy، City of Constantine,324-1453,p.229 Browning Robert، The Byzantine Empire,New-York,1980,p.175.

وافـق الإمبراطـور حنـا الخامس على سـمل عيني ابنـه أندرونيقوس الرابـع، ولم يكتف بذلـك؛ بل قام بسـمْل عيني الطفل حنا بن أندرونيقوس، ولكـن أندرونيقوس لم يفقد بصره كامـلا، بـل فقـد الرؤية فقط لإحـدى عينيه[1] وتم سـجنه فى قلعة أنيمـاس Anemas[2]. ووضـع معه زوجته وابنه الطفل حنا[3]، وقام الإمبراطور أيضا بسـحب اللقب الإمبراطوري من ابنه أندرونيقوس الرابع، وقام باستدعاء ابنه الآخر مانويل من مدينة سالونيك[4]، وذلك في 25 سبتمبر سنة 1373م حيث جعله إمبراطورًا شريكا ووليا للعهد[5].

راجع أيضا:

طارق منصور: القسـطنطينية فى الكتابات الصليبية، دراسة تحليلية للروايات الصليبية عن مدينة قسطنطين، منشور فى كتاب بيزنطة مدينة النظم والحضارة، ص29.

1_ Clavigo، Empassy to Tamerlane,1403-1406,p.86; Doukas,M.، Decline and fall of Byzantium to the OttomanTurks,p,80 ;Hammer,Histoire De LEmpire Ottoman Tom.I,p.257; Pears Edwin,The Destruction of the Creek Empire and The Story of Constantinople by the Turks,New-York,1968,p,94;Hearsy,City of Constantine,324-1453,p.229.

2_ قلعـة أنيـاس Anemas : بـرج على أسـوار مدينة القسـطنطينية، على مقربـة من قصر بلاكرنى، عـلى حافة القرن الذهبـى، وسـميت بهذا الاسـم لأن أول من سُـجن بها كان ميخائيـل أنياس الذى كان من نسـل الأمير عبد العزيز بـن عمـر؛ المعـروف فى التاريـخ البيزنطى باسـم كورابـاس Courapas ، الذى كان مشـهورًا بدفاعـه عن جزيرة كريت، وعندما استولى عليها الإمبراطور نقفور فوقاس (963-969م) Nicephoras Phocas من المسلمين، وعنـد عـودة نقفـور فوقـاس إلى القسـطنطينية، كان عبد العزيـز بن عمر وعائلتـه قد وقعوا أسرى فى يـده، وكنوع مـن أنواع الضغط النفسـى فإن زوجات عبد العزيز وابنه الأكبر أنياس وأعضـاء آخرين من عائلته ارتدوا الأرواب الطويلـة البيضاء، ومروا بطول طريق النصر مكبلين بالسلاسـل، ولكن بعد ذلـك عومل الأمير عبد العزيز وأفراد عائلته معاملة حسـنة، ولكن فيما بعد فإن ميخائيل ابن أنياس وثلاثة من إخوته اشـتركوا فى مؤامرة ضد الإمبرطور الكسـيوس كومنـين (1081-1118م) Aluxius Commenenus وعنـد اكتشـافها قبـض عليهم وسـملت عيونهم وزج بهم فى الحبس .انظر :

Millinge,A.,Byzantine Constantinople,London,no date,p.146.

3_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P. 86; CF.also:Brehier,L.، Vie et Mort de Byzance,P.459;Ostrogaskey,G.,"The palacologi "، P.372 .

من الملاحظ أن هيدن أشار إلي أن أندرونيقوس الرابع كان محبوساً في قصر بلاشرناي، انظر:

Hidden,A.,The Ottoman Dynasty، P. 30 .

4_ من المعروف أن سالونيك تعرضت للحصار العثماني لأول مرة في عام 1383م، واستسلمت دون قتال للعثمانيين في أبريل 1387م، حيث خضع حاكمها مانويل باليوجوس للسـلطان مراد، ولكن بعد هزيمة السـلطان بايزيد في عام 1402م أمام تيمورلنك عادت سالونيك إلى الحكم البيزنطي إلى أن فتحها السلطان مراد الثاني عام 1430م.انظر:

.Mazower,M.,Salonica City of Ghosts,1050-1453,NewYork، 2005,PP.27-31

5_ Nicol,D.,The Last Centuries of Byzantium,P.288;Castellan,G.,History of the Balkans، P.52.

كانـت أبـرز نتائج تلك الثورة التي قام بها كلًا من أندرونيقوس الرابع وصاووجي، أنهـا أكـدت أن الإمبرطور حنا الخامس لا يزال تابعًا للسـلطان العثماني، ويقوم بتنفيذ أوامـره، ومن جانب آخـر كان من الملاحظ أيضا أنه على الرغم من فشـله فى مؤامرته ضـد والـده الإمبراطور حنـا الخامس، وما ناله مـن عقاب من جراء هـذه الثوره، فإن ذلك لم ينهي طموحات أندرنيقوس المتمثلة فى الإطاحه بوالده عن العرش البيزنطى، فعلـى الرغـم أنه كان يرى بإحـدى عينيه، وموضوعًا فى السـجن، إلا أنـه كان يتحين الفرصة للإطاحة بوالده.

مـع مـرور الوقـت وجدنـا الصراع علـى العـرش البيزنطي لـم يقتصر علـى تدخل العثمانيين فحسـب، بل تم اسـتغلاله في النـزاع الجنوي البندقي حـول امتلاك جزيرة تينـدوس الواقعة على مدخل مضيق الدردانيل فالمعروف أن الإمبراطور حنا الخامس كان قـد وعد بالتنـازل عنها إلى البنادقة في سـنة 1370م/ 772هـ، ولهذا وصلت إلى القسـطنطينية فـي مـارس 1376م سـفارة لإتمام هـذه الصفقـة، ونظرا لرغبـة البنادقة الملحـة فـي حيازة هـذه الجزيرة، فقد عرضوا علـى حنا الخامس إعطـاءه مبلغ ثلاثين ألـف دوكات [1]، والعديـد من الامتيازات المغريـة [2] وترجع كل هذه الامتيازات التي

1_ إدوارد شـيفرد كريـسي :تاريـخ الأتـراك العثمانيـين، ترجمـة أحمـد سـالم سـالم، ط١، دار جامعـة حمـد بـن خليفـة للنشر،الدوحة،2019م،ص53.

2_ Strogorskey,G.,"The palaeologi",P.372; Gibbons,H.,The Foundation of the Ottoman Empire,P.152;Nicol,D.,the Last Centuries of Byzantium,P.152

مـن تلك الامتيازات تسـليم حنـا الخامس مجوهرات التـاج البيزنطي، وكذلـك بقاء السـكان البيزنطيين فيها تحت إشراف بطريـرك مدينـة القسـطنطينية، وبقاء العلـم البيزنطي مرفوعًا عليهـا جنبا إلى جنب علم جمهوريـة البندقية، تلقـت البندقيـة الإمبراطور يوحنا بكل لطف وتكريم وذلك احتراما لرتبته، أبلغ يوحنا السـلطات أنه لديه مسـائل مهمة لمناقشـتها معهم، وعين مندوب للتشـاور معه، أراد أن يناقش بعض المسائل المالية، فكان قد اقترض سابقا من البندقيـة وأودع مقابـل هذا الغرض بعض الجواهر الإمبراطورية، واقترح أن يتنازل عن جزيرة تيندوس للبندقية إذا بدورهـم سـيطلقون جواهر الإمبراطوريـة، بالإضافة إلي منحه ٢٥٠٠ دوكات والتـي كان يتعين دفعها مقدما حتي يتمكن من تغطية نفقاته اليومية، قبل الفينسيون هذه الشروط وتقدم له ٤٠٠٠ دوكات تحسبا للتنازل، طلب يوحنا الآن قرضـا آخـر بقيمـة ٣٠٠٠دوكات، فأعطته البندقية ٤٠٠٠ دوكات كجزية لتينـدوس أعطي منها ٣٠٠ دوكيه لمانويل انظر:

Charanis,P.,The Strife Among the Palaeologi and the Ottoman Turks، P.288.

قدمتهـا البندقيـة، إلى أهمية جزيرة تيندوس فهي من جـزر الأرخبيل القليلة التي بقيت تحت سلطة الأباطرة البيزنطيين، أو عادت إلى سلطتهم، واكتسبت بفضل موقعها عند مدخل مدينة أبيدوس Abydos أهمية كبرى.[1]

كان رد فعل الجنوية على ماسبق، هو قيامهم بمساعدة أندرونيقوس في هروبه من حبسـه وهو ما حدث بالفعل في 1376م/ 778هـ[2] وعقب ذلك قام الجنوية بعلاج عيني أندرونيقوس حتى تحسـنت رؤيته إلى حد ما، واتفقوا على مساعدته في استرداد عرشه مقابل تنازله عن جزيرة تيندوس لهم.[3]

كان أندرونيقـوس علـى يقين أنه لن يسـتطيع اعتلاء العرش البيزنطي مسـتندًا على مسـاندة الجنوية فقط، وأن ذلكم الأمر لن يتم إلا بمسـاعدة العثمانيين، ومن ثم اتصل بالسـلطان مراد الأول، وطلب منه إرسال المساعدات العسكرية التي تمكنه من دخول القسـطنطينية وأخبـره أنه في مقابل هذه المسـاعدة سـيزوجه أخته، ولكنهـا ماتت قبل تنفيـذ الاتفـاق[4]، ويرجح المـؤرخ نيكـول Nicol أن الإمبراطور تعهـد كذلك بدفع

1_ تقع مدينة أبيدوس Abydos على الشـاطئ الأسـيوي عند مدخل الهيليسـبونت Hellespont (مضيق الدردنيل الـذي يصـل بحر إيجـة ببحر مرمره)، وتقـع في أضيق نقطة منـه في مقابلها عـلى الجانب الأوروبي مدينة سيسـتوس Sestos، حيـث يلتقـي بحر إيجة بمضيق الهيليسـبونت وينتهي طرفه أبيدوس وسيسـتوس، ومن ثم كانت أهمية أبيدوس الاسـتراتيجية نظرا لكونها الوسـيط الانتقالي بين الجانب الآسيوي والجانب الأوربي، وتعتبر أبيدوس أحد أهـم موانيء الدولة البيزنطية، وذلك نظرا للضرائب الهامة التي يتم فرضها على السـفن المارة من وإلى القسـطنطينية من قبل الدولة البيزنطية، وتتم عمليات المراقبة والتفتيش للشـحنات الداخلة للقسـطنطينية والخارجة منها في ميناء أبيدوس عبر مضيق الدردنيل والبوسـفور، وكان يتولى إدارة أبيدوس أرخون"Archon" أو "كوميسـتون سيتنون Komeston". انظر:

سـهير محمد مليجي علي :مدينة أبيدوس البيزنطية حتى سـقوط القسـطنطينية عام1402م، المؤتمر الدولي السـنوي الثالث لقطاع الدراسـات العليا والبحوث، م٣، مج١-٢،جامعة عين شـمس كلية البنات لآداب والعلوم والتربية، أسوان 2019م، ص١٢٤.

2_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P. 80; Charanis، P.، The Strife Among The Palaeologi and the Ottoman Turks، P. 296;Ostrogaskey,G.," The palaeologi",P.372;CF. also: Brehier,L.,Vie et Mort de Byzance,P.459;Gibbons، H.,The Foundation of the Ottoman Empire ,P. 152;Castellan,G.,History of the Balkans,P.52; Ostrogaskey,G.,"The Palaeologi",P.372;Brehier,L. ,Vie et Mort de Byzance,P.459.

3 .Charanis,P.,The Strife Among the Palaeologie and the Ottoman Truks,P.353

4_ على الرغم من اسـتهجان بعض البنادقة لهذا العرض بالزواج، واعتبارهم وفاتها قبل زواجها من السـلطان منحة من

جزيـة سـنوية ضخمة، كما وعده بالتنـازل عن مدينة غاليبولي لـه، وأن يقدم له فروض الولاء والطاعة.[1]

أدرك السـلطان مراد الأول أن عليه اسـتغلال الفرصة بعد الامتيازات التي وعد بها مـن جانب الابـن المتمرد على أبيه، فأرسـل قواته إلى أندرونيقـوس تقدم بها الأخير وفرض الحصار على القسـطنطينية، حيث دخلها من باب بيجه – باب الفضة Selivri Kopoussi حاليا– [2] وعلى الفور ألقى القبض على والده وأخويه مانويل وثيودور، وسجنهما في نفس القلعة التي كان هو محبوسا فيها وهي قلعة أنيماس [3]

وعلى الرغم من تقدير أندرونيقوس للجنوية في مسـاعدته ومن ثم تنازله لهم على مدينـة تينـدوس، إلا أنـه يعلم تمامـا أن نجاحه فـي الوصول للعـرش البيزنطي يرجع بالدرجة الأولى إلى المسـاعدات العسـكرية التي قدمها السـلطان مـراد الأول، وعلى هذا الأساس تنازل له عن مدينة غاليبولي، كما ذهب له إلى آسيا الصغرى، ليرتب معه إجـراءات نقل المدينة إلى السـيطرة العثمانية، وبهذا أصبحت المدينة تحت السـيادة العثمانيـة سـنة 1377م/ 779هـ[4] وهكـذا فـإن الجهود التـي بذلتها حملـة الكونت أماديوس السـادس كونت سـافوي ضاعت سـدى وعادت المدينة إلى العثمانيين دون

الله لكـى يمنـع هذا الإثم البغيض، فإن هذا الأمر أو تلك المصاهرات السياسـية كانت تحـدث بالفعل بين البيوتات الحاكمـة البيزنطيـة والعثمانيـة، كذلـك التي حدثـت بين أورخـان كانتاكيوزين، ثـم الخطبة التي تمت بـين خليل بن أورخـان وإيريـن ابنة حنا الخامس لولا وفاة الأول المفاجئة لتم الزواج، كما كانت أم مراد نفسـه بيزنطية، على الرغم مـن أنهـا لم تكن من الأسرة الحاكمة، وإنما كانت ابنة الحاكم البيزنطي ليارا حصار بالقرب من بورصة، وهذا الزواج يوضـح أن المصاهـرات بين البيزنطيين والعثمانيين لم تقتصر على البيوت الحاكمة فحسـب، ومن ثم فلا عجب عندما نجد أندرونيكوس يعرض شـقيقته للزواج من مراد خاصة وأنه بحاجة شـديدة إلى دعم السـلطان العثماني لاعتلاء العرش . انظر:

Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.80;CF.also: Necipoglu,N.، Byzantium Between the Ottoman and the Latins، P.121.

راجع ايضا: إبراهيم مصباح: السياسة الخارجية للدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور حنا الخامس، ص163 .

1_ Nicol,D.,The Last Centuries of Byzantium، P.289 .

2_ Hammer,V.,Histoire De LEmpire Ottoman,P.292 .

. Doukas M. Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks P. 803

4_ Nicol,D.,The Last Centuries of Byzantium,PP.291-292 .

قتال، وكانت خسارة الإمبراطورية البيزنطية لمدينة غاليبولي الاستراتيجية هي الثمن لوصول أندرونيقوس الرابع للعرش البيزنطي.

من جديد وجدنا السلطان العثماني يتدخل في الشأن الداخلي البيزنطي، ذلك عندما تمكن الإمبراطور حنا الخامس وابنيه مانويل وثيودور من الهروب من قلعة أنماس من يونيو سنة 1379م/ 781هـ[1]، وكما كان شعور أندرونيقوس من قبل، كان الإمبراطور حنا الخامس يدرك أيضا أنه بدون الحصول على مساعدة العثمانيين، لن يتمكن من استعادة عرشه، فتوجه إلى بلاط السلطان مراد الأول، ولا شك أن مراد كان سعيدا بهروبه وقدومه إليه لأنه وجد نفسه فجأة في موضع القادر على تولية من يشاء وعزل من يشاء من أبناء أسرة باليولوجوس[2]، فيعلق أحد المؤرخين المحدثين على ذلك قائلا : "وهكذا دق السلطان مراد الأول مسماره في نعش بيزنطة".[3]

ما لبث وأن عقد الإمبراطور حنا الخامس اتفاقية مع السلطان مراد الأول مقابل الحصول على المساعدة للحصول على العرش، وفيها تعهد حنا بعدة بنود، وتكفل بتنفيذها فور عودته إلى عرشه، ونصت الاتفاقية على ما يلي:

(1) وعد الإمبراطور بدفع جزية سنوية إلى العثمانيين مقدارها حوالي ثلاثين ألف بيزانت Byzant[4]

(2) تعهد حنا بتزويد السلطان بفرقة عسكرية من القوات البيزنطية، تعدادها حوالي

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.80
Ostrogaskey,G.,"The Palacologi",P.372;Gibbons,H.,The Foundation of the Ottoman Empire,P.154 .

2_ Nicol,D.,The Last Centuries of Byzantium,P.292;Lavallee,T.,Histoire ، De L'Empire Ottoman,P.198.

3 Waugh,W.T.,The Councils of Constance and Basel,Vol.VIII,in Camb Med ، Cambridge ، 1966,P.429.

4_ البيزانت Byzant : هو عملة ذهبية بيزنطية، وقد سمي بذلك نسبة إلى بيزنطة، وقد تداول هذا البيزانت في أوروبا بكثرة في القرن الثالث عشر، ويبلغ متوسط قيمته حوالي تسع شلنات إنجليزية، أو ما يعادل 1/ 72 رطل من الذهب أي حوالي 14.4 فرانكا ذهبيا، وقد أخذ البيزانت في الضعف منذ عهد آل كومنين، وفى عهد أسرة باليولوجوس انهارت قيمته بسرعة حتى أصبح سدسي قيمته الأولى، وفقد ثقة الناس فيه حتى أصبحوا لا يقبلون التعامل به خارج حدود الإمبراطورية. انظر:
أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص 210 هامش(1)؛جوزيف نسيم يوسف، العدوان الصليبي على مصر، دار الكتب الجامعية،الإسكندرية 1969م، ص 216 هامش(3) .

اثني عشر ألف جندي، سواء كانوا فرسانًا أم مشاة، لتشارك العثمانيين في حروبهم، على أن يكون ذلك بشكل سنوي.

(3) تعهد حنا الخامس وابنه مانويل بأن يقدما إلى السلطان مراد الأول سنويا فروض الولاء والطاعة الواجبة على أتباعه تجاه سيدهم.[1]

(4) اعتبار أصدقاء وأعداء العثمانيين أصدقاء وأعداء للإمبراطورية البيزنطية.[2]

يمكنا القول أنه في الوقت نفسه، أراد السلطان مراد الأول أن يكتسب شرعية في عزل أندرونيقوس الرابع الذي أصبح عديم الجدوى، فأرسل أحد ضباطه إلى شعب القسطنطينية، لاستطلاع رأيهم فيمن يرغبون في توليته العرش البيزنطي، وجاء الاستطلاع في صالح الإمبراطور حنا الخامس وابنه مانويل، وبجانب ذلك قدم حنا الخامس تنازلات أكبر جعلت السلطان مراد الأول أن يحول الدفة نحوه، ويساعده بجانب البنادقة في استعادة عرشه المفقود، وفي حقيقة الأمر لم يكن يهم السلطان رأى سكان القسطنطينية بقدر ما كانت تهمه المكاسب التي سيحصل عليها من أباطرة بيزنطة، فالذي يقدم تنازلات أكبر يقف بجانبه، ولذلك لم يتوان السلطان مراد على تقديم القوات البرية اللازمة إلى الإمبراطور حنا وابنه مانويل، بجانب تقديم البنادقة المساعدات البحرية لهم، وعن طريق ذلك تمكن حنا من دخول القسطنطينية، وعلى الرغم من المقاومة العنيفة التي أبدتها القوات الجنوية المساندة للإمبراطور أندرونيقوس الرابع الذى هرب إلى جالاتيا، أخذ معه والدته الإمبراطورة هيلينا، وأخواتها ووالدها المسن حنا السادس كانتاكيوزين John vi Cantacuzenus كرهائن وذلك في الأول من يوليو عام 1379م[3] وبعد أن أصبح حنا الخامس مسيطرًا بالكامل على القسطنطينية، تم الاتفاق بين

1 Sphrantzes,G.,Annales,PP.55-56;CF.also:Charanis,P.,The Strife Among The Palaeologi and the Ottoman Turks,P. 292 .

2_ Hammer,V.,Histoire De LEmpire Ottoman,PP.296-297.

3_ Charanis,P.,"An Important Short Chronicle of the Fourteengh Centuty",P.354.

أما رواية دوكاس وكلافيجو عن عودة الإمبراطور حنا الخامس إلى العرش البيزنطي مختلفة تماما، حيث يقول دوكاس: "وعند سماع (أندرونيقوس) هروب والده وإخوته لم يبد الإمبراطور أندرونيقوس الرابع باليولوجوس أي رغبة لإطالة تعاسة ومصائب الرومان أو التسبب في شرور أكبر لهم، فأقسم أولا، ثم استدعى والده يوحنا وإخوته مانويل وثيودور وأدخلهم المدينة. بعد أن أعاد والده على العرش البيزنطي، وركع أندرونيقوس على قدميه

الأباطرة المتنافسين؛ الأب والابن على أن يرتقي حنا الخامس العرش ويحتفظ به حتى وفاته، ثـم ينتقل إلى ابنـه أندرونيكوس الرابع كوريث للعرش بدلا من مانويل هو وابنه يوحنا السـابع -وذلك بعد أن حرموا رسميًا عام 1373م - وتم هذا الإتفاق في مايو 1381م [1] ولكن بوفاه أندرونيقوس الرابع في الثامن والعشـرين من شـهر يونيو سـنة 1385م، أنقذت الإمبراطورية البيزنطية من فوضى واضطراب جديد، وعاد مانويل كوريث شرعي ثانية [2].

مـا لبـث وأن نهـج مانويل سياسـة عداء تجـاه العثمانييـن، بل أعلن تحديـه لمراد، وذلك عن طريق اسـتيلائه على عدة مدن عثمانية في مقدونيا، ومن بينها مدينة سيريس Serres - الواقعة شـمال شـرق مدينة سـالونيك - والتي قام بذبح حاميتها العثمانية، ويعلـق أحـد المؤرخين على ذلك بـأن هدف مانويل من الأعمـال الحربية في مقدونيا كان طرد الأتراك العثمانيين منها والتخلص من تدخل العثمانيين في الشأن البيزنطي [3] وعلى الفور أرسل السلطان مراد قوة كبيرة استطاعت استرداد سيريس وقامت بحصار مدينة سـالونيك، وأثناء الحصار طلب مانويل المسـاعدة من والده دون جدوى، وفيها أبـدى مانويل مقاومة شـديدة ضد العثمانيين، ولكنه فـي النهاية وجد أنه لا جدوى من تلك المقاومة، وما كان منه إلا أن هرب من المدينة في 6 أبريل سـنة 1387م، وتركها

وتوسـل إليه أن يغفر له ما بدر منه، فغفر له والده، وتمكن أندرونيقوس من فتح عين واحدة وابنه الذي كان أحول العين أن ينظرا بكلتا العينين للإمبراطور الذي نقله بشـفقة وبكل آسـف لما ألم به، وأرسـل هو وابنه وزوجته للسكن في سليمبريا. انظر:

Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.80; CF.also:Clavigo، Embassy to Tamerlane,P.86.

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP. 80-81 .

منـح أندرونيقـوس الرابـع حكـم مناطـق سـليمبريا Selymbria، دانيـونDaneion، هراقليـا Herakleia، رايدسيتدوسRhaidestos، بايندوسPanidos. انظر :

هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، جـ2، ص190 .

2_ Gibbons,H.,The Foundation of the Ottoman Empire,P.151;Inalick,H.,The Ottoman Empire، P.14 .

انظرأيضا: محمد أنيس: الدولة العثمانية والشرق العربي1514-1914م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1981م، ص370؛ زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطي، ص172

3_ Hammer,V.,Histoire De LEmpire Ottoman,Tom.I,P.259;Gibbons,H.,The Foundation of the Ottoman Empire,P.151;Brehier,L.,Vie et Mort de Byzance,P.460.

تواجـه مصيرها حتى استسـلمت[1] من ثم نرجح أن هذه السياسـة عادت على مانويل بأوخم العواقب، حيث إنها لم تؤد فقط إلى نشـوب العداء بينه وبين والده الإمبراطور حنـا الخامـس الذى كان هدفه المحافظة على السـلام بينه وبين السـلطان مراد الأول، ولكنها أثارت الأخير ضد بيزنطة.

توجـه مانويـل الثاني بعـد هروبه إلى القسـطنطينية، ولكـن رفض والده اسـتقباله؛ وذلـك خوفـا مـن جلب عداوة السـلطان مـراد الأول مرة أخـرى عليـه، بالإضافة إلى تخلـي الجنويـة عنـه أيضا خوفا من السـلطان، فلم يكـن أمامه طريق سـوى أن يذهب إلـى خصمه القوي السـلطان العثماني مـراد الأول وحاول تقبيل قدميـه وأعلن طاعته وولاءه وتبعيته له وطلب منه الصفح والعفو عنه، فاسـتقبله مراد بحفاوة بالغة وأحسـن وفادته وأكرمه كرمًا شديدا وقبل اعتذاره، بل تشفع له عند والده حنا الخامس من أجل السماح له بدخول العاصمة القسطنطينية[2]، وحسبما تشير إحدى الدراسات الحديثة أن الإمبراطـور حنـا الخامس لم يكن في اسـتطاعته أن يرفض اسـتقبال ابنه مانويل في القسـطنطينية، طالما أن السـلطان مـراد الأول هو الذي أمر بذلـك، ولكن حنا بدلا من ذلـك عاقبه بنفيه إلـى جزيرة لمنـوس Lemnos[3] وذلك في أواخر عـام 1387م[4] وأكد ما حدث على مدى القوة الفعلية لسـلطة السـلطان مراد الأول التي كان يمارسها عمليـاً على أفراد أسـرة باليولوجـوس، ومدى قـوة العثمانيين وضعـف الإمبراطورية البيزنطية، وقد ظهرت سلطة مراد على الإمبراطور حنا الخامس.

1_ Charanis,P.,"An Important Short Chronicle of Fourteenth Century,P.351;Nicol، D.,The Last Centuries of Byzantium,P. 297-298 .

2_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.81;CF.also: Charanis,P.، The Strife Among The Palaeologi and the Ottoman Turks,PP.301- 302;Gibbons,H.,The Foundation of the Ottoman Empire,P.152 .

3_ تقـع جزيـرة لمنوسLemnos في شـمال بحر إيجه غربي السـاحل التركي الآسـيوي، وتحديدا في الممـر الواقع بين القسطنطينية وسالونيك،، وإحتلها العثمانيون في عام 1479م. انظر:
حاتم عبد الرحمن الطحاوي: بيزنطة والمدن الإيطالية العلاقات التجارية، ص 97.

4_ Celik,S.,Manuel II Palalologos(1350-1425) A Byzantine Emperor in A Time of Tumult، NewYor k,2021,P121.

انظر أيضا: زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطى، ص 170 -171.

محاولات التحالف المملوكي العثماني ضد المغول، وأثرها على بيزنطة ١٣٨٨ -١٣٩١م

من جانب أخر، وفي الوقت الذي كان العثمانيين يواصلون إضعاف الإمبراطورية البيزنطية عن طريق تدخلهم في مشاكلها الداخلية والسيطرة على أباطرتها، كانت دولة المماليك الجراكسة تبدأ في الظهور كقوة مؤثرة في الشرق الإسلامي، تلك الدولة التى أسسها السلطان الظاهر برقوق فى مصر والشام فى عام 1382 م/ 784هـ[1] وكانت علاقتها بالعثمانين علاقة صفا وود، لا سيما وأن الدولة العثمانية وجهت جهودها فى تلك المرحلة من حركتها التوسعية ضد القوى المسيحية المجاورة، وخاصة الدولة البيزنطية، وهو أمر قوبل بالارتياح الكبير من جانب سلاطين الدولة المملوكية[2]، من جانب أخر اعترف العثمانيون بالمكانة الدينية والسياسية المتميزة للدولة المملوكية فى العالم الإسلامى، باعتبار سلطانها المملوكى حامي الحرمين الشريفين، وهي مركز الخلافة، ومنها تستمد الشرعية لجميع حكام العالم الإسلامي[3].

في الوقت نفسه، كان تيمورلنك يواصل تحركه غربا، طامعاً في تأسيس إمبراطورية كبرى على غرار إمبراطورية جنكيزخان . فنجح في سنوات قليلة فيما بين أعوام 1380 – 1386 م / 781–788 هـ فى مهاجمة شمال بلاد فارس وشرقها، وأخضع معظمها، جاعلا من مدينة سمرقند عاصمة لدولته، واحتل خراسان وهرات وطبرستان وجرجان، وغيرها من المناطق

1_ مع تولي السلطان الظاهر برقوق حكم مصر والشام بدأت ما تعرف بدولة المماليك الجراكسة أو المماليك الثانية،، وذلك عقب نهاية بيت قلاوون في عام 1382م/ 785هـ، واستمرت الدولة الجديدة في الحكم حتى الفتح العثماني لمصر في عام 1517م، وامتازت بأن سلاطينها جميعاً كانوا من أصل جركسي، عدا اثنين هما: خشقدم وتمر بغا كانا من أصل يوناني، وهي دولة عمرها مائة وأربع وثلاثون عاماً، تعاقب فيها على دست السلطنة خمسة وعشرين سلطاناً. ورغم كثرة الاضطرابات والفتن والثورات، إلا أن سلاطين هذه الدولة عملوا دائماً على حصر تلك المنازعات في دائرة داخلية بحتة، بحيث لم يمكنوا قوة خارجية من التدخل، أو المساس بسيادة الدولة. انظر:
سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكى في مصر والشام، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة 1965م، ص –152 153؛ قاسم عبدة قاسم: عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسي والإجتماعي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 1999م، ص 146.

2_ سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكى، ص 256.

3_ نيقولاى ايفانوف: الفتح العثمانى للأقطار العربية (1516–1574م)، ترجمة: يوسف عطاالله، ط1 ، بيروت 1988م، ص53.

المهمـة هناك[1] ثم تقدم تجاه مدينـة تبريز مقتحماً إياها، وذلك في عام 1386م/ 788 هـ.[2]، ومع اكتسـاح تيمورلنك لوسـط آسـيا وغربها اضطر حكام الامارات التركمانية – والتى تاخمت الحدود الشرقية والشمالية للدولة المملوكية – وهم حكام سنجار وقيصرية وتكريت إلى مراسلة السلطان المملوكي برقوق يبدون رغبتهم فى اعلان تبعيتهم له، وإعلان ولائهم له ليكونوا في رعايته فى حالة تعرضهم لأي هجوم، وخطبوا خطبة الجمعة بإسـمه، وهو ما وافق عليه السلطان المملوكي، وارسل لكل منهم تقليداً بنيابة السلطنة المملوكية في امارته، وهو ما تم بالفعل في عام 1383 م[3]

مع مرور الوقت زاد الخطر المغولي في الشرق، مع قيام تيمورلنك بمهاجمه عدة مدن هامة مثل الرها وملطية، وآمد و سيواس، وهى مدن اعتبرها كل من العاهلين العثماني والمملوكي خاضعة لنفوذهما، وذلك في عام 1387 م/ 789هـ[4].ومع ازدياد الخطر المغولي، أطلّ كل مـن العاهلين العثماني والمملوكي بناظريه فلم يجدا خيراً من فكرة التحالف معاً يواجهون به الخطر المغولي، وقاموا بعدة محاولات من أجل إتمام ذلك، تلك المحاولات سوف تنعكس نتائجها بشـكل مؤثر على بيزنطة، بل وقد تقرر مصير القسـطنطينية – العاصمة البيزنطية – في تلك الفترة مع طرح عدة تساؤلات ومحاولة إيجاد حلول لها، ومنها : من الطرف الذي سعى لعقـد التحالف، وهل قبل الطـرف الآخر ؟. وهل تحققت النتائج المرجوة منها لكلا الطرفين

1_ ابن عربشاه:عجائب المقدور أص-49 54. راجع ايضا:
مظهر شـهاب: تيمورلنك" عصره –حياته– أعماله"، رسـالة دكتوراه غير منشـورة، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة القديس يوسق، بيروت 1981م، ص188–190.

2_ المقريـزي: السـلوك ، ج3، ص542؛ ابـن حجـر العسـقلاني: إنبـاء الغمـر، ج 2 ، ص211 ؛ ابـن الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، 3 أجزاء، تحقيق حسن حبشي، القاهرة 1970م، ج1، ص 129 ، راجع ايضا:
Peter Jackson، The Mongols and The Islamic World,London,2017,p.384.

3_ انظر: المقريزي: السـلوك لمعرفة دول الملوك، أربعة أجزاء في أثنى عشر قسـماً، حقق الجزئيين الأوليين محمد مصطفى زيـادة، القاهـرة 1939 – 1942م، وحقق الجزئيين الثالث والرابع سـعيد عبد الفتاح عاشـور، مطبعة دار الكتب، القاهرة 1970 – 1973م، ج3، ص498؛ ابن حجر العسـقلاني: إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تسـعة أجزاء، تحقيق محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية، بيروت 1986م، ج 1، ص123.

4_ ابن عربشاه:عجائب المقدور أص 112 ؛ المقريزي: السلوك، ا ج3، ص563.

في النهاية ؟. وفي حالة عدم تحقيقها ما السبب وراء ذلك ؟ [1].

علـى أيـه حال، بدأت فكرة التحالف العثماني المملوكي تخـرج إلى حيز الوجود الفعلى فى الثامن والعشـرين من يناير 1388 م، وذلك عندما اسـتقبل السـلطان برقوق سـفارة من قبل السلطان العثماني مراد، حيث أحسن استقبالهم، وتقبل هدايا العاهل العثمانى بترحاب وسرور، وعرض السفراء خطاب السلطان العثماني لنظيره المملوكي الذى أوضح فيه خطورة التحركات العسكرية التي يقوم بها تيمورلنك على حدود الأملاك العثمانية والمملوكية، وأن تحالفهما معاً هو خير سبيل لوقف أطماع تيمورلنك تجاههما وتجاه المنطقة بأكملها [2].

الجدير بالذكر، أنه فى الوقت الذى أعلن برقوق أنه يرحب بما يأتي إليه من مساعدات من جانب السلطان العثمانى، لم يشر إلى موافقته على دعوة التحالف السابق ذكرها[3]. وعقب ذلك علَّق السـلطان برقوق على تلك الدعوة وأمام المقربين له، في قول أورده المؤرخ ابن حجـر العسـقلاني : " إنـى لا أخاف من اللنـك – يقصد تيمورلنك – فإن كل أحد يسـاعدنى عليـه، وإنمـا أخاف من ابن عثمان" [4] واسـتناداً على تلك المقولة التـي ذكرها برقوق، فإنه من الواضح خوفه الشديد من أطماع العثمانيين في الأملاك المملوكية أكثر من خوفه من أى هجوم مرتقب من جانب القائد المغولي تيمورلنك .

من جانب آخر ساهمت مجريات الأحداث بعد ذلك في تأجيل التحالف في ذلك الوقت، بعد الاختفاء المؤقت للخطر المغولي، وذلك مع انشغال تيمورلنك بمغامرات عسكرية في

1_ يـاسر مصطفـى عبد الوهاب: محاولات التحالف العثماني المملوكي العثـماني المملوكي ضد المغول وأثره على بيزنطة، ص 801.

2_ المقريزي: السلوك ، ج3، ص542؛ ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج 2 ، ص 282 .
كان المؤرخ ابن الصيرفى أكثر تحديداً في ذكر تاريخ وصول السـفارة العثمانية، فذكر انه يوم 18محرم 790هـ انظر : ابن الصيرفي: نزهة النفوس أج1 أص 167

3_ المقريزي: السلوك ، ج3، ص543-542؛ ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج 2 ، ص 282 ؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس أج1 أص 168. راجع ايضا:
حسـنية بـن عريبي: العلاقات الخارجية لدولة المماليـك : المماليك والدولة العثمانيـة 1388-1517م، المجلة الليبية للدراسات،، ،العدد 7، 2014م، ص185-210، ص189.

4_ ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج 3 ، ص248

بلاد فارس ، مفضلا تثبيت سلطانه في المناطق التى سبق وفتحها على المضي نحو الأملاك العثمانية والمملوكية.[1]

وسط تلك الأحداث التي تدور في بيزنطة والشرق الإسلامي، كان العثمانيون قد دخلوا فى حرب ضد الصرب في منطقة البلقان، وتحديدًا في معركة كوسوفو Kossovo وانتهت بانتصار العثمانيين انتصارا كبيرًا، وذلك في عام 1389 م/ 791هـ[2] ولكن حدث وأن لقى السلطان مراد مصرعه، ليتولى ابنه السلطان بايزيد الأول Bayzid I العرش العثماني في 1389 م/ 791 هـ.[3] وحدث وأن تجددت فكرة التحالف العثماني المملوكي مرة أخرى، وذلك في سبتمبر 1391 م/ شوال 791 هـ، عندما قام الجنوية بالقبض على بعض التجار المماليك، ومصادرة بضائعهم، ونظراً لأن الجنوية كانوا فى تلك الفترة يسعون لكسب ود السلطان العثماني للسماح لهم بالتجارة في أراضيه، ليقوم السلطان برقوق بالشكوى مما فعلوه عند السلطان بايزيد طالباً وساطته في هذا الأمر، وهو ما نجح فيه بايزيد، وأرسل

1_ Jean Paul Roux,.Tamerlan,P.112

2_ حدث وأن قررت الدول المسيحية في البلقان أن تتحد ضد التوغل العثماني في المنطقة ، وتزعمهم لازار Lazar حاكم الصرب والتقت القوى المسيحية المتحالفة بالقوات العثمانية تحت قيادة السلطان مراد وابنيه بايزيد ويعقوب، في سهل كوسوفو Kossovo (ساحة الطيور السوداء) كوسوفو Kosovo: هو السهل الذي كان يعرف باسم قوصوه عند الأتراك؛ أي السهل المتسع، يقع بين ألبانيا واليونان ومركزه بلدة برستينا Pristina، وذلك في 15 يونيو 1389 م، حيث نشبت معركة كبرى حققت فيها القوات العثمانية نصرا كبيرا على القوات المتحالفة أخلّف كثيراً من القتلى والأسرى، ومن نتائج هذه المعركة: القضاء على مملكة الصرب في وقت قصير، مما أظهر ضعفها الاستراتيجي الذي كان مستترا خلف حجم الإمبراطورية الهائل، والذي ارتكز على محور أساس، وهو تقاطع طريقي التجارة الدولية من الشرق حيث القسطنطينية إلى الغرب مرورا بفيليبوبوليس ونيش وصوفيا، ومن الشمال حيث بلجراد إلي بحر إيجة في الجنوب عند سالونيك مما يمَكّن الغزاة من الوصول إلي قلب إمبراطورية الصرب بسهولة عن طريق هذه الطرق انظر:

Wenzel,M. ، The Byzantium ، London,1965,P.135 ; Brehier ، L. ، Life and Death,P.3

3_ عقب معركة كوسوفو مباشراً، دخل أحد نبلاء الصرب ويدعى ميلوس Milos على خيمة السلطان مراد ، متظاهراً بأن لديه أسرار هامة يريد إخبار السلطان العثمانى بها ، ولكنه فاجأ حراس السلطان ، بطعن السلطان مراد وقتله، ليتولى العرش العثمانى ابنه يايزيد الذى كان يطلق عليه بالدريم أى الصاعقة ، وتم تتويجه في سبتمبر 1389 م/ شوال 791 هـ .انظر:

Hidden,A.,The Otoman Dynasty,P.258.

وايضا: زبيدة عطا: الترك فى العصور الوسطى، ص 174-175.

يخبر برقوق بنجاحه فى مساعيه بعد أن أفرج الجنوية عن التجار المماليك وبضائعهم، راغباً فـي أن تكـون هذه هي الخطـوة الأولى فى إقامة تحالف عثمانـى مملوكى ضد أى تهديد من قبل تيمورلنك، مضيفًا : " أن المملكتين روحين في جسـد، ويدين في عضو " ليرد السـلطان برقوق شـاكراً لما صنعه بايزيد راجياً اسـتمرار روح الود المتبادلـة بينهما[1]، ليصف المؤرخ كات فيليـت Kate fleet تلـك الحادثـة بأنهـا كانت فرصـة للطرفين العثمانـي والمملوكي لإقامة التحالف المنتظر [2] .

لـم يكـد مـداد رسـائل الـود المتبادلـة والسـابق ذكرها بيـن العاهليـن العثمانى والمملوكـى يجـف، حتـى فاجـأ السـلطان بايزيـد الجميع، وتسـبب فى فشـل أولى محاولات التحالف العثمانى المملوكى، وذلك عقب هجومه على قيصرية، والقبض على صاحبها – وهى وقتذاك فى حماية السلطات المملوكية – وهو ما أغضب السلطان برقوق، واعتبره تهديداّ موجها للدولة المملوكية، وذلك في سـبتمبر 1391م/ شوال 791 هـ [3] . وتعليقا على ما قام به السلطان العثمانى، ومن خلال ما أشار إليه مؤلف كتـاب الأعمـال Le livre des Faicts فـي القـول: " أن بايزيـد لم يكـن يهتم بإقامة تحالف مع سـلطان مصر، لأنه رأى أن خطـر تيمورلنك، بعيد عن أراضيه، وأن فكرة مهاجمـة القسـطنطينية، والاسـتيلاء عليها هي التي سـيطرت عليـه" [4]، حيث أصبح جـل اهتمامـه يقوم على إضعـاف بيزنطة، عن طريـق التدخل فى الصـراع القائم على العـرش البيزنطـي فـى ذلك الوقـت، بين مانويل الثانـى Manuel II وابـن أخيه حنا

1_ وعن نص الرسالتين المتبادلتين بين برقوق وبايزيد، انظر:
أحمـد فـؤاد متولى : الفتح العثماني للشـام ومـصر ومقدماته "من واقع الوثائـق والمصادر التركيـة والعربية "، القاهرة 1995م،ص 15-17.

2_ Kate,F.، Turks، Mamluks,and Latin Merchants: Commerce,Conflict,and Coopertion in The Estern Mediterranean,in Byzantines,Latin,and Turks in The Estern Mediterranean Worldo after 1150,ed. Jonathan Harris، Oxford Uiniersity Press,2012),P.336

3_ المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص 749 ؛ ابن حجر العسقلانى : إنباء الغمر، ج 3 ، ص 83 . راجع ايضا:
ياسر مصطفى عبد الوهاب: محاولات التحالف العثماني المملوكي، ص811.

4_ Le Livre des Faicts du Mareschal de Boucicaut، èd. M. Petitot، 4 Parties، (Paris، 1825)، I، Ch.XXXVII.P.140.

السابع JohnVII [1]،

وفي ضوء ما سبق، يمكننا تفسير أسباب فشل أولى محاولات التحالف العثمانى المملوكى فى تلك الفترة، نجد أن منها ما يخص الطرفين معاً – العثماني والمملوكي – اللذين لم يقدرا خطورة الاجتياح المغولي بالقدر الكافي، وأسهم في ذلك انصراف تيمورلنك عن أراضيهما، وبالتالى تواجَدَ شعورٌ لدى كلٍّ طرفٍ بأنه ليس فى حاجةٍ للتحالف مع الطرف الآخر. وهناك أسباب تتعلق بالسلطان برقوق من حيث اقتناعه بأن تحالفه مع المناطق المجاورة لحدود دولته فى الشمال والشمال الشرقى كاف للتصدى لأى هجوم محتمل من قبل تيمورلنك، في ظل تصوره بأن العثمانيين هم مصدر الخطورة الحقيقى على أراضيه، وهو التصور الذى تحول إلى أمر واقع عقب هجوم بايزيد على قيصرية، أيضا كان واضحاً أن فكرة مهاجمة الأملاك البيزنطية والاستيلاء على القسطنطينية، كانت تستحوذ على تفكير السلطان بايزيد واهتمامه .

في حقيقة الأمر، وبالفعل كان بايزيد قد بدأ فى المضي قُدمًا في إضعاف بيزنطة بشكل فعلي، وذلك عندما استغل ما تمر به بيزنطة من ضعف، وفي هذه المرة كان حنا السابعJohn V II ابن الإمبراطور أندرونيقوس الرابع باليولوجوس هو الوسيلة التي استخدمها بايزيد لإشعال نار الحرب على العرش البيزنطي من جديد. [2]

حيث عقب وفاة الإمبراطور أندرونيقوس الرابع، نودي بابنه حنا السابع على الفور كوريث له[3]، ولكنه لم يكن يثق في جده الإمبراطور حنا الخامس وعمه مانويل، ولذلك سعى إلى الاستيلاء على العرش البيزنطي بالقوة، ونظرًا إلى أن السلطان بايزيد الأول كان صديقه الحميم، ويمتلك القوة، فقد طلب منه المساعدة، والواضح أن بايزيد رأى أن حنا السابع سيخدم أهدافه أكثر من مانويل، ولذلك أمده بالقوة اللازمة، وهكذا تصنَّع بايزيد أنه المدافعُ عن حق الإمبراطورية الشرعي، وبمساعدة القوات

1_ Brehier، L.، Life and Death,P.328.

2_ Hidden,A.,The Ottoman Dynasty,P.26;Nicol,D.,The Last Centuries of Byzantium، P.302; Ostrogaskey,G.، " The Palacologi "، P. 374.

3_ Zachariadou,A.,John VII (Alias Andronicus) Palaeologus,Vo1.31,Columbia,1977، PP.339-342.

العثمانية تمكن الإمبراطور حنا السابع من دخول القسطنطينية بالقوة، واستولي على القصر الإمبراطوري في يوم الخميس 14 أبريل سنة 1390م .[1]

وعلى الرغم من دخول حنا السابع القسطنطينية، إلا أنه لم يستطع حسم هذه الجولة من الصراع لصالحه، وذلك لأن الإمبراطور حنا الخامس قد تحصن داخل إحدى قلاع المدينة بالقرب من الباب الذهبي، واحتفظ بالسيطرة على هذا الباب، وأجرى من هناك اتصالاته مع ابنه مانويل في جزيرة لمنوس طالبا منه المساعدة[2]. وكان مانويل مترددًا في تلبية طلب والده والاستنجاد به، ولكنه أجاب طلبه في صيف 1391م/ 793ه، فتقدم على رأس أسطول صغير، تمكن عن طريقه من إعادة والده إلى العرش البيزنطي في 17 سبتمبر من نفس العام، أما عن حنا السابع فقد هرب إلى السلطان بايزيد، فأمره الأخير بالعودة لتولي إدارة شؤوون مدينة سليمبريا Selymbria [3] التي كانت قد استولى عليها في غضون ذلك، وهكذا أصبح لحنا السابع فضل عند السلطان بايزيد، ويظل المتطلعون للعرش البيزنطي دائمًا خاضعين للعثمانيين.[4]

الجدير بالذكر، أنه فيما يخص انتصار حنا الخامس وابنه مانويل على حنا السابع فقد تعددت آراء المؤرخين، فالمؤرخ بيتر خارانيس Peter Charanis يرى أن انتصار حنا السابع لا يعود للسلطان بايزيد، إلا أنه لم يكن ممكنا إلا بسبب وقوف بايزيد على الحياد، في حين يُرجِّح نيقولا فاتان Nicola Vatan أن السبب الذي جعل بايزيد يقف على الحياد في صراع الأسرة الإمبراطورية أنه لم يساعد الإمبراطور حنا السابع بعد نجاحه في دخول القسطنطينية؛ وذلك لانشغاله في صيف 1390م / 792بحملة عسكرية واسعة ضد الإمارات العثمانية في آسيا الصغرى، ومن ناحية

1_ Charanis,P.,"An Important Short Chronicle of The Fourteength Century",PP.355-356.

2_ Brehier,L.,Vie et Mort de Byzance,P.464;Celik,S.,Manuel II Palalologos,P126.

3_ سليمبريا selymbria: هي مدينة في إقليم تراقيا على الساحل الشمالي لبحر مرمرة، توجد تحت اسم سيليفري Silivriبتركيا غرب إستانبول، قاومت الحصار العثماني عام 1453 م ولم تسقط إلا بعد أن تمكن العثمانيون من فتح القسطنطينية. انظر:

O.D.B.,Vol.III,PP.1867-1579.

4_ Charanis,P.، " An Important Short Chronicle of The Fourteength Century "، P. 356.

أخرى، كان بايزيد يدرك أن من واجبه التوفيق بين حنا السابع وجده حنا الخامس وابنه مانويل، إذا شعر أن حنا وابنه مانويل سيكونان خاضعين له تماما مثل حنا السابع.[1]

وما إن أعاد الإمبراطور حنا الخامس وابنه مانويل توطيد سلطتيهما في القسطنطينية، حتى تلقيا في التو وقبل أن يسكنَ غبارُ الحرب عددًا من الأوامر التي لا تقبل المناقشة من السلطان بايزيد الأول، وقد تضمنت الأوامر مطالبة حنا الخامس بدفع الجزية التي كان يدفعها إلى العثمانيين دوما، وإرسال قوة بيزنطية له تعدادها مائة جندي على وجه السرعة تحت قيادة ابنه مانويل، لمشاركته في الحملة التي كان يعد للقيام بها في ذلك الوقت ضد إحدى الإمارات العثمانية في آسيا الصغرى.[2]

في حقيقة الأمر، لم يكن الإمبراطور حنا الخامس في موقف يمكِّنه من مخالفة أوامر السلطان بايزيد، حيث إنه لم يكن يمتلك القوة التي تمكنه من مقاومة ذلك[3]، فقام بإرسال ابنه مانويل إلى آسيا الصغرى على الفور ومعه القوات التي طلبها بايزيد[4]، والجدير بالذكر أن السلطان بايزيد لم يكتفِ بطلب مانويل، بل وجَّه الدعوة أيضا للإمبراطور يوحنا السابع، وطالبه بالحضور إلى معسكره في آسيا الصغرى، وقد حضر حنا على وجه السرعة، وحسبما يعلق إستروجورسكي Ostrogaskey :" أصبح هناك اثنين من المتنافسين على العرش البيزنطي صاروا كالأقنان في معسكر السلطان بايزيد[5]، وأراد السلطان بايزيد الاستيلاء على مدينة فيلادلفيا آخر ممتلكات الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى، فنجده أثناء حملته ضد إمارة

1_ Charanis,P.,"An Important Short Chronicle of Fourteenth Century,P.355

انظر: نيقولا فاتان: صعود العثمانيين،جـ1، ص63.

2_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks، P.81; CF.also: Nicol,D.,The Last Centuries Of Byzantium,P.303.

يشير بيتر خارانيس إلى أن الحملة التي كان بايزيد يعد للقيام بها توجهت ضد إمارة تكة وأنها وقعت خلال الفترة من 17 سبتمبر سنة 1390م وحتى 16 فبراير سنة 1391م . انظر:

Charanis,P.,"An Important Short Chronicle of Fourteenth Century، P.356; Hammer,V.,Histoire De LEmpire Ottoman,Tom. I,P.303.

3_ Gibbons,H.,The Foundation of the Ottoman Empire,P.197.

4_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.81; CF.also:Charanis، P.، The Strife Among The Palaeologi and the Ottoman Turks، P. 305.

5_ Ostrogaskey,G.," The Palacologi",P.379;Nicol,D.,The Last Centuries,P. 303 .

تكة التركمانية[1] يطلب من الإمبراطور مانويل وحنا السابع مساعدته في الإستيلاء عليها، فلم يكن أمامهم سوى تنفيذ الأوامر دون مقاومة[2] .

بالفعل سرعان ما تقدم كلٌّ من مانويل وحنا السابع على رأس قواته لمساعدة السلطان بايزيد في فرض الحصار على مدينة فيلادلفيا، وطالب حاكمها بتسليمها، ولكنه رفض أن يخون وطنه ومواطنيه بتسليم المدينة إلى بربري (يقصد بايزيد) فأثارت هذه الإجابة حفيظة بايزيد، وأمر مانويل وحنا بمهاجمة المدينة والاستيلاء عليها بالقوة، فهجموا عليها هجومًا شرسًا واستولوا عليها وسلموها له[3]، وباستيلاء السلطان بايزيد على مدينة فيلادلفيا، انتهى الوجود البيزنطي في آسيا الصغرى، وبتعبير أدق من الأناضول الشمالي، وطوق العثمانيون القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية[4]

في الوقت نفسه، قرر الإمبراطور حنا الخامس استغلال غياب السلطان بايزيد الأول في حملته ضد تكه وأجرى بعض الإصلاحات في أسوار القسطنطينية خوفا أن يقوم بايزيد بشن هجوم عليها، لا سيما أن بايزيد كان قد قام في غضون ذلك بأعمال عدائية ضد بعض الجزر البيزنطية، حيث منع تصدير القمح من آسيا الصغرى إلى ليسبوس Lesbos [5]، ولمنوس Lemnos، رودوس Rhodes، وخيوس chios [6]، كما أرسل قوة بحرية تعدادها ستين

1_ إمارة تكة هي قبيلة تركمانية حكمت من (1321-1423م)، من أمراء الأطراف زمن دولة السلاجقة، كان تكة باشا مجاهدًا ضد الصليبيين، أعلن استقلاله في أنطاليا في الجنوب عام 1321م700-هـ بعد زوال دولة السلاجقة، استولي عليها السلطان بايزيد عام 1402م795-هـ، ثم عادت إلى الظهور بعد حروب تيمورلنك، وضمت إلي الدولة العثمانية عام 1423م830-هـ. انظر:

محمود شاكر: التاريخ الإسلامي العهد العثماني، جـ 8، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت، 2000م، ص ٤٩.

2_ Brehier,L.,Vie et Mort de Byzance,P.464;Nicol,D.,The Last Centuries، P.303.

3_ Lavallee,T.,Histoire,De L'Empire Ottoman,P.149;Hidden,A.,The Ottoman Dynasty ,P.26

4_ صلاح ضبيع: العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية في عهد آل باليولوجوس، ص256.

5_ ليسبوس Lesbos: تقع بالقرب من سواحل آسيا الصغرى، تعد من أعظم جزر بحر إيجة، تبلغ مساحتها مائه ميل وعرضها ٢٥ ميل وطولها ٢٦ ميل، اشتهرت بالرخام والنبيذ، خضعت للإسكندر الأكبر والرومان، واستولي عليها السلطان محمد الفاتح عام ٨٦٧ هـ/ ١٤٦٢ م. انظر: إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ١، ص٤٧٠.

6_ خيوس Chios: تميزت خيوس بموقع جغرافي مميز ومهم، تقع في الركن الشمالي من ساحل بحر إيجة بالقرب من ساحل آسيا الصغرى، تنتج كميات كبيرة من الزيوت والتين وفواكه أخري، تميز حريرها بتقدير كبير، كانت

سفينة هاجمت جزيرة خيوس وسوَّت منازلها بالأرض، وخرب أيضاً جُزْءًا من أتيكا.[1]

وبطبيعة الحال، تمثلت هذه الإصلاحات في تحصين البوابة الذهبية، وذلك عن طريق إقامة برجين على جانبيها من قطع الرخام الأبيض المرصوصة بجوار بعضها البعض، وقد تم تشييدها دون حاجة إلى بنائين يضعون له أحجار بدون تحمله أي نفقات، وذلك عن طريق هدم ثلاث من أجمل كنائس القسطنطينية وهي كنيسة الأربعين شهيدا التي بناها الإمبراطور مارقيان Marcien (582- 602م)، وكنيسة القديسين التي بناها الإمبراطور ليو السادس Leo VI (866- 912م)، وكنيسة القديس موكيوس Moccius التي بناها الإمبراطور قسطنطين العظيم (337-306م)، كما بنى أيضا سياجا خلف الأسوار الممتدة من البوابة الذهبية حتى بحر مرمرة واحتفظ بذلك كمحطة بحرية للجوء في وقت الحاجة، هذا ما ذكره دوكاس، من جانب أخر يذكر خارانيس أن هدف الإمبراطور من هذه التحصينات هو اللجوء إليها إذا هاجم بايزيد القسطنطينية [2]

حاصلات التربة ومنتجات الصناعة متوفرة بها، ترجع مبانيها للقرن السادس الميلادي، خضعت للجنوية بموجب اتفاقية 1261م ومنحت لأسرة زاكاريا Zaccaria الجنوية من 1304م1329-م، ودخلت تحت سيطرة بيزنطة من عام1329م1346-م، ثم عادت لجنوة في أول يونيه 1346م1556-م حتي احتلها الأتراك انظر: ميشيل بالار :الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلي القرن الرابع عشر، ترجمة بشير السباعي،دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٣م،ص٣٤١.

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.81;CF.also: Nicol، D.، The Last Centuries,P.303.

2_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.81
Charanis، P.,The Strife Among The Palaeologi and The Ottoman Turks,P. 306.

بينما يقول لويس بريبه إن الذي بناه الإمبراطور حنا الخامس خلف أسوار القسطنطينية من الباب الذهبي حتى بحر مرمرة وكان قلعة وليس سياجاً عادى. انظر:

Brehier,L.,Vie et Mort de Byzance,P.465 .

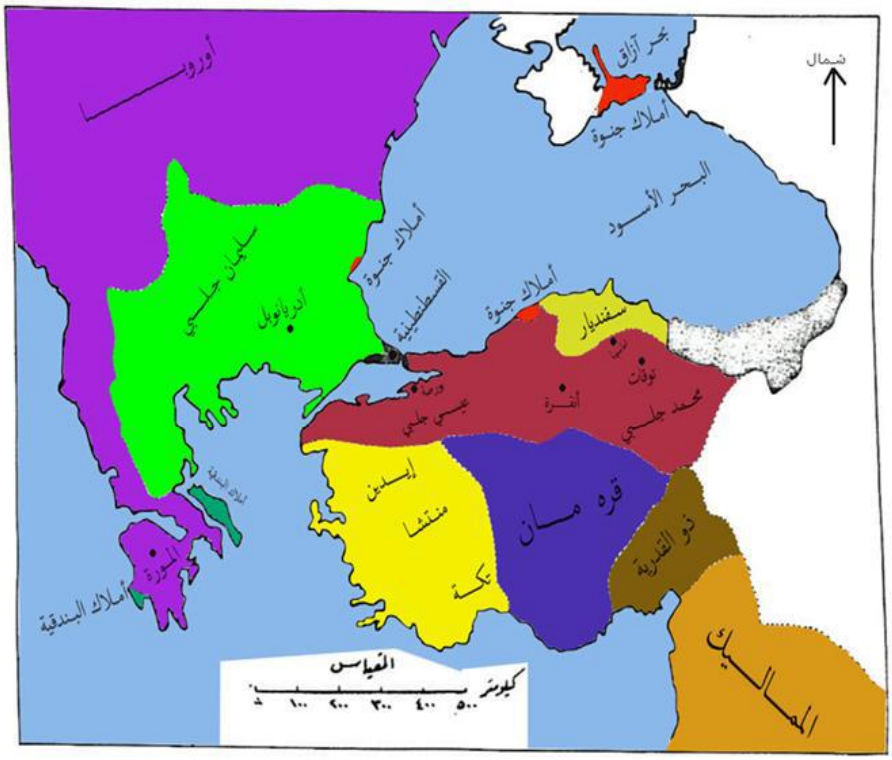

نقلا عن:- إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث،ط٢،الرياض،١٩٩٨م،ص٣٠٥.

خريطة توضح بيزنطة والقوى الإسلامية المجاورة في القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري

عندما علم السلطان بايزيد الأول بالتحصينات التي قام بها الإمبراطور حنا الخامس، أصدر أوامره في الحال طالبا منه إزالة هذه التحصينات على وجه السرعة، وإعادة الوضع إلى ما كان عليه وهدده أنه إذا رفض القيام بذلك فإنه سوف يقوم بسمل عيني ابنه مانويل وإرساله إليه محروماً من نعمة البصر، عندئذ لم يكن حنا الخامس قادرًا على مقاومته إذا هاجم القسطنطينية، وشعر بالجدية في تهديدات بايزيد، فبادر على الفور بإزالة التحصينات، وأرسل إلى بايزيد يخبره أن أوامره تم تنفيذها على أكمل وجه.[1] وتسببت الأحداث والصدمات التي لاقاها الإمبراطور حنا الخامس على يد السلطان بايزيد إلى الألم البدني له وانخفاض روحه المعنوية، وازدادت عليه الأمراض التي بسببها مات في يوم الخميس 16 فبراير سنة 1391م[2]

استمرار محاولات العثمانيين في إضعاف بيزنطة والتدخل في شئونها الداخلية

استنادا إلي ما أورده ميخائيل دوكاس Michael Doukas من أن مانويل كان موجودًا في بلاط السلطان بايزيد أثناء وفاة والده الإمبراطور حنا الخامس، وحينما وصلته الأخبار، وعلم بالتهديدات التي كانت قد صدرت من السلطان بايزيد وتهديد والده، قام بالهروب من هناك دون أن يراه أحد، وأسرع إلى القسطنطينية فرحب به السكان ترحيباً شديداً[3]، واعتلى العرش البيزنطي في مارس 1391م تحت اسم مانويل الثاني Manuel II Paleologos.[4]

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.82 .

2_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.82-83.

انظر أيضا: زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطي، ص174 .

3_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.82 .

4_ ولد مانويل الثاني باليولوجوس Manuel II Palaeologus في القسطنطينية في السابع والعشرون من يوليو 1350م، وهو الابن الثالث للإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس، أصبح حاكماً على سالونيك منذ صيف عام 1369م، وتوج كإمبراطور مشارك عام 1373م، وخلف والده على العرش في فبراير 1391م، وقد تزوج من هيلينا ابنة قسطنطين دراجاش Dragas في سنة 1392م، وتوفى مانويل في القسطنطينية في عام 1425م. لمزيد من التفاصيل انظر :

Barker,J.W.,Manuel II Palaeologus,PP.11-25;Dennis,G.,The Reign of Manuel II Paleologos in Thessalonica,"1383-1387",OCA,Roma,1960,PP.11-55

مـا أن علـم السـلطان العثمانـي بهـروب مانويـل، حتـى ثـار، وغضب غضباً شـديداً، وعاقب كلَّ المكلفين بحراسـته، وطالب بمعرفة كيفية هروبه دون علم أحد، وأقسم أن يقتله إذا وقـع فـي يـده[1]. يرجع غضب السـلطان بايزيد إلى أنه قد ضاعت منـه فرصة التدخل في تولية إمبراطور جديد لبيزنطة من اختياره وفرض سـيطرته أكثر حتى ولو كان اختياره سـيقع على مانويل إمبراطور بيزنطة وليس حنا السابع[2]، والأهم من ذلك أنه لم يكن يرغب في أن يخدعـه أحدٌ مثلمـا فعل مانويل وهرب ليلاً من معسـكره[3]، ولم يكن أمام السـلطان بايزيد إلا أن يستسـلم للأمـر الواقع، ولكنه واصـل الضغط على الإمبراطور مانويل فأرسـل يطالبه بتنفيـذ عدة أوامر مع السـفراء على وجه السـرعة إلي القسـطنطينية حيث طالبـه: بالاعتراف بتبعيتـه للسـلطان العثماني،واسـتقبال وتعييـن قضـاة مسـلمين مـن أجـل الاهتمام بشـؤون التجـار المسـلمين في مدينة القسـطنطينية، وعدم خضوع هـؤلاء التجار المسـلمين للقضاة البيزنطيين بعد الآن،ويلتزم الإمبراطور بتوطين إقامة هؤلاء التجار المسـلمين في أحد أحياء القسطنطينية، مع تعهد الإمبراطور بأن يتمتع جميعُ المسلمين في القسطنطينية بحُرية ممارسة شـعائرهم الدينيـة، بالإضافـة إلى الاسـتمرار في دفع الجزيـة التي كان أبـوه الإمبراطور حنا الخامس يدفعها للدولة العثمانية[4]

الجديـر بالذكـر، أنـه لم يكتف السـلطان بايزيد بذلـك فقط، بل وجه إنذارًا شـديد اللهجـة لمانويـل الثاني، قال له فيـه: " إذا كنت لا ترغب في القيـام بذلك ومنح كل ما أطلبـه منك، فقم بإغلاق أبواب مدينتـك واحكم داخلها؛ لأن كل ما هو موجود خلف الأبـواب ملك لـي " [5]، وحدث أن رفض الإمبراطور مانويل مطالب السـلطان بايزيد

راجع ايضا: دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ص147-148.

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.82.

2(6)Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P. 85.

3 Nicol,D.,The Last Centuries,P.310.

4_ يـاسر مصطفـى عبد الوهاب: محاولات التحالف العثماني المملوكي العثـماني المملوكي ضد المغول وأثره على بيزنطة، ص 803.

5_ يوضـح المـؤرخ ميخائيـل دوكاس الوضـع الذي أصبح عليه الشـعب البيزنطـي والذي كان قد أهلكتـه المجاعات، وأصبحوا يفكرون في الاستسـلام ولكنهم كانوا يعرضون عن هذه الفكرة بسرعة قائلين: " دعونا لا نكتئب فلنضع آمالنا في الرب، دعونا نتحلي بالصبر فترة طويلة ومن يدري لعل الرب المطلع على خطايانا سيظهر لنا الرحمة كما فعل

[1]، فما كان من بايزيد إلا أنه دفع بقواته من آسيا إلى تراقيا، حيث قام بهدم كل القري الواقعة حول مدينة القسطنطينية حتى بانيدوس[2]، ووقع تحت سيطرته جميع السكان البيزنطيين في تلك القرى، ونقلوا إلى آسيا الصغرى كما ذكر المؤرخ ميخائيل دوكاس[3]

ويعلق أحد المؤرخين على فعلة السلطان بايزيد بالقول: " هكذا بدأ الحصار الأول للقسطنطينية من قبل العثمانيين"[4]، وهناك رأي آخر، وهو أن السلطان العثماني "أرسل قسماً من قواته لحصار القسطنطينية"، ولكن حتى ذلك الوقت لم يكن السلطان بايزيد قد فكر في فرض الحصار على القسطنطينية، ولكن كل ما كان في الأمر أنه كان يسعى لإجبار مانويل الثاني على قبول أوامره والخضوع له [5] .

على غير المتوقع قام السلطان بايزيد بسحب قواته من أمام أسوار القسطنطينية بعد أن دام الحصار سبعة أسابيع ولكن هذا بشروط أصعب من التي فرضها من قبل على الإمبراطور مانويل، إذ وافق مانويل على إقامة محكمة إسلامية في حي سيركوجة Sirekdki، كما وافق على إعطاء المستوطنين المسلمين سبعمائة منزل داخل القسطنطينية، ويتنازل الإمبراطور مانويل للسلطان بايزيد عن نصف حي جيلاتيا، من قلعة الجنوية حتى القرن الذهبي، وقد وضع بايزيد هناك حامية عثمانية قوامها ستة آلاف جندي، ووافق الإمبراطور مانويل على زيادة الجزية العثمانية مرة أخرى، وأصبح لبيت

مع أجدادنا وأسلافنا وسيخلصنا من هذا الشخص البغيض (السلطان بايزيد)" انظر:
Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP.83-84.

1_ Asikpasaoglu,"Asikpasaoglu Tarihi",PP.68-69; CF.also: Lavallee,T.,Histoire De LEmpire Ottoman ، P. 149 .

انظرأيضا : محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثماني، دار صادر،بيروت، 1925م، ص203.

2_ بانيدوس :بربا روس حاليا. انظر: كات فليت :التجارة بين أوروربا والبلدان الإسلامية في ظل الدولة العثمانية تعريب أيمن الأرمنازي، ط 1 ،مكتبة العبيكان،الرياض،2004م، ص ١٣٩ .

3_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.83; Hammer,V.,Histoire De LEmpire Ottoman,Tom. I,P.305.

4_ Gibbons,H.,The Foundation of the Ottoman Empire,P.198.

5_ عزتلو يوسف بك أضاف: تاريخ سلاطين بني عثمان، ص40.

المال العثماني حق الحصول على عشور من حدائق الكروم والفاكهة الموجودة خارج أسوار القسطنطينية، علاوة على ذلك وافق مانويل على إقامة مسجد بمئذنة ومؤذن في القسطنطينية[1]، كما وافق على تسليم الأقنان[2] الهاربين من قبل العثمانيين إلى القسطنطينية للسلطان بايزيد، والجدير بالذكر أن مسألة تنصيب قاضي في القسطنطينية لم تذكرها المصادر بشيء من التفصيل، فالبعض يترك الباب مفتوحاً للمناقشة في هذا الأمر، بينما نجد الآخر يذكر أنه من الصعب تحديد ما إذا كان أحد القضاة قد تم تعيينه في القسطنطينية آنذاك أم لا.[3] ويعلق المؤرخ ديمتريوس كيدونيس Demetrius Cydones عن الجزية العثمانية المفروضة منذ عام 1391-1372م أنها كانت في حالة تزايد مستمر، إلى حدٍ جعل الخزانة البيزنطية كلها لا تستطيع الوفاء بها، مما وضع الإمبراطورية في مأزق وتدهور لا يحتمل[4].

الجدير بالذكر، أنه كان من الملاحظ وجود خلط تاريخي فيما يتعلق بمسألة تعيين قاض مسلم عام 1391م في القسطنطينية، ففي الوقت الذي يؤكد فيه المؤرخ ميخائيل دوكاس Michael Doukas بأن مطلب بايزيد بتعيين قاض والتشدد على هذا المطلب جاء بعد ارتقاء الإمبراطور مانويل العرش مباشرة عام 1391م[5]، نجد

1_ قدرت الجزية التي تعهد بها الإمبراطور مانويل الثاني بدفعها للسلطان بايزيد، فقيل: إن مقدارها بلغ حوالي عشرة آلاف دوقة ذهبية كل عام.

انظر: أحمد عبد الرحيم مصطفى: أصول التاريخ العثماني، ط1، دار الشرق، القاهرة،1982م، ص53. محمد جميل بهيم: فلسفة التاريخ العثماني، ص27

2_ مصطلح الأقنان هو جمع قن Sarf، وهي كلمة مشتقة من كلمة عبد servus والتي تعني الأجير المرتبط بالأرض، وكان الأقنان يؤلفون الغالبية العظمي من سكان أوروبا في عصر الإقطاع، والتي تعني التبعية لسيد، والتي تنتمي للطبقات الدنيا في المجتمع، وكانت كل قرية أو ضيعة تخضع لسيد واحد، والذي يحتجز الجزء الأكبر من الأرض بينما الجزء الباقي يقسم إلي شرائح للأقنان، يتم زراعتها مقابل التزامات وضرائب فلا يمكن بيعها ولا شراؤها، ولا يسمح له بحمل السلاح.انظر :اسحق عبيد :أوروبا في العصور الوسطي المفهوم والحضارة،جـ١، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006م،ص89.

3_ Gibbons,H.,The Foundation of the Ottoman Empire,P.199.No.1.

راجع أيضا : نيقولا فاتان: صعود العثمانيين، جـ1، ص 64.

4_ Cydones,D.,Correspondence,ed .by.R.J.Loenertz,Vol.II,Vatican City,1956-1960، PP.36-63.

5 Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP.28-83.

الأمر مختلفًا عند المؤرخ القرماني الذي يشير إلي أن هذا المطلب تمت المناداة به في عام 1396م[1].

مما سبق نجد نستنتج أن التنازلات التي وعد بها الإمبراطور مانويل الثاني السلطان بايزيد قد أرضت كبرياء الأخير، فاقتنع بحكم مانويل في القسطنطينية، ولا سيما بعد تعهده بعدم القيام بأي شيء من شأنه أن يؤدي إلى تغيير سياسة والده تجاه الدولة العثمانية.[2] في الوقت نفسه استمر السلطان العثماني في إظهار الإمبراطور البيزنطي على أنه تابع له، فوجدناه يطالب مانويل الثاني بأن يقود قوات بيزنطية متوجها بها إلي الجانب الأسيوي مشاركا للسلطان العثماني في حملة عسكرية ضد مدينة سينوب شمال بلاد الأناضول على ساحل البحر الأسود، وهو ما اضطر الإمبراطور البيزنطي أن يقوم به، وظل عدة شهور مشاركًا القوات العثمانية حتى مطلع عام 1393م/ 795هـ[3].

استيلاء تيمورلنك على بغداد 1393م / 795هـ ومعاودة فكرة التحالف العثماني المملوكي وسط تلك الأحداث التي دارت في بيزنطة ولعب فيها العثمانيين دورًا مؤثرًا، ما لبث وأن أطل الخطر المغولي على الجميع من جديد، عندما تقدم تيمورلنك بقواته تجاه غرب آسيا، وأرسل إلى الظاهر مجد الدين عيسى حاكم ماردين يستدعيه لتقديم الخضوع والولاء له، وذلك في 29أغسطس 1393م، إلا أن الظاهر مجد الدين عيسى – والمعروف بأنه أحد الموالين للسلطان برقوق – أرسل يعتذر لتيمورلنك عن الحضور قبل أخذ رأى السلطان برقوق أولا[4] وهو ما قام به بالفعل، وكان رد السلطان برقوق له ألا يلتفت لأوامر تيمورلنك[5]، ورغم ذلك تعامل تيمورلنك مع حاكم ماردين بنوع من الدبلوماسية الهادئة، وأرسل إليه يخبره بأن كل ما يريده منه هو كسب مودته مضيفاً

1_ القرماني : اخبار الدول،مج3،ص17 .

2_ Charanis,P.,The Strife Among the Palaeologi and the Ottoman Turks,P.307.

3_ Nicol,D.,The Last Centuries of Byzantium، P.312

4_ المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص 787

5_ المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص 788.

بأنه : " ليس لصاحب مصر بملكك حكم " [1] وفي الوقت نفسه وصلت رسل صاحب بسطام إلى السلطان برقوق تخبره بأن تيمورلنك استولى على شيزار، وقتل حاكمها، عارضًا عليه سرعة اتخاذ إجراء سريع للتصدى للخطر المغولى[2]، ثم هاجم تيمورلنك بغداد الخاضعة لحكم أحمد ابن أويس، وقام بمهاجمتهما والاستيلاء عليها، عقب فرار حاكمها، وذلك في 31 أغسطس 1393م [3] .

وفى خضم تلك الأحداث، لم يكن العثمانيون بمعزل عن الخطر المغولي، خاصة عندما أعلن السلطان بايزيد مساندته لأمراء الإمارات التركمانية، وهو ما عدَّه تيمورلنك تهديداً لأملاكه، ومن ثم أرسل خطاب تهديد لبايزيد يحذره من عواقب تلك المساندة[4]، ثم أرسل إلى القاضي برهان الدين أحمد حاكم سيواس يطالبه بإعلان طاعته له، وإقامة الخطبة وضرب السكة باسمه، مهدداً إياه بمهاجمة أراضيه إذا لم يستجب لتلك الأوامر، ليرد القاضى برهان الدين على ذلك التهديد بقطع رؤوس كبار رسل تيمورلنك وتعليقها في أعناق الباقيين، ثم أرسلهم إلى كل من السلطان برقوق والسلطان بايزيد، وحسبما يشير المؤرخ ابن عربشاه أن حاكم سيواس زودهم برسالتين إلى العاهلين المملوكي والعثماني يخبرهم فيها بتهديد تيمورلنك، وأنه أضعف من مقاومته بمفرده، وأن سقوط سيواس يعنى اقترابه من أراضيهما، وناشدهما بسرعة تقديم المساعدة له، ورد كلٌّ منهما على رسالته باستعداده لتقديم كل عون لحاكم سيواس لمقاومة تيمورلنك، بل إن بايزيد أضاف أنه يستطيع تجهيز عددٍ

1_ المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص 788 ؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس ،ج1 ،ص363؛ ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، خمسة أجزاء، تحقيق محمد مصطفى، نشر مركز تحقيق التراث، نسخة الهيئة العامة المصرية للكتاب، طبعة ثانية مصورة عن الأولى، القاهرة 1982 – 1984، ج1، ق 2، ص 369

2_ ابن الصيرفي: نزهة النفوس،ج1 ،ص363

3_ حاصر تيمورلنك مدينة بغداد لمدة شهرين، وحينما اقتحمها قتل العديد من سكانها وخرب أسوارها وأسواقها، لمزيدمن التفاصيل ، انظر : المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص 789–790 ؛ ابن عربشاه:عجائب المقدور،ص 116؛ ابن حجر العسقلانى : إنباء الغمر، ج 3 ، ص 154–156 ؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس،ج1 ،ص–363 364 ؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة،16 جزء، دار الكتب العلمية ، بيروت 1992م ،ج12،ص39–40

4 _Jean Paul Roux,Tamerlan,P.113.

لا يُحصى من القوات للتصدى لتيمورلنك[1]، وعلى الرغم من أن هجمات تيمورلنك العسكرية كانت أكثر تركيزاً على المناطق المتاخمة لحدود الدولة المملوكية في غرب آسيا، إلا أن ذلك كان الغرض الظاهري لتلك الهجمات، حيثُ يوجد غرضٌ خفيٌّ لا يقل أهمية عما سبق، ألا وهو أن تيمورلنك أراد حماية جناحه الشرقي قبل التوجه إلى إتمام باقي مشروعه التوسعى بمهاجمة الأملاك العثمانية في شبه جزيرة الأناضول، ومن ثم القضاء على أكبر قوتين أمامه آنذاك، وهما المماليك والعثمانيون، لذلك تطلب الأمر تحالف الأخِيرين معاً للتصدى لهذا المخطط المغولي، وفي مضمون خطاب القاضى برهان الدين أبلغُ دليل على أن التحالف العثماني المملوكي هو الحل لوقف أطماع تيمورلنك .

انطلاقا مما سبق، وفي أواخر عام 1393م رأى الطرفان العثماني والمملوكي أن الظروف قد تتوافق مع رغبتيهما لإتمام التحالف المنتظر، خاصة عندما قَبِلَ السلطان برقوق اعتذار السلطان بايزيد عما فعله الأخير قبيل عامين في قيصرية[2]، ومن ثم وجدنا بايزيد يسارع بإرسال سفارة إلى القاهرة تحمل هدايا قيمة، حاملة رسالة منه إلى السلطان برقوق يسأله تجهيز طبيب من أطباء القاهرة ليداويه من مرض به، ويذكره كذلك بخطورة التحركات العسكرية التى يقوم بها تيمورلنك في غرب آسيا، وأن الأراضى العثمانية والمملوكية فى خطر، عارضًا عليه التحالف العسكرى بينهما، وأنه كبادرة منه نحو تحقيق ذلك، وضع تحت تصرفه مائتى ألف فارس منتظراً منه ردًا فعليًّا حيال ذلك[3]، وقد رحب السلطان برقوق بالسفارة العثمانية، وذلك في 3 أكتوبر 1393 م، وعند مغادرتهم أرسل معهم الهدايا

1_ ابن عربشاه:عجائب المقدور، ص152-153

2_ كان السلطان برقوق قد أرسل حسام الدين حسن الكجكلى ، ومعه بعض الهدايا، إلى السلطان بايزيد ، مع تكليفه بالتوسط في الصلح بين بايزيد وحاكم قيصرية .انظر : المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص 763 ؛ ابن حجر العسقلانى: إنباء الغمر، ج 3، ص 113

3 المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص 763 ؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس ج1 ص365؛العينى : السيف المهند في سيرة الملك المؤيد " شيخ المحمودي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2003م ص 94؛ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج12، ص 37.

وطبيبا محملا بما يلزم السلطان من أدوية وعقاقير[1] . وكان من الملاحظ أن السلطان برقوق لم يشر من قريب أو بعيد إلى فكرة التحالف مع السلطان بايزيد، وبالتالى لم يُبد موافقته على تلك المساعدة العسكرية التى ألمح إليها بايزيد، والتى تتمثل فى تقديمه مائتى ألف فارس تركى ليكونوا بجانب الجيش المملوكى في مواجهة المغول[2].

وعلى الرغم من أنه لم يتم إعلان تحالف عثمانيٍّ مملوكي بشكل واضح ورسمى بين الطرفين، إلا أن تيمورلنك شعر بالقلق والخوف من إمكانية حدوث ذلك، لذلك أسرع بإرسال سفارة إلى السلطان برقوق وصلت إلى الرحبة – الواقعة فيما بين الكوفة وبغداد والتابعة للأملاك المملوكية – وذلك في 30 نوفمبر 1393 [3]، ليرسل حاكم الرحبة إلى السلطان برقوق يخبره بوصول تلك السفارة، وبصحبتها هدايا قيمة تتمثل في العديد من المماليك والجواري، ومنهم أبناء العديد من الشخصيات البارزة في بغداد[4]، وكذلك رسالة موجهة من تيمورلنك إلى برقوق تتضمن فى بدايتها إشارات من التهديد، موضحاً أنه يسيطر على إمبراطورية كبرى تشمل بلاد فارس والعراق على حدود الأراضى المملوكية، وأن الإمارات التركمانية الموجودة فى تلك المنطقة أصبحت في حمايته، وفى النهاية يطالبه بإيجاد صداقة وود بينهما، مع تنشيط حركة التجارة بين الطرفين ، وغضب السلطان برقوق من نبرة التهديد الموجودة في الجزء الأول من الرسالة فيأمر بقتل رسل تيمور على الفور[5] .

الجدير بالذكر، أنه على الرغم من أن ما فعله برقوق منافي لقواعد تبادل السفراء بين

1_ الطبيب الذي أرسلة برقوق للسلطان بايزيد كان يدعى شمس الدين محمد بن محمد الصغير ، انظر : المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص 790 ؛ ابن حجر العسقلانى : إنباء الغمر، ج 3، ص 158 ؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس أج1 أص366؛ابن إياس : بدائع الزهور، ج1أق 2، ص 260 .

2_ ياسر مصطفى عبد الوهاب: محاولات التحالف، ص812.

3_ ترأس سفارة تيمور إلى برقوق الشيخ سواح ، وهو رجل وصف بأنه ذو مواهب وقدرات خاصة أانظر : المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص 797.

4_ من هؤلاء الشخصيات ابن وزير بغداد، وابن قاضيها ، وابن محتسبها ، بالإضافة إلى تسع من المماليك ، وتسع من الجواري ، انظر:المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص 797. وراجع أيضا:
حفظ الله ناصر عبد الله مصلح: تيمورلنك وشخصيته السياسية والعسكرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق 2009م، ص191.

5_ المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص 797؛ ابن حجر العسقلانى : إنباء الغمر، ج3 ، ص 235

الحكام إلا أننا إذا حاولنا تفسير ذلك نجد أنه فعل ذلك لإدراكه من خلال نبرة التهديد في رسالة تيمورلنك، وكذلك نوعية الهدايا المرسلة، والممثلة في أبناء كبار رجال بغداد، بأن تيمورلنك يستخدم الترغيب والترهيب معه وهو أسلوب عرف من المغول استخدامه منذ وقت طويل لذلك اعتبر ما فعله مع السفراء رد فعل طبيعي من جانبه، كذلك يمكن إضافة اطمئنانه لوجود حليف قوي ممثل في السلطان العثماني الذى إن لم يسانده في صدامه المقبل أمام تيمورلنك فهو على الأقل يأمن شروره [6].

في نهاية تلك الأحداث التي جمعت بين بيزنطة والقوى المتواجدة في الشرق آنذاك، كان من الملاحظ تدخل العثمانيين وبشكل متتالي في مسألة الصراع على العرش البيزنطي، سواء بعرضهم المساعدة لطرف ضد أخر، أو عن طريق استدعائهم من قبل أحد الأطراف المتصارعة للوصول للحكم، فمثلا في الصراع الذى قام بين أندرونيقوس الرابع والإمبراطور يوحنا الخامس، والذى تم على مرحلتين فالمرحلة الأولى كانت بالاتفاق مع الأمير صاووجي ابن السلطان العثماني مراد الأول على الإطاحة بوالديهما، ويرجع ذلك لشعورهم بالنقص بين إخوتهما وتفضيلهم عليهما، فوجد كل منهما العون للآخر وأعلنوا العصيان ولكن عندما علم العاهلان بهذا العصيان تحركا علي الفور وكان العقاب بسَمْل العين والزج بأندرونيقوس الرابع في السجن، وساند السلطان العثماني أندرونيقوس الرابع، ولم يكن مساعدته رغبة فى استقرار بيزنطة، بل رغبة فى زعزعة الأمن الداخلى للإمبراطورية، وظل الوضع متزعزعًا أيضا بين الأطراف بسبب استبعاد مانويل من وراثة العرش البيزنطي، ومع وفاة حنا الخامس بدأت صفحة جديدة من العلاقات البيزنطية العثمانية في عهد خليفته مانويل الثاني، حاول التخلص من تبعية أباطرة بيزنطة للسلطان العثماني، وفشل في ذلك.

مما سبق نستنتج أنه وسط تلك الأحداث والتي جعلت بيزنطة في احتكاك مباشر مع العثمانيين، ظهر الخطر المغولي من جديد مع رغبة تيمورلنك في إعادة إمبراطورية المغول مرة أخرى على الساحة الدولية، ولم يكتف باكتساح وسط آسيا بل توجه

6_ ياسر مصطفى عبد الوهاب: محاولات التحالف، ص813.

غربـا حتـى وصل لبلاد الشـام وبدأت أطماعُه فـي الممتلكات المملوكيـة والعثمانية، عن طريق السـيطرة على الإمارات التركمانية، مما جعل القوتين المملوكية والعثمانية يحاولان عن طريق السفارات المتبادلة توحيد صفوفهما معا ضد العدو الجديد الطامع في اكتساح المنطقة، وهي أمور بلا شك أثَّرت في نفس الوقت على الوضع في بيزنطية، وكانت مؤشرا على انشغال العثمانيين ولو مؤقتا عن أباطرة القسطنطينية .

الفصل الثالث

حصار القسطنطينية وصراع القوى في المشرق الإسلامي

(٧٩٥/١٣٩٣-١٣٩٩م - ٨٠٢هـ)

- **بداية الحصار العثماني للقسطنطينية عام ١٣٩٤م/ ٧٩٦ هـ.**

- **معركة نيقوبوليس وأثرها على القوى في المنطقة ١٣٩٦م/٧٩٨ هـ.**

- **التحالف العثماني المملوكي ضد الخطر المغولي عام ١٣٩٧م/ ٧٩٩هـ.**

- **حملة المارشال الفرنسي بوسيكو لفك الحصار العثماني عن القسطنطينية، وموقف تيمورلنك من ذلك١٣٩٩م/ ٨٠١ هـ.**

- **سفارة بيزنطية لتيمورلنك تدعوه للتحالف والتصدي للخطر العثماني١٣٩٩ م/ ٨٠٢هـ.**

- **مانويل الثاني يقرر التوجه نحو الغرب الأوروبي أواخر عام ١٣٩٩م/٨٠٢هـ.**

تناولنا فيما سبق، كيف وضعت الأحداث بيزنطة بين التدخل العثماني في مشاكلها الداخليـة، والتـي تركـزت وبشـكل خاص علـى الصراعـات الدائرة علـى العرش في القسطنطينية، وبين ما حدث من تحالفات دولية ضد الخطر المغولي، الذي بدأ بالظهور مع طموح القائد تيمورلنك وأطماعه في المناطق المجاورة لسلطانه، وذلك في الفترة مـا بين عامـي 1373م/ 775هـ-1393م/ 795 هـ)، وفيما يلي مـن صفحات من خلال مؤلفنا سـوف نلقي الضوء على مرحلة جديدة من تلك الصراعات، والتي بدأت بتلـك المحنة التي تعرضت لها الإمبراطورية البيزنطية، والممثلة في حصار عاصمتها القسطنطينية وصراع القوى المختلفة في المشرق الإسلامي في تلك الفترة.

بداية الحصار العثماني للقسطنطينية عام ١٣٩٤م/ ٧٩٦ هـ

في أواخر عام 1393 م/ 795 هـ أراد السـلطان العثماني بايزيد الأول Bayzid I (1389- 1402م/ 791- 805هـ) أن يُظهر سـيطرته على الإمبراطورية البيزنطية وحكام البلقان، فاسـتدعاهم جميعًا للاجتماع به في مدينة سـريس Serres - الواقعة على نهر سـتريمون Strymon في الأراضي المقدونية- وبالفعل حضر الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني Manuel II [1] وأخيه ثيودور حاكم المورة، وكذلك سـتيفان حاكم الصرب، وحنَّا السـابع باليولوجـوس، والعديد من الحكام، وكان من الملاحظ أنـه حضر هـذا الاجتماع أفراد أسـرة باليولوجوس بنـاءً على دعوة السـلطان العثماني

1_ ولـد مانويـل الثـاني باليولوجوس Manuel II Palaeologus في القسـطنطينية في السـابع والعـشرون من يوليو 1350م، وهـو الابـن الثالـث للإمبراطور يوحنا الخامـس باليولوجوس، أصبـح حاكماً على سـالونيك منذ صيف عام 1369م، وتوج كإمبراطور مشـارك عام 1373م، وخلـف والده على العرش في فبراير 1391م وقد تزوج من هيلينا ابنة قسـطنطين دراجاش Dragas في سـنة 1392م، و توفى مانويل في القسـطنطينية في عام 1425م. لمزيد من التفاصيل انظر :

Barker,J.W.,Manuel II Palaeologus,PP.11-25;Dennis,G.,The Reign of Manuel II Paleologos in Thessalonica,"1383-1387",OCA,Roma,1960,PP.11-55

راجع ايضا: دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ص147-148.

بايزيـد، وكان هدفـه من هـذا الاجتماع هـو التخلص من أفـراد باليولوجـوس وقتلهم جميعًـا، ولكـن من حُسـن حظ هذه الأسـرة، أن بايزيد لـم يلبث أن غير رأيـه، واكتفى بقطع أيدي وسَـمْل عيونِ عدد من قادة الجيش البيزنطي، وقد أراد السـلطان العثماني مـن خلالـه أن يحقق عدة أهداف، ومنها: إظهار تبعيـة الإمبراطور البيزنطى مانويل له، ومـن ثم ممارسـة النفوذ العثماني علـى بيزنطة، وأخيرا أراد أن يُظهـر لهؤلاء الحضور الحقوق والواجبات الملزمين بها تجاه الدولة العثمانية [1].

مـن جانب أخر، ربما كان من نتـاج هذا الاجتماع أيضا هو إنزال الرعب والفزع في قلـوب من حضـروه، بالإضافة إلى فـرض بايزيد نفوذه على أفراد أسـرة باليولوجوس الجالسة على العرش البيزنطي، وهذا ما جعل مانويل الثاني يبدأ في التفكير بالتخلص من تبعيته للسلطان العثماني على حد قول المؤرخ هامر Hammer[2]

فـي تلـك الأثناء، وفي مطلع عام 1394م/ 795 هــ وعقب فترة وجيزة من رحيل الإمبراطور مانويل من مدينة سـريس أرسل إليه السلطان بايزيد يستدعيه للحضور إلى بلاطـه للقيام بواجبـه كتابع، فاجأ مانويل السـلطانَ برفضه للدعوة، بـل وعندما طلب منـه بايزيـد تحويل أحد الكنائس في القسـطنطينية إلى مسـجد وتعيين قـاضٍ عثمانيٍّ، رفـض مانويل تنفيذ مطالبه[3]، وعندئذٍ اعتبر السـلطانُ بايزيد مانويل بمثابة تابعٍ متمردٍ على سيده، بل وقرر وضع نهاية للإمبراطورية البيزنطية التي أصبحت شبه واقعةً وسط النفوذ العثماني في المنطقة.[4]

1_ George Phratzes,Annales(1259-1477),ed.Immanuel Bekker,in C.S.H.B, (Bonne,1838),P.57; Gautier,P.,Un Recit Indit Du Siege De Consantinole par Les Turcs1394-1402,in R. E. B,Tom.XXXIII,Pairs,1965.P.107

Brehier، L.، the Life and Death OF Byzantium,Trens,Lated by Margaret Vaughen,New York,Oxford,1977,P.330.

2_ Hammer,V.، Histoire De LEmpire Ottoman ,Tr .by. J. Hellert، Tom.I، Paris، 1841-1853.,Tom.I,P.341

3_ Jonathan Harris، The Lost World of Byzantium، Yale Univrsty Prees New Haven and London,p,2015,p.238.

4_ Preas، E.,The Destruction of the Creek Empire and the Story of Capture of Constantinopleby the Turks,NewYork,1968,P.136;Browning,R.، The Byzantine Empire، New York,1980.P.175.

في مارس 1394م/ 796 هـ بدأ السلطان العثماني في تنفيذ مخططه تجاه بيزنطة، فأرسل جيشاً تجاوز العشرة آلاف رجل تحت قيادة وزيره على باشا [1] لفرض الحصار على مدينة القسطنطينية، وبدأت القوات العثمانية في مهاجمة ضواحيها ونهبها، مما اضطر السكان إلي الفرار من تلك المناطق. [2]

في الوقت نفسه، قرر السلطان بايزيد بناء قلعة على الجانب الأسيوي للبوسفور على بعد ستة أميال من القسطنطينية، وهي قلعة أناضولي حصار Anadolu Hisar [3]،

1_ باشا: Pasha مشتقة من "بادشاه وهي كلمة أصلها فارسي، و يقال أنها "باشك"، وهو لقب منحه العثمانيون لأصحاب المناصب العالية من المدنيين والعسكريين، وظلت كذلك حتي إلغاء فرقة الإنكشارية، فبدأ استبدالها بلقب جنرال بدلا عن لقب باشا لرجال الجيش. وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي أعيد منح هذا اللقب لمن علت مراتبهم من رجال الدولة العثمانية كالوزراع، وغيرهم، للمزيد انظر:
حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة 2004مص28.
ويعد علي باشا الجاندرلي -والذي لقب بالصدر الأعظم- الوحيد طيلة حياة السلطان بايزيد الأول احتفظ به وزيرا كما كان في عهد والده السلطان مراد، حيث استمر في منصبه ما يقرب من تسعة عشر عامًا، بداية من عام 1387م/ 789ه إلى وفاته 1406م/ 809هـ وينتمي علي باشا إلي أسرة جندرلي، وهي من الأسر العريقة، وقد تولي منصب الصدر الأعظم بعد والده خليل باشا الجاندرلي، ومنحه السلطان بايزيد خاتم توقيعه، ولعب علي باشا دورًا كبيرًا في بناء الإدارة المركزية بعد أن أنشأ منصب قاضي عسكر ومنصب شيخ الإسلام، كما كان له دورٌ كبير في تكوين قوات الإنكشارية، انظر:
روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، ج١، ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة،1993م، ص 60؛ هاملتون جب وهارولد باون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد إيبش، جـ1، طـ١، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي،2012م، ص 161

2_ Doukas,M.، Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,Tr. From"Historia Turco Byzantion "by Harrry J. Magoulias,Wayne State University,1975,P.83

كانت هناك مبالغة واضحة من جانب الرحالة الأسباني كلافيجو Clavigo عندما ذكر أن بايزيد حاصر القسطنطينية بأربعمائة آلاف رجل، انظر:

Clavijo,C.,Emmbassy to Tamerlan,1403-1406,tr,from the Spanish by Guy Lestrang، (London,1928) ,P.89

3_ أطلق على قلعة أناضولي حصار اسم " كزل حصار"Guzeldje Hyssarr" أي القلعة الجميلة، وتعني أيضا شديدة البياض، وقد بناها السلطان العثماني بايزيد على الضفة الأسيوية من مضيق البوسفور؛ استعدادًا لفتح القسطنطينية، والقضاء على بيزنطة . انظر:
أحمد فؤاد متولي & هويدا محمد فهمي: تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، طـ١، انتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م، ص79.

وجانب الصواب المؤرخ دوكاس حينما نسب بناء القلعة للسلطان مراد[1]

وفي إبريل 1394م/ 796هـ أقدم بايزيد على خطوةٍ أكثر خطورةٍ تجاة العاصمة الإمبراطورية، وهي: منع أيَّة إمدادات تصل إلى القسطنطينية من هذه الأماكن، وحرمان سكانها من المنتجات الزراعية القادمة من تلك الأماكن[2]، كما وضع بايزيد كل الأماكن التي استولى عليها العثمانيون من قبل في بلاد اليونان تحت سيطرته المباشرة مثل مدينة سالونيك، وبعض أجزاء ومدن شبه جزيرة البيلبونيز وتساليا Thessaly[3]، ويؤكد المؤرخ جوتييه Gautier في دراسته عن حصار القسطنطينية هذا بالقول: "أن السلطان بايزيد كان يهدف من تلك الهجمات العسكرية فصل مدينة القسطنطينية عن الأماكن التي كانت تتلقى منها المؤن؛ ولهذا فإن سكانها كان عليهم آنذاك الاعتماد على دخل المدينة نفسها" .[4] من جانب أخر ينفرد الرحالة الإسباني كلافيجو Clavigo بالقول بأن السلطان بايزيد لم يكتفِ بالحصار البري للقسطنطينية، بل فرض عليها أيضا حصاراً بحرياً بحوالي ستين سفينة حربية [5]، كما يشير سرهنك وجوتييه Gautier " أن العثمانيين استخدموا آلات عديدة في حصارهم للقسطنطينية" [6]، وخاصة المجانيق[7] .

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks، PP. 72.

2_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.83 .

3_ إقليم تساليا Thessaly يقع في منتصف بلاد اليونان جنوب مقدونيا وشمال هيلاس Hellas يفصل بينها وبين إمارة إبيروس جبال بيندوس Pindus، وتعتبر لاريسا Larrisa من أهم مدنها..انظر:
إسحق عبيد: الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس (1261-1282م)،مطبعة دار الكتب،بيروت، د.ت، ص 15-85.

4_ Gautier,P.، Un Recit Indit Du Siege De Consantinole par Les Turcs 1394-1402,Revue Des Etudes Byzantines,Tom.XXXIII,Pairs,1965,p.105;Vasiliev,A.، Histoire De LEmpire Byzantine,1081-1453,Tom.II، Paris,1932.,Tom.II,P.316.

5_ Clavigo,Embassy to Tamerlane,P.89.

6_ إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ1، طـ1، المطبعة الأميرية، القاهرة،1312ه، ص495.
Gautier,P.,Un Recit Indit Du Siege De Consantinole,p.107

7_ المنجنيق: عبارة عن أربع دعامات خشبية عمودية، مثبت بها ثمانية قطع من الخشب، أربع منها أعلي وأربع في القاهرة، وكان المنجنيق يغطي بالجلد حتى يظل خفيفا، وفي سقفه من الداخل كانت تعلق دعامة خشبية كبيرة بواسطة سلاسل، وهذة الدعامة كانت توضع في منتصف المنجنيق، وكان طرق هذه الدعامة الخشبية مدببا، ومغطي

من خلال ما سبق يمكننا القول أنه حتى تلك المرحلة من حصار القسطنطينية، أنه لم يكن هناك قتال عسكري بالمعني المفهوم بين الطرفين البيزنطي والعثماني، وهذا ما أكده المؤرخ ميخائيل دوكاس Micael Doukas بقوله: " لم يفعل الطاغيةُ؛ بايزيد أي حربٍ حقيقية ضد المدينة، فلم يفرض حصارًا بآلاتٍ لإبادةِ شُرفاتِ حُصونها وأسوارها، وخلافاً لذلك لم يقم بأي نوعٍ من الأعمال العسكرية، كما أنه لم يصدر الأوامر إلى قواته للقيام بأي مناوشات، ولكنه بدلاً من ذلك نشرها حول المدينة لحراستها حتى لا يستطيع أي شيء دخولها أو الخروج منها".[1] بينما عبر المؤرخ ابن عربشاه عن هذا الوضع قائلاً: "ابن عثمان كان بالحصار قد أنهكها، وأباد قُراها وضواحيها وأهلكها، وضيق على أهلها في مجاري أرواحهم مسلكها"[2]. وبالفعل ومع مرور الوقت عانى سكان القسطنطينية كثيرًا على الرغم من محاولات التجار الجنوية من إدخال شحنات من الحبوب لسد حاجة سكان العاصمة الإمبراطورية [3] .

برأس من الحديد ويجعل المنجنيق على أربع عجلات، وعند استخدامه لهدم أحد الأسوار كان يتم سحب الدعامة الخشبية إلى الخلف ثم تركها إلى الأمام في إتجاه الأسوار. انظر:

جوزيف داهموس: سبع معارك فاصلة في العصور الوسطي، ترجمة محمد فتحي الشاعر، ط2، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة،1989م، ص35.

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.83; Chalcocondyles,L.، Historiarm ، Translation and Commentary of the"Demonstration of Histories (Book I-III)"، ed.By. Nicoloas Nicoloudis، Athens,1996,PP.209- 211;CF.also:Gautier,P.,Un Recit Indit Du Siege De Co nsantinole,P.106;Necipoglu,N.، Byzantium Between the Ottoman and the Latins، Cambridge، 2009,P.149.

2_ ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق أحمد فايز الحمصي، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت،1986م، ص333.

3_ تشير الدراسات الحديثة أن تلك المساعدات كانت من جانب تجار جنوة ولم تكن بشكل رسمي من السلطات الجنوية، وأن الأخيرة رفضت ذلك الأمر بل وأصدرت أوامرها بمنع تهريب تلك الشحنات لسكان القسطنطينية، خوفا من غضب السلطان العثماني، انظر:

Vasiliev,A.,Histoire De LEmpire Byzantine,Tom.II,P.317

معركة نيقوبوليس وأثرها على القوى في المنطقة ١٣٩٦م/٧٩٨ هـ.

وفي حقيقة الأمر، كان الإمبراطور مانويل الثاني يواجه العديد من الصعوبات أثناء هذا الحصار، منها: عدم توافر القوة الحربية والاقتصادية اللازمة للدفاع عن القسطنطينية ضد العثمانيين[1]، ومن ثم قام بمراسلة البابا بونيفاس التاسع Boniface IX (1404-1389م)[2]، وشارل السادس Charles VI ملك فرنسا (1380-1422م) [3]، وسيجسموند Sigismund ملك المجر، يخبرهم بالحصار العثماني والوضع السيء داخل المدينة، محذرًا أنه في حالة عدم قدوم مساعدات على وجه السرعة إلى القسطنطينية فإنها سوف تستسلم للسلطان العثماني. [4]

وبناء على ذلك تحرك حكام الغرب الأوربي لإنقاذ بيزنطة قبيل السقوط، ففي عام 1395م / 797هـ أصدرت البابوية عدة مراسيم للتبشير والدعوة لشن حملة صليبية تنقذ القسطنطينية، وتتصدى للعثمانين، وتم الصلح ما بين ريتشارد الثانى Richard II ملك انجلترا (1399-1377م)[5]، والملك الفرنسي

1_ Jonathan Harris، Constantinople Capital of Byzantium، London,p,2017,p.188

2_ البابا بونيفاس التاسع (1356 Bonifaci IX-1404م): هو البابا المائتين وواحد للكنيسة الكاثوليكية، تولى البابوية من 2 نوفمبر 1389م حتى وفاته في أكتوبر 1404م. انظر:
Richard,P.,Mcbrien، the Pocket Guide to the Popes، Harper one، 2006، P.231.

3_ شارل السادس 1368 (Charles VI-1422م) هو ابن الملك الفرنسي شارل الخامس من زوجته جاندو بوربون، وهو رابع ملك من عائلة فالو من سلال كابيه، ولقب شارل بالمجنون Le Fou انظر:
Rosser,J.، Historical Dictionary of Byzantium,USA,2001، P.76.

4_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.83.

5_ - ريتشارد الثاني (6 يناير 1367 - 14 فبراير 1400) ثامن ملوك إنجلترا من أسرة بلانتا جانت، استمرت فترة حكمه من عام 1377 حتى الإطاحة به في عام 1399. كان ريتشارد ابن الأمير إدوارد، الأمير الأسود، حيث ولد في عهد جده إدوارد الثالث ملك إنجلترا. وفي الرابعة من عمره، أصبح ترتيب ريتشارد ثانيًا في ولاية العهد بعد وفاة شقيقه الأكبر إدوارد أنغولم، ثم وليًا للعهد بعد وفاة والده في عام 1376. ومع وفاة إدوارد الثالث في العام التالي اعتلى ريتشارد العرش في سن العاشرة، خلال السنوات الأولى في مُلك ريتشارد كان الحكم في يد سلسلة من المجالس حتى لايسيطر "جوندو قلانكستر" عم الملك والوصي على العرش على الأمر بمفرده. كانت ثورة الفلاحين عام 1381هي أول التحديات الرئيسة في عهده، والتي تعامل معها الملك الشاب بشكل جيد، ولعب دورًا رئيسًا في قمع التمرد. وفي السنوات التالية تسبب اعتماد الملك على عدد صغير من رجال البلاط في استياء المجتمع السياسي. وفي عام 1387، سيطر على الحكومة مجموعة من النبلاء وهو ماعرف باسم مجلس اللوردات. وفي عام 1389

شارل السادس [1]. و لعب دوق برجندى فيليب الطيب Philippe le Bon(1467-1419م) [2] دورًا هامًا فى الإعداد للحملة المرتقبة[3]. كما تحدد 20 أبريل عام 1396م/ 798هـ، كموعد لالتقاء الجيش الفرنسى فى ديجون Doigon-عاصمة إقليم برجندى فى شرق فرنسا-، حيث يتم دفع أجور أربعة أشهر لهم بمعدل أربعين فرنك للفارس، وعشرين فرنك لحاملى الدروع، واثنى عشر لرماةِ السهام[4]

علـى أيه حـال، قيل أن تلـك القوات والتي تجمعـت بهدف التصـدي للعثمانيين، بلغت المائة ألف أو يزيد وهو الأمر الذي دفع سيجسموند ملك المجر للقول: " لماذا علينا أن نخاف من هذا الرجل - بايزيد- فلو سـقطت السـماء علينا فإننا نستطيع رفعها

استعاد ريتشارد السيطرة، وعلى مدى السنوات الثماني التالية حكم إنجلترا بدون أن يَدخلَ في صراعاتٍ مع خصومه السـابقين. ثـم في عام 1397، بدأ انتقام ريتشـارد من اللوردات، فأعدم أو نفى كثـيرًا منهم. وقد وصف المؤرخون العامين التاليين بأنهما سـنتي "طغيان" ريتشـارد. في عام 1399، وبعد وفاة عمه "جوندو قلانكسـتر" جرّد ابن عمه "هنـري بولينجبروك" من أملاكه والذي كان قد سـبق نفيه، والذي غزا إنجلـترا في يونيو 1399 بقوة صغيرة ازداد عددها بسرعة. وعلى الرغم من أنه ادّعى في البداية أن هدفه فقط استعادة إرثه، إلا أنه سرعان ما أصبح واضحًا أنه ينوي المطالبة بالعرش لنفسـه. وبعد مقاومة لا تذكر، خلع "بولينجبروك" ريتشـارد، ونصّب نفسـه ملِكًا تحت اسم" هنري الرابع". توفي ريتشارد في الأَسْر في بداية العام التالي، ويرجّح أنه قُتل. أنظر:

Anthony Goodman & James L.Gillespie,Richard II "The Art of Kingship,(Oxford,1999),p.266

1_ Atiya,A,S ، The Crusade of Nicopolis ، (London 1934),pp، 29-31

2_ فيليـب الطيـب Philippe le Bon : دوق برجنـدى، ولد فى نفـس عام اندحار الجيش الصليبى فى نيكوبوليس _ أى عام 1396 _ وكان من أشد المتحمسين لقيادة حربٍ مقدسةٍ، لذلك أفصح أمام الجميع أكثر من مرة، خاصةً أنه كان يُعد من أغنى الحكام الأوروربيين فى تلك الفترة . انظر: موريس كين: حضارة أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم، دارعين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة،2015م، صـ 248-249

3_ قـام فيليـب بفـرض ضرائب إضافية، وذلك من خلال إصدار مرسـوم قانـون بذلك عـام 1394م، ذلك بالإضافة للاقتراض والمعونات من نبلاء فرنسـا الآخرين والدول المجاورة، والاقتراض أيضا من دوق ميلان ورجال الدين، فكانـوا في حاجـةٍ كبيرةٍ لجمع الأمـوال الضخمة من أجل هذا المـشروع، وبالفعل اسـتطاع دوق برجندى جمع مبلغ ضخم يقدر بحوالى سـبعمائه ألف فرنك ذهبى، كما سـاهم أيضا جوى السادس كونت لاترمويل Guy VI de la Tremoًuille بأربعةٍ وعشرين ألف فرنك، انظر:

Froissart,j، Chronicle of Froissart,Trans by John Bouchier,Lord Berners edited by Macaulay,G.,London 1930,pp,436-445; Atiya,A,S.، The Crusade In Later Middle Age، London، 1938، p، 438

4 Atiya,A,S ، The Crusade of Nicopolis ، pp,42-43

بحرابنا"[1]، ثم توجهت تلك القوات نحو نيقوبوليس Nicopolis وذلك في عام 1396م/ 798هـ[2]، وعندما علم السلطان بايزيد بتلك الحملة، جمع قواته ورفع الحصار عن القسطنطينية حسبما ذكر المؤرخ ميخائيل دوكاس Michael Doukas ورأَسَ قواته إلى الدانوب، وكان فرسان الغرب في المقدمة لم ينتظروا أن يُعلموا سيجسموند بخططهم، فقد دفعهم الحماس الصادق بالغ الارتفاع على أن يهاجموا التل، وتشتت أمامهم الفرسان العثمانيون، وبينما كان العثمانيون يجمعون شملهم من جديد وراء المترجلين، أعاق فرسانَ الغرب عن الحركة أعمدةُ الحاجز في المدينة، فبادروا إلى الترجل عن أفراسهم، وواصلوا الهجوم على أقدامهم، فنزعوا الأعمدة من الأرض كلما تقدموا، وكان ذلك حافزاً على الهجوم حتى تشتت شمل العثمانيين، وعلى الرغم من أن العثمانيين استطاعوا أن ينسحبوا إلى ما وراء الخيالة الذين اجتمعوا من جديد، فإن عدداً كبيراً منهم تعرض للقتل أو تم قذفهم من السهل وعندما أسرع الصليبيون وبلغوا قمة التل، أضحَوا وجهاً لوجه مع فرسان بايزيد، ففاجأتهم هذه القوات النشطة وتحول انتصار الغرب إلى هزيمة، وغرق الكثير من القوات أثناء محاولتهم عبور الدانوب، ولم ينجُ من القتل إلا عددٌ قليلٌ من الفرسان، وأرسل بايزيد الأحياء إلى بورصة حيث احتُجِزوا وسُلِّموا فيما بعد مقابل مبالغ مالية كبيرة.[3]

وهكذا استطاع بايزيد أن يحقق انتصارًا ساحقاً في نيقوبوليس بسبب الانقسامات

1_ صلاح عماد الدين صلاح الدين: الإمبراطور مانويل الثاني باليولوج (1391-1425) والإسلام في ضوء كتاباته الأدبية ومحاوراته اللاهوتية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنصورة، 2017م، ص55.

2_ نيقوبوليس Nicopolis: تعنى مدينة النصر Nico-Polis وتعرف حديثاً بنيقوبول Nikopol وبالتركية Nigheboli، وتعرف في المصادر المجرية نيقوبوليس الكبرى تمييزاً لها عن نيقوبوليس الصغرى، وهي تقع بالقرب من مصب نهر أوسما Osma مقابل وادي Aluta وتتحكم في اثنين من أفرع الدانوب الرئيسية اللذين يخترقان بلغاريا ووالاشيا. لمزيد من التفاصيل عن المدينة. انظر:

Atiya,A.,The Crusade In Later Middle Age، P499; Idem,The Crusade of Nicopolis,London,1934,Appendix,VIII,PP.152-4,P.181. No.66.

3_ Doukas، M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.84-85.

راجع ايضا: حسين كوكتشة وآخرون: السلاطين الأوائل" عصر سلاطين الدولة العثمانية"، ترجمة: سمير عباس، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة 2016م، ص124.

التـي حدثت في صفوف قيـادات الحملة، والتخطيـط الجيد، وعـدم معرفتهم بطريقة قتـال القوات العثمانيـة، بل والأهم: الافتقار إلى الرؤيـة الواحدة الواضحة والأهداف المشتركة. [4]

مـا لبثت وأن بـدأت نتائج معركة نيقوبوليس فـي الظهور، فوجدنا السـلطان بايزيد يقـرر علـى الفـور العـودة لحصار القسـطنطينية مـن جديـد[5]، وفرض عليهـا حصاراً شـديداً، كان الهدف منه إجبارها على التسـليم وحتى ينتهي الأمر بسرعة في الاستيلاء عليهـا، قـرر تدمير بعض المناطق التي كان يمكن أن تُرسـلَ لهـا النجدات، ثم عاد إلى القـوات المحاصرة للعاصمة البيزنطية. [6] وأرسـل تهديـدًا للإمبراطور مانويل الثاني يطالبه بتسـليم مدينة القسـطنطينية له، وتوعده بالقضاء عليه وعلى شـعبه إذا رفض هذا الأمر، ورغم ما تَحْمِلُ هذه الرسالة من تهديدٍ واضح للإمبراطور مانويل بالقضاء عليه وعلى شعبه، إذ رفض تسليم مدينة القسطنطينية للسلطان العثماني [7].

علـى أي حـالٍ، لم ينفذ السـلطان بايزيد تهديده لمانويل الثاني، وقد قيل أن سـببَ ذلـك نصيحةُ وزيره علي باشـا الذي أخبره أن الاسـتيلاء على القسـطنطينية قد يجلب

4_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.83-84.

5_ تعـد معركـة نيقوبوليـس Nicopolis واحدة مـن أقدم وأخطر الفصول في تاريخ المسـألة الشرقيـة، والذي انتهي لصالـح العثمانيـين بعد قبولهم كدولة أوروبية جديدة على الرغم من اختـلاف أصلهم ودينهم، وفي المقابل أصبحت المجـر حصـن الكاثوليكية لوقف الزحف التركي نحـو قلب أوروبا، ليس هذا فقط بل كانـت هذه المعركة هي أخر الحروب الصليبية لحركةٍ منظمة تستهدف استعادة الأراضي المقدسة، إذ أصبحت تلك الحركة بعد ذلك منحصرة في الدفاع عن أوروبا المسيحية أمام الإسلام المتمثل في العثمانيين. انظر:

Kelly Devries، The Lack of a Western European Military Response to the ottoman Invasions of Eastern Europe from Nicopolis (1396) to Mohács (1526)، J.M.H، Vol.63، No.3 (Jul.,1999)، PP.539-559، P.539

6 Cheyney,E.، The Dawn of A New Era,U.S.A.,1936,p.232;Vasiliev,A.,Histoire De LEmpire Byzantine، Tom.II,P.318;Greasy,E.، History of the Ottoman Turks,Beriut,1968,P.43.

7_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.85.

يفـسر المـؤرخ إدوارد جيبـون Gibbons Edward أن السـبب وراء رفض مانويل تسـليم المدينة يرجع إلي أن الإمبراطور مانويل قد وصل إليه آنذاك ستمائة فارس وهدية من النقود من فرنسا، انظر:

Gibbons,H.، The Foundation of the Ottoman Empire,P.232.

عليـه الغـرب الأوروبي من جديـد [1]، بينما يرى البعض أن السـببَ كان تفضيل بايزيد أنشـطته الحربية في آسـيا الصغرى، كما أنه عَرف عن طريق جواسيسه الموجودين في القسطنطينية أن سكانها يرغبون في التسليم، وأن هناك احتمالًا أن يجبروا مانويل على التسـليم إذا قـام بشـن هجوم ضخم على المدينـة، ولكن بايزيد لم يقـم بهذا؛ لأنه كان يـدرك تماماً أنه لن يتمكن من الاسـتيلاء عليها من الناحيـة البحرية، والتمكن من قطع طـرق مواصلاتها بحـراً [2]، كما أن العثمانييـن لم يمتلكوا وقتئذٍ المدفعيـةَ الثقيلةَ التي تمكنهم من مهاجمةِ أسـوارِ القسـطنطينية القوية.[3] ومن ثَم اكتفى السـلطان بايزيد بأنْ فرض على مانويل هدنةً لمدة عشْر سنواتٍ، وذلك مقابل ثلاثين ألف دوكات ذهبية [4] تدفع سنوياً للعثمانيين، وأمهل الإمبراطور عدة أيام للرد.[5]

مع مرور الوقت، زادت معاناة أهالي القسـطنطينية، وبدأ انقسـامُهم حول ما يحدث لهم، وتذمر أغلبيتُهم وأعلنوا على الملأ أنهم يفضلون تسليم المدينة للأتراك العثمانيين بدلاً من الموت جوعاً، كما أن تسـليم المدينة سـوف يُجنِّبُهم حالات النهبِ والسـلبِ التي سـتتْبَعُ نجاحَ العثمانيين في الإستيلاء على مدينتهم [6]، بينما وجدنا فئةً أخرى من السـكان لا يزال لديهم الأملُ في قدوم مسـاعدةٍ من الغـرب الأوروبي لنجدتِهم، ومن ثَمَّ كان يُنادَى بالصمود والدفاع عن المدينة، بينما كان هناك فئةٌ ثالثة أدخلت نفسها في الغيبيات وما عرف بالتأملات الألفية عن تاريخ المجيء الثاني للمسـيح عليه السـلام،

1_ Hearsy,J. ، City of Constantines 324-1453,Dufour Philadelphia,1966,P.230;.

2_ عزيز سـوريال عطية: العلاقات بين الشرق والغرب تجارية-ثقافية-صليبية، ترجمة فيليب صابر سـيف، مراجعة أحمد خاكي، طـ1، دار العلم العربي، القاهرة، 1972م، ص136؛ ستيفن رنسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، جـ3، دار الثقافة، بيروت، 1981م، ص771.

3_ Clavigo,Embassy to Tamerlane,P.90.

4_ دوكات: جمـع دوكـة وهي قطعة نقد ذهبية كانت متداولة في البندقية ضربت لأول مرة سـنة 1284م، وكانت بمثابة "دولار" القرن الخامس عشر. انظر: كات فليت: التجارة بين أوروبا والبلدان الإسلامية في ظل الدولة العثمانية، ص 337.

5_ Lavallée,T.,Histoire De LEmpir Ottoman,P.152

6_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.85.

على حد قول المؤرخ براونيج Browning.[1]

حدث وأن انتشر في شوارع القسطنطينية العديدُ من الأقاويل عن الأعمال الوحشية التي قام بها العثمانيون في حروبهم بآسيا الصغرى؛ مِن إبادة مدن، وتدمير المعابد المقدسة، وإجبار المسيحيين على التخلي عن عقيدتهم، وهو ما جعل سكان القسطنطينية يتفقون جميعًا على التخلي تماماً عن فكرة تسليم المدينة للعثمانيين، وقالوا: " دعونا لا نكتئِب، فنضعُ آمالنا في الرب، ودعونا نتحلَى بالصبر لفترةٍ أطول، ومن يدري؟ ربما يتغاضَى الربُّ عن ذنوبنا، ويهبنا الرحمة، وينقذنا من هذا الشخص البغيض" [2].

انطلاقاً من الموقف الجديد لأهالي القسطنطينية أدرك السلطانُ بايزيد أن الاستيلاءَ على المدينة لن يأتيَ بالقوة، فحاول استغلالَ الصراع القديم على العرش العثمانيِّ بين حنَّا السابع ابن أندرونيكوس الرابع باليولوجوس وبين عمه مانويل الثاني، وقرر إحياءَه من جديد، فأرسل لحنَّا السابع يعرضُ مساعدته في الحصول على حقوقه الوراثية في العرش البيزنطي، ورحب حنَّا على الفور بالعرض العثماني، بل ووعد بايزيد أنه سوف يتنازل له عن مدينة القسطنطينية بمجرد أنْ يصبحَ سيداً لها، بشرط أن يترك له السلطانُ المناطقَ التي كان يمتلكها البيزنطيون حتى وقتئذٍ في البيلوبونيز؛ للعيش فيها، فوافق السلطان على ذلك، كما وعده في حالةِ أخذِه القسطنطينية سوف يكون هناك حالة من السلام الدائم بين بيزنطة والعثمانيين .[3]

على الفور بدأ بايزيد في تنفيذ مخططه، حيث طلب من الإمبراطور مانويل التنازلَ عن القسطنطينية إلى حنَّا السابع، قائلاً: "مانويل، اترك المدينة، اسمح بجلب يوحنَّا

1_ كان هناك اعتقاد واسع أن المجيء الثاني على وشك الحدوث، وهذا التاريخ كان محددا بسنة 1492م، الألف السابع منذ خلق العالم، طبقاً للتاريخ الروماني، انظر:

Robert Browning ,The Byzantine Empire,The Catholic Univerity of America Press ,1992,P.176.

2_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.85; CF.also: Nicol,D. ، The Last Centuries,P.320.

3_ Doukas ,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.86;CF.also: Alix,M. ، Precis De L'Histoire De L'Empire Ottoman,Tom.I,PP.26-27.

باعتباره الوريث الشرعي للإمبراطورية، وسأحافظ على حالةٍ من الهدوء والسلام الكاملين مع أهالي القسطنطينية"، وفي الوقت نفسه أرسل بايزيد إلى سكان المدينة يطالبهم بالوقوف بجانب حنَّا السابع ومساعدته في الوصول للعرش البيزنطي، وأن ذلك سوف يجعله يتراجع عن حصار المدينة، وحرَّض على الثورة للإطاحة بمانويل الثاني، كما أن السُوقة من عامة الشعب كانوا يتطلعون إلى تنحي مانويل عن العرش البيزنطي؛ لأن حكمه مستبدٌ، وأنه ليس مهتماً بإنقاذ القسطنطينية[1] ولكن لم يتم الأمر في النهاية، بالإضافة إلي رفض مانويل تنفيذ أوامر تيمورلنك بترك الحكم، فأنه يبدو أيضا أن حنَّا السابع لم يَستجبْ في النهاية لمخطط السلطان العثماني، ووسط تشكك أهالي القسطنطينية لنوايا السلطان فشل مخطط بايزيد لإحياء الصراع القديم على العرش البيزنطي.

التحالف العثماني المملوكي ضد الخطر المغولي عام ١٣٩٧م/ ٧٩٩هـ.

وسط زخَمِ الأحداث حول مدينة القسطنطينية، كان القائد المغولي تيمورلنك يواصل هجماته وفتوحاته العسكرية، فوجدناه يحاول أن يكتسحَ شمالَ غرب آسيا بشكلٍ سريعٍ ومباغتٍ قبل أن يتمَّ تفعيل التحالف العثماني المملوكي ضده، وبالفعل فإنه مع مستهل عام 1394 م/ 796 هـ نجح فى إخضاع الأكراد، وقلعه تكريت وماردين[2]، وتصادف انتشار الأخبار حول القبض على عدد من الجواسيس التابعين لتيمورلنك، واعترف زعيمُهم بأنه يوجد في القاهرة عددٌ من الجواسيس بغرض التجسس على القدرات العسكرية للمماليك، لإخبار تيمورلنك بها، وذلك في 28 يناير 1394 / 25 ربيع أول 796 هـ[3]، وتصادف أيضا أنْ وصلَ إلى القاهرة أحمد

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.86;CF.also: Hammer، V.,Histoire De LEmpire Ottoman,Tom.I,P.342.

2_ المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص -796 799؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس أج1 ، ص369 .

3_ في تلك الفترة، وحسبما تذكر المصادر العربية، حدث وأن تم القبض على أحد التتاريين في حلب، ويدعى دولات خجا، وأُرسل إلى القاهرة، وعندما عُرض على السلطان لم يعترف بشيء، ثم عاد واعترف بأنه يوجد عددٌ من الجواسيس التابعين لتيمورلنك في القاهرة ، حيث تم القبض على سبعة منهم، وكانوا جميعا من العجم فى زى

ابـن أويـس؛ حاكمُ بغـداد فارًّا من بطـش تيمورلنك ليُعِدَّ له السـلطانُ برقوق اسـتقبالاً حافلًا، وأعلن رسميًا أن ابن أويس في حماية المماليك[1] .

إزاء التطـورات الأخيـرة، أعلن برقوق الحـرب على تيمورلنـك، وبالفعل نجحتِ القـوات المملوكية في إلحاق الهزيمـةِ بإحدى طلائع قوات تيمورلنـك، وقَتْلِ العديد منهـم وأسْـرِ غيرهم، وذلك قرب الرَّها في 2 فبرايـر 1394 م / 30 ربيع أول 796 هـ[2]، وعندئذ أظهر تيمورلنك غضبه فى رسالة أرسلها إلى برقوق في 5 فبراير 1394 م / 3 ربيع آخر 796 هـ، وهي رسالة مليئة بالتهديد والانتقام، موبخاً إياه على قتل رُسُلِه فـي الرحبة، مطالباً إياه بالدخول فى طاعته، وتسـليم أحمد ابن أويس في أقرب وقت، مهـددًا بقولـه":" وأنتم إن أطعتُم أمرَنا، وقبلتم شـرطنا، فلكم مالنـا، وعليكم ما علينا، وإن خالفتم فلا تلوموا إلا أنفسـكم" [3] ليرد عليه برقوق برسـالتين أقوى تعبيراً، وأشد تهديـداً مُتهِمًا تيمورلنـك وقومَه بالكُفـر والإلحاد، رافضًا الدخول فـي طاعته، كذلك تسليمه ابن أويس، معلناً تحدِّيه، وأنه ذاهب لقتاله والقضاء عليه[4] وبالفعل قاد برقوق الجيـشَ المملوكيَّ متجهاً إلى بلاد الشـام، ليصل إلى دمشـق فـي أواخر فبراير 1394

تجار .انظر :

المقريـزى: السـلوك، ج 3، ص802؛ ابـن حجـر العسـقلانى: إنبـاء الغمـر، ج 3، ص 244، ابـن الصـيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص378

1ـ المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص 799 ؛ ابن إياس : بدائع الزهور، ج1أق 2، ص 261 . راجع ايضا: أحمد عودات وأخرون: تاريخ المغول والمماليك، أربد1990م، 119.

2ـ المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص802 ؛ابن تغري بردى: النجوم الزاهرةأج 12، ص 48-49.

3ـ المقريزى: السـلوك، ج 3، ص803-805 ؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرةأج 12، ص 43-45؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس أج1 أص379 381-

4ـ كتبت الرسـالة الأولى من جانب برقوق فى نفس يوم وصول رسـالة تيمورلنك، وذلك في 3 ربيع آخر، وقد عهد إلى كاتـب السـر محمد بن فضل الله العمرى بكتابتها، وقد وصف ابنُ حجر العسـقلانى تلك الرسـالة بأنها كلامٌ ركيك ملفَّـق، غـير منتظم، بينما كتب السـلطان برقوق رسـالته الثانية إلى تيمورلنك فيما بعد في جمـادى الأول 796ه، وهو فى طريقـه الى دمشـق، وهي الرسـالة التى انفرد القلقشـندى بنشر نصها كاملاً في صبح الأعشـى .انظـر : المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص805-807 ؛ ابن حجر العسقلانى : إنباء الغمر، ج 3 ، ص267 ؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرةأج 12، ص 45-47؛ القلقشـندى: صبح الأعشـى في صناعة الانشا، أربعة عشرة جزءاً، القاهرة 1913-1920أج7، ص 308-318

م/ جمادى الأول 796 هـ[1]، ومنها إلى حلب، ثم جهز أحمد ابن أويس بقوات مملوكية نجح بفضلها فى استعادة بغداد، بعد أن ألحق هزيمةً بالحامِيةِ المغولية التى تركها تيمورلنك في المدينة، ليُصبحَ ابن أويس نائبا فى بغداد عن السلطان برقوق[2]، وكانت الأخبار قد وصلت الى تيمورلنك بهجوم طقتمش خان القفجاق على أملاكه فآثر الانسحاب لمواجهة هذا الخطر[3]، ولكن هل كان ذلك هو السبب الوحيد الذي دفع تيمورلنك للانسحاب المفاجئ أمام القوات المملوكية ؟.

في حقيقة الأمر، كان هناك سببٌ آخر تمثَّل في أنَّ تيمورلنك أدرك أن الظروفَ غيرُ ملائمةٍ لخوض معركةٍ مكشوفة مع السلطان برقوق، في ظل خوفه من تنفيذ السلطان بايزيد وَعْده للسلطان برقوق بإرسال قوات عثمانية لمساندته فى تلك الحرب، وكان السلطان برقوق قد استقبل أثناء وجوده فى دمشق سفراء مملكتين جمعهما وإياه كُرْهُ تيمورلنك، والرغبةُ فى التخلص منه، وهما: رسول السلطان العثمانى بايزيد، ورسول طقتمش خان القبجاق، عارضين عليه تفعيل التحالف ضد تيمورلنك، ورد السلطان برقوق على كل منهما بالشكر فقط، على الرغم من أنَّ بايزيد عرض على برقوق التقاء الجيشين العثماني والمملوكي عند سيواس للتوجه لقتال تيمورلنك[4] .

من المهم الإشارة إلى التساؤل حول عدم قبول السلطان المملوكي برقوق المساعدة العسكرية من قوى أخرى وعلى رأسها العثمانيون، التساؤل حول سبب الرفض، ومن ثم فشل المحاولة الثانية للتحالف؟ وهو الأمر الذي فسَّرته إحدى الدراسات الحديثة برغبة السلطان برقوق في استعادة بغداد، والتصدي للمغول بمفرده، حتى ينفرد المماليك بهذا الشرف دون مشاركة عثمانية، تتيح للأخير فيما بعد التدخل في شئون بلاد الشام، خاصة وأن الظروف قد ساعدته بانسحاب تيمورلنك

1_ المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص813 ؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج 12، ص50؛ابن إياس : بدائع الزهور، ج1، ق 2، ص 269.

2_ المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص817 ؛ ابن حجر العسقلانى : إنباء الغمر، ج 3 ، ص 274.

3_ ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج1، ص 387.

4_ المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص813؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج 12، ص 36.

أيضا[1]، ويمكن القول أيضا أن هناك سبباً آخر يتعلق بقيام السلطان بايزيد في نفس الوقت تقريباً بالبدء فى فرض الحصار العثماني على القسطنطينية راغباً في إسقاطها، وذلك في أواخر مارس 1394 / 796 هـ[2]، ومن ثَّم فقد كان السلطان برقوق يدرك أن العرض العسكرى الذى قدمه بايزيد لم يكن يأخذ الشكل الجِدِّى، وأن السلطان العثماني يريد توريطه في صِدامٍ مع تيمورلنك، لكي يتخلص من الطرفين المملوكي والمغولي معاً، ومن ثَّم يتفرغ هو لإتمام مشروعِه تجاه بيزنطة .

انطلاقا مما سبق، ظهرتْ من جديدٍ محاولاتُ التحالف العثماني المملوكي، خاصة عقب انتشار الأقاويل عن تقارب بيزنطي مغولي، فأرسل السلطان بايزيد سِفارةً وصلت إلى القاهرة في يونيو 1397 م / رمضان 799هـ، مُحَمَّلةً بالهدايا، والتى من ضمنها مائتى أسيرٍ من أَسْرَى معركة نيقوبوليس، وتصادف ذلك مع وصولِ التاجر والمؤرخ البندقى إيمانويل بيلوتى Emmanuel Piloti إلى الأراضى المصرية[3]،

1_ ياسر مصطفى عبد الوهاب: محاولات التحالف العثماني المغولي، ص807.

2_ Clavijo,C.,Emmbassy to Tamerlan,1403-1406,tr,from the Spanish by Guy Lestrang، (London,1928),P.89;CF.also; Hidden,A.,The Ottoman Dynasty,P.33.

3_ ولد التاجر والمؤرخ إيمانويل بيلوتي في جزيرة كريت التابعة للبندقية في تلك الفترة – وذلك في عام 1371م / 774هـ، وعندما بلغ الخامسة والعشرين من عمره، ارتحل للعمل بالتجارة في مصر وذلك في عام 1396م / 799هـ، وكان من المقربين من السلاطين المماليك؛ خاصة في عهد السلطان فرج بن برقوق، الذي كلفه بمهام دبلوماسية عديدة، خاصة في التفاوض مع القوى المختلفة في الغرب الأوروبي، نظراً للخبرة التي تمتع بها بيلوتي، وإجادته لأكثر من لغة، وقد زار بيلوتي بلاد الشام أكثر من مرة في خلال الخمسة والثلاثين عاماً التي قضاها في مصر، اندمج خلالها مع المصريين والمجتمع المصري، وعقب زيارة طاف خلالها عدة بلدان مثل: كريت والبندقية وفلورنسا، حيث قابل خلالها البابا أوجين الرابع EugeniusIV، وعاد إلى مصر في عام 1435م / 838هـ، لنجده يُظهر اهتماماً خاصاً بجمع المعلومات العسكرية عن القوات المملوكية، وتحصينات مدينة الإسكندرية، ليُعِدَّ بعدها تقريرًا يتناول أفضل السبل المتاحة لتجهيز حملة صليبية من أجل استرداد الأراضي المقدسة، وعندما غادر مصر للمرة الأخيرة آواخر عام 1438م / 841هـ، وصل إلى الغرب حيث عرض هناك التقرير السابق ذكره على اعتبار أنه مشروع صليبي لاستعادة الأراضي المقدسة، ولكنه لم يلق أية استجابةٍ تذكر في الغرب الأوروبي، وذلك في عام 1441م / 844هـ. انظر:

ياسر مصطفى عبد الوهاب: مشروع إيمانويل بيلوتى لاستعادة الأراضي المقدسة في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، بحث منشور بمجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، كلية الآداب – العدد الأول –جامعة كفر الشيخ عام 2009م.، ص 101.

والذي شاهد بنفسه مسيرَ هؤلاء الأسرى حتى قلعة السلطان بالقاهرة، وسمع من حديث المصريين المتواجدين بجانبه، أن السفارة العثمانية وما تحمله من هدايا تهدفُ إلى إيجاد تحالف مع السلطان برقوق للتصدي لأى هجوم محتمل من قِبَل تيمورلنك[1]، وحملت السفارة كتابين لكلٍّ مِن السلطان برقوق والخليفة العباسي، مذكِّراً الأول بروابطِ الصداقة، وضرورة التصدى معاً لتيمورلنك إذا ما فكَّر في العودة له بعد انتصاره في نيقوبوليس، وأنْ يمنَحَهُ لقبَ حاكم على الأرض التي استولى عليها من البيزنطيين[2]، وبناء على أوامر من السلطان برقوق، والذي كان راغباً فى كسب وُدِّ بايزيد، اعترف الخليفةُ بالسلطان العثماني حاكماً على ما استولى عليه من أراضى[3]، وهكذا بدت المحاولة الثالثة من محاولات التحالف، وكأنها على وشك الإتمام حسْبما يشيرُ المؤرخُ جان بول روكس Jean Paul Roux [4] ولكن هل كانت تلك المحاولة ذات أهمية في تلك المرحلة التاريخية ؟ وهل كان الطرفان يسعيان بجدية في سبيل تفعيل التحالف؟

وإذ ما حاولنا الإجابة على ما طرح من تساؤلات، يمكن القول بأنه عقب مغادرة تيمورلنك لمدينة بغداد – كما سبق وأن ذكرنا من قبل – توجه إلى أرمينيا، ومنها إلى روسيا، وأخيرًا عاد إلى سمرقند في 1396 م/ 799 هـ، حيث ظل بها إلى أن قرر التوجه لغزو بلاد الهند، وذلك في بداية عام 1398 م/ 800 هـ[5] ورغم

1_ ذكر ايمانويل بيلوتى هؤلاء الأسرى بأن أغلبهم كانوا من الشباب الإيطالى والفرنسى، وأنهم عندما مروا من أمامه استطاع التحدث معهم، وزعموا أنهم تم إجبارهم على الدخول في الدين الإسلامي، ثم تتبعهم حتى وصلوا إلى قلعة السلطان. انظر:

Emmanuel Piloti، Traite`dEmmanuel Piloti Sur Le Passage en Terre Saint (1420)، ed. P. H. Doop، Publication de LUiversite`Lovanium de Lèopoldville، (Louvain، 1958)، P.229; Cf. also: David,N.، Nicopolis 1396: The Last Crusade، (Osprey Publishing,1999)، P. 76.

2_ ابن سباط الغربى: صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط أج 2 تحقيق:عمر عبد السلام تدمرى أطرابلس – لبنان 1993م، ص 750.راجع ايضا: سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكى أص 257.

3_ ابراهيم على طرخان: مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ، القاهرة 1960 ، ص 163.

4_ Jean Paul Roux,Tamerlan، (Paris,1999),P. 115

5_ ابن عربشاه :عجائب المقدور أص 162-163

انشـغال تيمورلنك بتلك الأعمال العسـكرية، إلا أنه فاجأ الجميع بإرسـال سِـفارة إلى السـلطان برقـوق يطلب منه إطلاق سـراح أحد قـواده العسـكريين، ويُدعَى أطلمش؛ والموجود أسـيرًا لدى السـلطان المملوكـي بالقاهرة[1]، ولكن السـلطان تجاهل طلبه هذا؛ بل وأرغم أطلمش على أن يُعَبِّرَ لتيمورلنك عن سـروره بالإقامة فى مصر، وأخبر تيمورلنـك بأنـه لن يطلق سـراح أطلمـش إلا إذا أطلق تيمورلنك سـراح من هم عنده، وهو ما أغضب تيمورلنك بشـدة[2]، ثم حدث أنِ اندلعتِ المعاركُ فى سـيواس، ونتج عنها مقتلُ حاكِمِها القاضى برهان الدين، ويرسـل أهلها إلى بايزيد لإعلان رغبتهم فى تسـليمهم المدينة، ليوافق بايزيد، ويرسـل ابنه ليكونَ حاكمًا عليها، وذلك على الرغم من تهديدات تيمورلنك له بعدم التدخل في شئون سيواس [3] .

واسـتنادًا على ما سـبق، يمكننا القول أنه لم تكن الحاجةُ ملحةً لإتمامِ التحالف في تلك المرحلة، فإن خطورة تيمورلنك لم تكن تتعدى سِـوى إطلاقه تهديدات لكلٍّ من برقوق وبايزيد نتيجة انشـغاله في بلاد الهند في تلك الفترة، كذلك كان السلطان بايزيد – كعادته آنذاك – أكثر اهتماماً بتشديد الحصار على القسطنطينية في ظل المستجدات الجديـدة هناك، والتي تمثلت في وجود قوات فرنسـية مكلفة بالدفـاع عن المدينة، ثم كانت وفاة السـلطان برقوق في 21 يونيو 1399م/ 15 شوال 801 هـ. [4] يعني نهاية محاولة التحالف الثالثة بشكل رسمي في تلك الفترة .

1_ أطلمش توجين قائد قلعة أونيك، وأحد أقارب تيمولنك وأهم قواته في الوقت نفسه، وفي أثناء أحد المعارك وقع فى أسر قرا يوسف التركمانى؛ زعيم قبيلة قرة قويونلو (الشاة السوداء) الذي أعتقله، ثم ما لبث أن أرسله إلى السلطان برقوق ليتم سجنه في القاهرة ، وذلك فى 18 صفر 798هـ . انظر : المقريزى :السلوك، ج3، ص851.

2_ المقريزى: السـلوك، ج 3 ، ص ؛ ابن حجر العسـقلانى : إنباء الغمر، ج 1 ، ص 552 ؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج 12، ص 272 .

3_ المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص906 ؛ ابن عربشاه :عجائب المقدور، ص 193 ؛ ابن حجر العسقلانى : إنباء الغمر، ج 4، ص 9

4_ المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص 937.

حملة المارشال الفرنسي بوسيكو لفك الحصار العثماني عن القسطنطينية، وموقف تيمورلنك من ذلك١٣٩٩م/ ٨٠١ هـ.

من جانب أخر، وأمام الظروف الصعبة التي كانت تحيط بالقسطنطينية أدرك الإمبراطور مانويل الثاني أنه لا يمكنه الاعتماد أبداً على قواته في مقاومة السلطان بايزيد؛ ولهذا راح يبحث عن النجدة في كل مكانٍ ولكن باءت كل محاولاته للحصول على المساعدة من الغرب الأوروبي بالفشل الذريع.[1] بل وحدث في عام 1397م/ 799هـ وأن سعى حنَّا السابع إلى بيعِ حقوقه في العرش البيزنطي إلى شارل السادس Charles VI ملك فرنسا، وذلك في مقابل قلعة في فرنسا، ومعاشاً مقداره خمس وعشرون ألف فلورين Florin[2]، ولكن ملك فرنسا رفض هذا العرض لأنه لم يجد أي فائدة ستعود عليه من الحقوق الإمبراطورية، ولا شك أن هذا العرض إذا كان صحيحاً، فإنه يدل على حالة اليأس التي أصابت أباطرة أسرة باليولوجوس البيزنطية في الاحتفاظ بالقسطنطينية عاصمة الإمبراطورية.[3]

على أي حال، استجاب الملك الفرنسي للنداءات المتكررة من جانب الإمبراطور مانويل الثاني، وأعلن في عام 1399م/ 801هـ عن إرسال حملة صليبية ضد العثمانيين، وذلك تحت قيادة يوحنَّا مينجر Jean De Miengre، المعروف باسم المارشال بوسيكو Boucicout[4]، والتي قلصت إلى حدٍ ما من وطأةِ الحصار

1_ Lodge، E، The End of the Middle Age، 1273-1453، London، 1928، P.405.

2_ Dereksen,D.,The Crescent and the Cross,P.120.

الفلورين: قطعة نقدية ذهبية، ضربت لأول مرة في مدينة فلورنسا الإيطالية عام 1252م/ 650هـ، وكان وزنها ثلاثة جرامات وخمسة من المائة من الجرام، وفي القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري حلت محل "الهابيرون" في شرق البحر المتوسط، وتعامل معها الأوروبيون بمنتهى الثقة في الأعمال التجارية، وكان الفلورين يحمل على أحد وجهيه نقش لزهرة الزنبق وهو علامة مميزة لمدينة فلورنسا، أما على الوجه الأخر فقد نقشت صورة يوحنا المعمدان وهو يرتدي قميصا من الصوف، لمزيد من التفاصيل انظر:

محمود سعيد عمران: النقود في أوروبا العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 2011م، ص253؛ كات فليت: التجارة بين أوروبا والبلدان الإسلامية في ظل الدولة العثمانية، ص 338.

3_ Ostrogaskey,G.,"The Palaeologi",P.376; Nicol,D.,The Last Centuries Of Byzantium,P.321.

4_ ولد المارشال بوسيكو Boucicout: في مدينة توريـن Touryn عام 1366م، اسمه الحقيقي هو جان الثاني

العثماني، وخطرِه على القسطنطينية لفترة وجيزة، فضلاً عن وجود بعض السفن البندقية والجنوية التي ساهمت في حماية المدينة من الوقوع في أيدي العثمانيين، وبعض المعونات المالية الضئيلة التي جاءت من القوى الأوروبية في تلك الفترة. [1]

الجدير بالذكر، أن آراء المؤرخين اختلفت حول تعداد القوات المشاركة مع بوسيكو، فيذكر ليبو Lebeau أن الأسطول الفرنسى كان مُحَمَّلا بحوالى ستمائة رجل مسلح، كما كان هناك عدد كبير من النبلاء الذين أرادوا أن يكون لهم شرف المشاركة[2]، من جانبه ذكر باركر Barker أن عدد النبلاء كان حوالى أربعمائةٍ، حيث تولوا قيادة الفرق العسكرية، وحوالى أربعمائةٍ من الجنود، وعددٍ من رُماةِ السهام، وسفينتين حربيتين كبيرتين، وأربعِ سفنٍ صغيرةٍ، وأنَّ التعداد الإجمالي بلغ حوالى ألف ومائتى فارس[3]، بينما يشير نيقول Nicol أنَّ بوسيكو ومساعده الضابط جان مَن شاتوموراند Jean de Chateaumorand كان معهم ما يقرب من 2200 مقاتل، ستمائةٍ من المقاتلين المسلحين ومثلهم من الفرسان وحوالى ألف من الرماة، ومعهم العديد من السفن والمراكب الشراعية.[4]

خرج بوسيكو بقواته فى 26 يونيه 1399م / 801هـ من ميناء إيج مورت Aigues Mort الفرنسى، ولقد واجه بوسيكو وأسطوله العديد من العقبات، حيث انتَظَرَتْه حوالى سبْعَ عشْرةَ سفينةٍ حربيَّةٍ تابعةٍ للسلطان العثماني، عند معبر غالبيولى

لومينجر Jean II LeMeingerينتمي لأسرة عريقة ونال ثقة الملك شارل السادس الذي عهد إلي لويس الثاني دوق البوربون برعايته، وشارك مع الأخير في حملات ضد المتمردين علي الملك الفرنسي، وفي حملة لويس علي المهدية عام 1390م، وحصل علي لقب مارشال، واشترك في معركة نيكوبوليس عام 1396م، واشتهر بوسيكو بحملته علي الإسكندرية وسواحل بلاد الشام في عام 1403م، وقد توفي بوسيكو في عام 1421م. لمزيد من التفاصيل انظر:ياسر مصطفي عبدالوهاب:حملة المارشال الفرنسي بوسيكو علي الإسكندرية وسواحل بلاد الشام 1403م/ 806هـ، منشور في مؤتمر اتحاد المؤرخين العرب حصاد 21، القاهرة، 2013م، ص230-233.

1_ أميرة محمد نافع : العثمانيون وأوروبا (753-805 هـ/ 1352-1402م)، ط1، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،2014م، ص 720.

2_ Lebeau، Historie du Bas-Empire، p.29

3_ Barker,J.، Manuel II Palaeologues ، p ، 161

4_ Nicol,D.، Last ، p ، 308

Gallipoli ولكـن مـا أن شـاهده الجنود العثمانيـون مقبلا نحوهم حتـى تخلوا عن مواقعهم، ثم سرعان ما وصل إليه أكبر سفينتين للأسطول العثماني في المنطقة، سارت فى طريقهما لتوجه ضربةً عنيفةً إليهم، ولكن على الرغم مِن قلة عَتاده إلا أنَّه استطاع أن يردَّ هجومَهم ويَجبُرَهُم على الفِرار بعد أن قتل الكثيرَ ممَّنْ كان على متنهما، ليتجه بعد ذلـك إلـى ميناء تينيدون Tenedon [1]، وفى اليوم التالى، وصلت إلى القسـطنطينية قواربُ على متنها عددٌ من الجنود قادمة من البندقية، وكذلك قاربٌ شراعيٌّ من مدينةِ جنـوه لسـيِّدٍ يُدْعَى دى ميتيليـن MetelineDe، إلى جانب العديد ممن تم إرسـالهم أيضا لنجدةِ القسطنطينية. [2]

بمجرد وصول بوسـيكو وقواتـه إلى العاصمة البيزنطية، حتى كان فى اسـتقباله كلٌّ مِن الإمبراطور البيزنطى مانويل الثانى، وسـائر سـكان القسطنطينية بالهتافات المرحِّبة بذلك القائد، معتبرين إياه مُنقذًا لمدينتهم، وسرعان ما لقبوه بالقائد العظيم الكونسيال The Consil[3]، وفـى غضون بضعة أسـابيع تخلصـتْ نواحي العاصمة وضواحيها مـن الوجود العثماني، وهكـذا نجحت الحملةُ فى مطاردةِ وتهجيـر الجنود العثمانيين من معاقلهم المنتشرة على مَقرُبةٍ من مدينة القسطنطينية، التى ظلت لعدةِ أعوامٍ ماضيةٍ محاصَـرة ومهـددة مـن العثمانيين، وظلـت نيقوميديـا Nicomedia[4] هـي المدينة

1_ هـو ميناء طـرواده Troia، تلـك المدينـة القديمة والتي تقع فى منطقه آسـيا الصغرى، وهى مدينـة بحرية غنيةٌ، ازدهرت فى الألف الثالث قبل الميلاد وقد اشتُهرت بقصة حصان طرواده الخشبى، انظر:

نهى حافظ: الإمبراطور البيزنطي مانويل الثانى باليولوجس وسياسته الخارجية (1391-1425)، رسالة ماجستير لم تنشر بعد، كلية الآداب جامعه سوهاج، 2008، صـ139

2_ Brehier,L.,Life and Death,p.332.

3_ لقب الكونسيال The Consil يُمنح للقائد العام للقوات المسلحة، ويحمل لواء المَلك فى حفلة تتويجيه، ويتولى قيادة الجيـوش فى المعركـة فى حالة غياب الملك وأثناء الحملات، وهو أيضا قاضى عسـكرى، ويفصل فى قضايا الفرسـان والطبقة الوسطى ويتولى النظر فى شئون القوات المرتزقة، أنظر:

صلاح محمد ضبيع : العلاقات السياسية بين العثمانين وآل باليولوجوس، ص 180 (هامش 3)

4_ نيقوميديـا Nicomedia مدينـة قديمـة فى الأناضـول وتسـمى حاليا أزميد، تأسسـت عام 712 ق.م كمسـتعمرة ميغارية وعرفت باسـم اسـتاكوس، وذلك بعد أن دمرها ليسيماخوس، أعاد نيقوميديس الأول بنائها عام 264ق.م باسم نيقوميديا، وقد جعلها دقلديانوس مركزًا لحكمه على الجانب الشرقى من الإمبراطورية الرومانية .انظر:

Alxander P.Kazhdan,The Oxford Dictionary of Byzantium,Volume1-2-3,New york1991,p,975

الوحيدة التى لم تتعرض لهجمات شديدة من العثمانيين، إلا أن ضواحيها قد لَحِقَ بها الدمارُ بصورةٍ مؤلمةٍ.[1]

الجدير بالذكر، أنه وعلى الرغم من النجاحات البحرية التي حققتها حملةُ المارشال بوسيكو على البحرية العثمانية والاستيلاء على بعض القلاع وحماية المنطقة من الهجمات العثمانية لبعض الوقت، فإن تلك الحملة لم تكن هي التي تغير الموقف جذرياً؛ وذلك لأكثر من سبب، منها: قلة أعدادها، فهي لم ترقَ إلى مستوى الحملات الصليبية الضخمة، كما أن تفوق القوات العثمانية في الحروب البرية، جعلت من الصعب إحرازَ نجاحاتٍ ضخمةٍ والسيطرة على المدن والحصون المهمة، كما كانت قوات بوسيكو تتألف معظمها من المرتزقة وليس المتطوعين الذين يملؤهم الحماس الديني، وإنما كل ما يعنيهم ما سوف يحصلون عليه من العدو وما سوف يدفعه لهم بوسيكو، كما كان هناك نقصٌ في المؤن والأموال بشكل كبير، ولم يعد بوسيكو قادراً على دفع رواتبهم، كما أن مسألة الحصول على غنائم ضخمة من العثمانيين مسألة في غاية الصعوبة.[2]

رغم تلك النجاحات التي حققها بوسيكو وقواته لبيزنطة، إلا أنها كانت بمثابة إسعافات أولية، وظل الحصار العثماني للقسطنطينية مستمرًا، وزاد الأمرُ سوءًا داخل المدينة، عندما نجح العثمانيون آنذاك في منع دخول القمح إلى المدينة، الأمر الذي ترتب عليه انتشار المجاعة بين سكانها، وموت أعداد كبيرة بينهم[3] ويعبر ابن عربشاه عن ذلك بقوله: " وابن عثمان كان بالحصار قد أنهكها، وأباد قراها وضواحيها وأهلكها، وضيَّق على أهلها". [4] وأضاف المؤرخ ميخائيل دوكاس بقوله: "إن شعب القسطنطينية قد عانى من مجاعةٍ شديدة، لدرجة أن مكيال القمح بِيع بأكثر من

1_ Doucas,M.,Decline And Fall Of Byzantium to The Ottoman Turks، p,93.

2_ Doucas,M.,Decline And Fall Of Byzantium to The Ottoman Turks، p,85

3_ Alix,M.,Precis De L'Histoire De L'Empire Ottoman,Tom.I,P.27;Gautier,P.,Un Recit Indit Du Siege De Consantinole,P.107.

4_ ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور،ص333.

Gregory E.T.، A History of Byzantium، Blackwell، 2005، p. 321

عشـرين قطعـة من الذهب، ولكـن أين يمكن العثـور على عملة ذهبيـة واحدة؟ فضلاً عن ندرة السـلع الأخرى، وبسـبب تلك الظروف فقد قرر السكان عدم الولاء والخيانة والغـدر لبلدهم، الأمر الـذي جعل الإمبراطور مانويل يتقرب للرب في كل سـاعة من كل يـوم وهـو يصلي طالباً بالدعـاء، قائلا: "لا تدعني أيها المسـيح، يارب، لا تدع أبدًا أن يُسـمع بين الأمم المسـيحية التي لا تُعد ولا تُحصَى التـي كانت في أيام الإمبراطور مانويل والمدينة المقدسـة أنه تم تسليم الأوعية الثمينة في الداخل إلي الوثنيين كارهى المسيح"، متمنيًا عدم استيلاء بايزيد وقواته على المدينة في عهده "[1]

سفارة بيزنطية لتيمورلنك تدعوه للتحالف والتصدي للخطر العثماني١٣٩٩ م/ ٨٠٢هـ.

في الوقت نفسه، يبدو أن الخطر العثماني قد أحدث تقاربًا شديدًا في المصالح بين بيزنطة وجنوة، ففي ذلك الوقت حاصر العثمانيون مستعمرةَ غلطية Galata-شمال القـرن الذهبـي الذي يفصـل بينها وبيـن القسـطنطينية- والخاضعة لجنـوة، وعجزت الأخيـرة علـى التصـدي للعثمانييـن، في الوقت الـذي أدرك فيـه الإمبراطـور مانويل الثانى أنه مع مرور الوقت سـوف تسـقط عاصمتُه، مع فشله وبقوات بوسيكو في إجبار السـلطان العثمانـي في فك حصاره للعاصمـة الإمبراطورية، وطبقا لمـا ذَكَرَهُ المؤرخُ سـباندوينس Spandounes أنهمـا لم يجـدا معًا قوةً مؤثرةً يسـتنجدون بها، غير قوة المغول الصاعدة تحت قيادة تيمولنك[2] .

بالفعل سعى الإمبراطور مانويل للتحالف مع القوة الجديدة المناهضة للسلطان العثماني في الشرق، والممثلة في قوة تيمورلنك، خاصةً بعد أن أخذ الأخير في التوسع

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.86.

وعـن ذلك يشـير أحـد المؤرخين الحديثين بقوله "... إنه رغـم المقاومة ضد العثمانيين، إلا أن سـكان القسـطنطينية وصلوا إلى حالة من اليأس، نتيجة إحساسـهم بالجوع، وبدأت تسري شـائعات بالتواطؤ مع الترك من قبل القيادة، حتى رجال الدين، على الرغم من عدم وجود دليل على ذلك، في الوقت الذي كان فيه بايزيد على ثقة بأنه سيسـتولي على المدينة" انظر:

Gregory E.T.، A History of Byzantium، Blackwell، 2005، p. 321.

2_ Spandounes,The Origin of the Ottoman Emperors,Trans.by,Nicol,D.,Cambride,1997,p.23

على حساب القوى الإسلامية المجاورة[1]، فاستغل وجود فرانسوا ساندرون – سفير الملك الفرنسي – في القسطنطينية آنذاك، وقرر إرسالَه على رأس سفارةٍ إلى سمرقند حيث يوجد تيمورلنك، وعندما التقتِ السفارةُ بالعاهل المغولي أخبروه بالخطر العثماني، وما تتعرض له القسطنطينية، وغلطية من معاناةٍ على يد بايزيد، محرضين إياه على الأخير، وعرض عليه التحالف ضد العثمانيين موضحًا أنهم أصبحوا الخطر الذي يهدد الجميع وليس بيزنطة وشرق أوروبا فحسب، وذلك في مقابل دعمه بالأموال والسفن، وأنهم سوف يقطعون الطريق على العثمانيين من أوروبا إلي الأناضول[2]، بل وقد شمل العرض البيزنطي أنْ تدفع بيزنطة لتيمولنك قيمة الجزية التي تدفعها إلى السلطان بايزيد [3] .

أيه حال، من الواضح أن تيمورلنك رحب بالعرض البيزنطي – المساند من الغرب الأوروبي الممثل في جنوة– حيث توقع مساندة الأسطول المرابط في طرابيزون Trebizond، وأيضا يستطيع إغلاق مضيق الدردانيل، ومنع قدوم أي إمدادات لعدوه بايزيد من الساحل الأوروبي إلى الساحل الآسيوي[4]، وأيضا كما أشارت وثائق دينيس Dennis سوف يستطيع تقوية قواته عسكريًا دون أن يكلفَه ذلك أي أموالٍ[5]، والمقصود بها تلك الجزية السنوية التي قررت بيزنطة تسددها لتيمورلنك بدلًا من السلطان بايزيد.

وعلى الرغم من أن المؤرخ جوزيف داهموس يُرجِّح أن تيمورلنك لم يُبد

1_ كان السلطان العثماني بايزيد قد قام بطرد بعض أمراء آسيا الصغرى من مراكزهم، فلجأوا إلى تيمورلنك وحرضوه على محاربة بايزيد، انظر:

Caesaris، S.R.E.، Baronii، Annales Ecclesiastici de nuo et accurate excusi، Tomus XV، 1334-1355، Paris,1880، p. 578

2_ Andriopoulou Stavroula، "Diplomatic communication between Byzantium and the West under the late Palaiologi (1354-1453)"، PhD. Degree in the University of Birmingh am،2010

3_ Alexandrescu، Le campagne، p. 51

4_ Alexandrescu، Le campagne، p. 52.

5_ Dennis، Three reports، p. 245، Doc (1).

اهتمامًا بالعرض البيزنطي للتحالف[1]؛ إلا أنه من جانبنا يمكن القول أن تيمورلنك رحب بالعرض البيزنطي، ووافق عليه؛ لأنه أدرك أن المماليك وسلطانَهم برقوق اعتبروه عدوًا لهم، ومِن ثَّم أصبح بذلك بين عدوين هما المماليك والعثمانيون، فأراد بالتحالف المرتقب استغلال الجانب البيزنطي كعنصرِ ضغطٍ على السلطان العثماني عند الصِدام المرتقب معه، ولابد أنه عَلِمَ بمحاولاتِ عقدِ تحالفٍ مملوكيٍّ عثماني ضده، وبالتالي سوف يصبح بين مطرقة العثمانيين وسندان المماليك في حالة نجاح تلك المحاولات، وأخيرًا إن مجرد ظهور تقارب بيزنطي مغولي ضد العثمانيين كان يعني تطورًا مفاجئًا وخطيرًا في الصراع الدائر بين بيزنطة والقوة الموجودة في الشرق في تلك الفترة.

مانويل الثاني يقرر التوجه نحو الغرب الأوروبي أواخر عام ١٣٩٩م/٨٠٢هـ

بعد كل المحاولات الفاشلة لفك الحصار عن القسطنطينية، أدرك البيزنطيون وبوسيكو أن الحل يكمُنُ في ذهاب الإمبراطور البيزنطي بنفسه إلى بلاط شارل السادس ملك فرنسا ولقاء ملوك وحكام أوروبا الآخرين، للاستغاثة بهم لنجدة عاصمته، والتخلص من الخطر العثماني[2]، وأدرك الإمبراطور مانويل أنه قبيل مغادرته لتلك الرحلة المرتقبة يجب عليه أن يولِّيَ أحدَ المقربين لإدارة شؤون الإمبراطورية أثناء غيابه، ورغم أن الجميع يعلم أن العلاقة بين مانويل وحنَّا السابع كانت غير جيدة، إلا أن بوسيكو قرر عقد المصالحة بين الطرفين المتنازعين، وبالفعل نجح بوسيكو في عقد اجتماع ثلاثي بينه وبينهما، حيث توصل إلى اتفاقية بين مانويل الثاني وحنَّا السابع، تضمنت أن يتولى حنَّا السابع أمور القسطنطينية أثناء غياب الإمبراطور مانويل، كما تعهد مانويل بأنه سوف يتنازل عن مدينة سالونيك إلى حنَّا عقبَ عودته من رِحلتِه. تولي حنا السابع مسئولية العرش البيزنطي أثناء غياب الإمبراطور مانويل،

1_ جوزيف داهموس: سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، ترجمة/ محمد فتحي الشاعر، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت، ص 188.

2_ Barker، J.W.,Manuel II Palaeologus,P.162.

وعندما اشترط حنَّا السابع أن يقوم بوسيكو بترك بعض القوات الفرنسية للدفاع عن القسطنطينية، وافق الأخير على هذا المطلب، وتم هذا الإتفاق في 4 ديسمبر سنة 1399م/ 801هـ.[1]

بالفعل اختار بوسيكو فصيلةً عسكريةً من قواته تتكون من مائةِ رجلٍ مسلحٍ، ومائةٍ آخرين مساعدين لهم، وعدد آخر من رُماة السهام، وتولى قيادتهم أحدُ قادتِه المميزين وهو يوحنا شاتو موراند Jean de Chateaumorand، والجدير بالذكر أن بوسيكو قبل مغادرته القسطنطينية ترك لهذه القوة المؤن اللازمة لسد حاجتها طوال وجودها في القسطنطينية، كما دفع رواتبها عن المدة التي ستقضيها هناك، وساهم أيضاً كلٌّ من البنادقة والجنوية بأربع سفن للدفاع عن القسطنطينية ومعاونة القوات الفرنسية.[2]

غادر الإمبراطور مانويل القسطنطينية متوجها نحو الغرب الأوروبي وذلك في 10 ديسمبر عام 1399م / 801هـ، يرافقه بوسيكو وعدد من كبار رجال الإمبراطورية، وهناك اختلاف بين المؤرخين حول جنسية السفن التي أقلت مانويل في رحلته، ففي الوقت الذي يذكر فيه المؤرخ دوكاس أنه سافر على إحدى السفن البندقية[3] نجد المؤرخ لويس برهييـر Louis Brehier يشير إلي أن مانويل ذهب على أسطول بوسيكو[4]، بينما يرجِّح إلكسندر لويس Alixander Louis أنه أبحر على سفن القسطنطينية[5].

أيا كان الأمر، فقد رافق الإمبراطور مانويل أيضا في رحلته تلك زوجتُه هيلينا دراجاش وولديه الصغيرين يوحنَّا وثيودور[6]، وحينما وصلت السفن إلى أول مرسَى

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.282.No.86-87;CF.also:
انظر أيضا: زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطي، ص176.

2_ Barker، J.W.,Manuel II Palaeologus,P.200.

3_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.282.No.82.

4 Brehier,L.,Vie et Mort de Byzance,P.471.

5_ Alixander,.L.,Precis De L'Histoire De L'Empire Ottoman,Tom. I,P. 27.

6_ الإمبراطورة هيلينا دراجاش Helena Daragas: هي ابنة الأمير الصربي قسطنطين دراجاش وحفيدة الملك الصربي ستيفان الثالث ديانسكي، قُتل أبوها في معركة روفين1395م أثناء قتاله مع السلطان بايزيد الثاني بصفته

لتلـك الرحلـة، ميناء مـودون Modon[1] فـي المورة، تركهـم هناك فـي حماية أخيه ثيودور.[2] وتشير الروايات أن ثيودور أخبر الإمبراطور مانويل أن رحلته هذه لن يجني منها سـوي الفشـل، حيث إن والدهم الإمبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس قد قام بنفـس هـذه الرحلة من قبل بحثًا عن المسـاعدة، ولـم ينل سـوي الفشـل وخيبة الأمل، وكذلـك وضَّح له مـدي المخاطرة عندما يترك الإمبراطورية في يد شـاب صغير بدون خبرةٍ، وسـتكون أفعاله متفقةً مع ما يريده، إلا أن مانويل لم يعطِ أي اهتمام لتحذيرات أخيـه التي تعتبـر بمثابة جرس إنذار، لكنها على العكس عجَّلـت من خُطاه للرحيل[3]، ومـن الملاحظ أنه علـى الرغم من تصالح الإمبراطور مانويل مع حنَّا السـابع، فإنه لم يكن يثق فيه بدرجةٍ كبيرة، ولهذا شَـعر أن عائلته سـوف تكون آمنة في مكان آخر بعيداً عن القسطنطينية.

مـن خـلال ما سـبق، وفي محاولـة لتقييم أحداث تلـك الفترة بيـن عامي(1393-1399م/ 795 - 802هـ) والتـي تميزت بما عرف بحصار القسـطنطينية واشـتداد الصراع في المنطقة حول بيزنطة، وتحديدًا بين القوى في المشـرق الإسـلامي، دارت العديد من التحالفات ومحاولات التقارب بين القوى المختلفة سواء من جانب بيزنطة أو مـن جانب العثمانيين أو المماليك أو المغـول، وفي محاولةٍ لإقامة تحالفٍ عثمانيٍّ

سـيده (تابع) ضد ميرسـيا الأول حاكم والاشـيا، تزوجت هيلينا مـن مانويل الثاني باليولوجـوس في عام1392م، وقد اشـتهرت هيلينا بجمالها وتقواها وحكمتها وعدالتها، وتوفت هيلينا دراجاش في القسـطنطينية 23 مارس عام 1450م. انظر:

Sullivan,A.,Byzantium in Eastern European Visual Culture in the Late Middle Ages,Boston، 2020,P81;Philippids,M.,Constantine XI Dragas Palaeologus(1404-1453):The Last Emperor of Byzantium,New York,2019,P.239.

1_ مـودون Modon أو ميثـون Methone : مدينة تقع في أقصى جنـوب غرب البيلوبونيز، كانت محطةً تجاريةً ما بين البحر الإيجي وإيطاليا، انظر:

حاتم عبد الرحمن الطحاوي: بيزنطة والمدن الإيطالية (1081-1204م)، ص142، هامش(2).

2_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P. 87. Ostrogaskey,G.," The Pala logogi",P.377.

3_ Lebeau.,Histoire du Bas-Empire,paris,1885,P.37;Gibbons,H.,The Foundation of the Ottoman Empire,P.240.

مملوكـيٍّ مُوَجَّـه ضد المغول، لـم تنته بالنجاح، والتـي من المرجح أن وفاة السـلطان برقـوق كانـت نقطة فاصلة في هذا الأمر، كذلك من المرجـح أن تلك القوة التي قادها المارشـال الفرنسي بوسـيكو؛ والتي حافظت على القسـطنطينية من السقوط، لم تكن كافيةً لاسـتمرار صمود عاصمـة الإمبراطورية، مما جعل الإمبراطـور مانويل يعلن أنه على استعدادٍ لأنْ يُسلِّم عاصمتَه للقائد المغولي تيمورلنك .

كذلك توصلت الدراسـة إلى أنَّه عندما حاول السـلطان بايزيد إحياء الصراع القديم علـى العـرش البيزنطي، رغبةً منه في الاسـتيلاء علـى عاصمة الإمبراطوريـة الصامدة أمام قواته لم يتم الأمر في النهاية، بسـبب اسـتماتة مانويل برفض تنفيذ أوامر السـلطان بترك الحكم، كذلك يبدو أيضا أن حنَّا السابع لم يستجب في النهاية لمخطط السلطان العثماني، ووسط تشكك أهالي القسطنطينية لنوايا السلطان فشل مخطط بايزيد لإحياء الصراع القديم على العرش البيزنطي.

مـن خـلال ما تـم تناوله نرجح انـه على الرغـم من أن البعض تشـكك فـي موقف تيمورلنك مـن العرض البيزنطي بإقامة تحالف بيزنطـي مغولي موجه ضد العثمانيين، إلا أنـه مـن جانبنـا يمكن القـول أن تيمورلنك رحَّـبَ بالعرض البيزنطـي ووافق عليه؛ لأنـه أدرك أن المماليـك وسـلطانَهم برقوق اعتبـروه عدوًا لهم، ومن ثَـمَّ أصبح بذلك بيـن عدوين هما المماليـك والعثمانيون، فأراد بالتحالف المرتقب اسـتغلال الجانب البيزنطـي كعنصـر ضغط علـى السـلطان العثماني عند الصِـدام المرتقـب معه، ولابد أنـه علـم بمحاولات عقد تحالف مملوكـي عثماني ضده، وبالتالي سـوف يصبح بين مطرقـة العثمانييـن وسـندان المماليك في حالة نجـاح تلك المحـاولات، وأخيرًا: إن مجرد ظهور تقارب بيزنطي مغولي ضد العثمانيين كان يعني تطورًا مفاجئًا وخطيرًا في الصراع الدائر بين بيزنطة والقوة الموجودة في الشرق في تلك الفترة.

الفصل الرابع

بيزنطة في الصراع العثماني المغولي المملوكي

(١٣٩٩-١٤٠٢م/٨٠١-٨٠٤هـ)

- **رحلة مانويل لطلب المساعدة من الغرب الأوروبي وأثرها على الصراع الدائر في المنطقة ١٣٩٩م/ ٨٠١هـ**
- **فشل المحاولة الأخيرة للتحالف العثماني المملوكي واستيلاء تيمورلنك على دمشق ومعظم بلاد الشام ١٤٠١م/ ٨٠٣هـ**
- **سفارة الإمبراطور مانويل إلى تيمورلنك عارضا عليه القدوم لمساعدة القسطنطينية أو تسليم المدينة له.**
- **انسحاب العثمانيين من أمام القسطنطينية.**
- **معركة أنقرة** Ankara **عام ١٤٠٢م/٨٠٤هـ وأثرها على بيزنطة والقوي الإسلامية.**

تناولنا فيما سبق حصار العثمانيين للقسطنطينية وصراع القوى في المشرق الإسلامي في الفترة ما بين عامي (1399-1393م/ 795 - 802هـ)، والذي بدأ الحديث فيه بحصار السلطان العثماني بايزيد لمدينة القسطنطينية، وما شهدته تلك الأحداث من معارك حاسمة أثرت على الصراع في تلك الفترة مثل معركة نيقوبوليس، وازدياد تهديدات تيمورلنك لكل من العثمانيين والمماليك، وفيما يلي سنلقي الضوء على مرحلة جديدة تتناول بيزنطة في الصراع العثماني المغولي المملوكي في الفترة ما بين عام 801/ 1399هـ، والتي تبدأ بتفاصيل جولة الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني في الغرب الأوروبي لطلب المساعدة ضد السلطان العثماني، وتولي يوحنا السابع العرش أثناء غيابه، والاتصالات التي تمت ما بين المغول وبيزنطة، وما أسفرت عنه المحاولات الأخيرة للتحالف العثماني المملوكي، وأثر ذلك على بيزنطة، وتنتهي تلك الأحداث في عام 1401م/ 803هـ، وسنتناول معركة أنقرة وتلبية تيمورلنك لطلب المساعدة ضد السلطان العثماني ووقوع الأخير في الأسر، والذي أدى إلى حدوث صراع بين أبناء بايزيد على العرش وتدخل بيزنطة في ذلك الأمر الذي جعل بيزنطة تتنفس الصعداء، وذلك في عام 1402م/ 804هـ.

رحلة مانويل لطلب المساعدة من الغرب الأوروبي وأثرها على الصراع الدائر في المنطقة ١٣٩٩م/ ٨٠١هـ

كانت بداية جولة مانويل في الأراضي الإيطالية بوصوله إلي البندقية في أبريل 1400م/ 802هـ، وهناك استُقبل استقبالا رائعاً، وكان حاكمها في شرف استقباله، وكالعادة فقد وعَدَهُ البنادقة بالمساعدة، ولم يقدِّموا له أي شيء فعليٍّ[1]، ومن جانبنا

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P. 87.
Hidden,A.,The Ottoman Dynasty,P.33
وايضا: هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد محمد رضا، مراجعة: عز الدين فودة، الهيئة العامة للكتاب، أربعة أجزاء، القاهرة 1985 - 1992م، ج3، ص 122-123.

وتعليقا على عدم تقديم البنادقة المساعدة لبيزنطة نجد أنه كان بالفعل أمرا يصعب تنفيذه، حيث إن مصالح البنادقة في الشرق أجبرتهم على عقد بعض المعاهدات التجارية مع السلطان العثماني بايزيد، ولهذا فإن علاقتهم بالعثمانيين كانت تمنعهم من الاشتراك في الدفاع عن القسطنطينية بطريقة علنية، كما أن المنافسة التجارية بين البندقية وجنوة في المشرق الإسلامي كانت تمنعهم من الإقدام على مساعدة بيزنطة[1].

مهما يكن من أمر، فقد واصل الإمبراطور مانويل جولته في الأراضي الإيطالية، فوصل إلى بافيا Pavia[2] ومنها إلي بادوا Padua حيث كان فى استقباله اثنان من أبناء فرانسو دى كاريه Francois De Carrare ، أمير بادو[3]، وحينما وصل إلي ميلان Milan[4] والتي على الرغم من أن حاكمها الدوق جيان جاليزو فيسكونتى Gian Galeazzo Viescocnty (1385-1402م)، كان صديقاً للعثمانيين ومرتبطًا بمعاهدة معهم، إلا أنه استقبل الإمبراطور بحفاوة بالغة ولم يسع لإعاقة مروره، بل

1_ Vasiliev,A.,Histoire De LEmpire Byzantine,Tom.II,PP.320-321

2_ بافيا Pavia مدينة تقع شمال إيطاليا في إقليم لومبارديا، عاصمة مقاطعة بافيا، تقع على نهر تيتشينو، شمال التقاءه مع نهر بو، على بعد 35كم جنوب ميلانو، يعود تاريخ تأسيسها إلى عهد الرومان تحت اسم Ticinum، كانت عاصمة مملكة اللومبارديين، في العصور الوسطى كانت مقر لواحدة من أعرق جامعات إيطاليا، بقيت المدينة محصنة حتى عام 1872م عندما تم تحويل الحصون إلى شوارع وحدائق عامة، ولكن الجزء الأكبر من الأسوار بقى حي عام 1901، وتشتهر بالزراعة لخصوبة الأراضي وخاصة العنب والأرز والحبوب وإنتاج الألبان والصناعات بها قليلة. انظر:

نهى حافظ عبد المبدي: الإمبراطور مانويل الثاني باليولوجوس وسياسته الخارجية (1391 – 1425)م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة سوهاج 2008م، ص148.

3 _ دخل الإمبراطور مانويل ومرافقوه مدينة بادو ممتطيا جواده فى أبهى وأزهى المظاهر الشرقيه، مارًا وسط الطرقات المضيئه بالمشاعل، المزدحمة بالأهالى، وبعد التحيات المتبادله وصل إلى قصر إقامته مصحوبًا بأصوات الالآف من الآلات الموسيقيه، والهتافات الجماهيريه، وتبع ذلك مائدة عشاء فخمة أخذت ما تبقى من الليل، وبذلك انتهى الاستقبال الأسطورى، انظر:

Barker,J.,Manuel II Palaelogus(1391-1425),A study in Later Byzantine Statesmanship,(New-Jersey,1969)، p، 170

4_ ميلان Milan: مدينة كبيرة تقع في شمال إيطاليا، أسفل جبال الألب؛ بين نهري تسينو Ticino وآدا Adda، وهي ليست مهمة بدرجة كبيرة بالرغم من موقعها المتغير حتى نهاية القرن الثالث الميلادي، عندما أصبحت واحدة من أعظم العواصم في الإمبراطورية الرومانية. انظر: نهى حافظ عبد المبدي: الإمبراطور مانويل الثاني باليولوجوس وسياسته الخارجية، ص148.

حسبما يشير المؤرخ ميخائيل دوكاس Doukas قام بمنحه الكثير من الهدايا والأموال [1] ومـن الملاحظ أن كلًا من أليكسـندر فازيليف Alexsander Vasiliev ودونالد نيكـول Donald Nicol قد أشـارا إلي أن الإمبراطور مانويـل أثناء جولته بالأراضي الإيطالية، التقي هناك بالبابا بونيفاس التاسـع BonifaceIX (1389-1404م) [2]، إلا أن هذا الأمر يفتقد لدليل أو أي إشارة عند المصادر المعاصرة لأحداث تلك الفترة.

وفـي محاولـة لتقييـم جولـة الإمبراطـور البيزنطي فـي الأراضـي الإيطاليـة، نجد أن كل مـا نجـح فيـه مانويـل هو اسـتقبال رائـع فقط، فلم يقـدم له هـؤلاء أى نوع من المساعدات، ولـم تشر المصادر إلى غير ذلك، وإن كانت قد أظهرت العلاقات الطيبة بيـن الإمبراطوريه البيزنطية والقوى الموجودة في الأراضـي الإيطالية الجدير بالذكر، أن بوسيكو كان قد سبق الإمبراطور، وتوجه نحو الأراضي الفرنسية لإجراء الترتيبات اللازمة لاسـتقبال الإمبراطور البيزنطي، وعندما وصل الإمبراطور إلى جسـر كارنتون Karenton على مقربة من باريس، حيث كان فى شرف استقباله في بداية الأمر حوالى ألفـان من الفرسـان الذين أتـوا من باريس، ولقد احتشـدت الجماهيـر تصفق وتهلل، يدفعهـا فى ذلك الفضول لرؤيه هذا المشـهد الرائع للإمبراطـور البيزنطي، وعلى بُعد مسـافة تقدر بمرمى سـهم وقف رئيس القضاة بفرنسـا وجميع أعضاء البرلمان يتبعهم حوالـى خمسـمائة ضابط فى صحبتهم، حيث قاموا جميعـا بإبداء الإجلال والاحترام للإمبراطـور منحنيـن أمامه جميعًا، ثم ظهر الملك الفرنسـي شـارل السـادس محاطًا بحشـد من الدوقات والأمـراء والبارونات؛ ليتقدم الإمبراطور مانويل تجاهه مسـرعًا، وعلى الفور تبادل العاهلان التحيات وتعناقا بحرارة ثم اسـتانف سيرهما للدخول إلى باريس على جواديهما في موكب مهيب، حيث اصطف آلاف من الشـعب على جانبي الطريق لرؤية هذا المنظر، وذلك في 3 يونيو 1400 م/ 8 شوال 802 هـ [3]

1 _ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.282. No.82.

2_ Vasiliev,A.,Histoire De LEmpire Byzantine,Tom.II,P.320;Nicol,D.,The Last Centuries Of Byzantin e,P.323.

3_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.282. No. 82.

مـا إن وصـل الإمبراطـور مانويل إلى باريـس، حتى أقام في قصـر اللوفر بباريس، حيـث توالت هنـاك إقامة حفلات الرقـص ورحلات الصيد وتنوعـت الولائم؛ تقديرا لعظمـة الإمبراطـور من قبل الملك الفرنسـي، وتخفيفـاً من أحزانـه[1]، ووعده الملك الفرنسي بإرسال المزيد من القوات الفرنسية لمساندة القسطنطينية في محنتها، كذلك أجرى الإمبراطور مفاوضات هناك مع سفراء من قبل ملوك قشتالة وأراجون.[2]

مـا لبث وأن وصـل الإمبراطـور مانويل إلى الأراضـى الإنجليزية في 21 ديسـمبر 1400م/ 4 جمادى أول 803هـ، و التقى بالملك الإنجليزى هنري الرابع Henry IV (1399 – 1413 م / 816–802هـ) حيـث وعـده الأخيـر بإرسـال قـوات مـن الأسطول الإنجليزى فى أقرب وقت[3] وعلى الرغم من التفاؤل الذي أبداه الإمبراطور البيزنطي فى إمكانية الحصول على مساعدات عسكرية من قادة الغرب، حتى أنه توقع تشـكيل حملة كبـرى – على غرار الحمـلات التى انطلقت من الغـرب زمن الحروب الصليبيـة – للتوجه نحو القسـطنطينية، والتصدي للقوات العثمانيـة [4] إلا أنه لم يكن تفاؤله فى موضعه، فلم تظهر أي مسـاعدات عسـكرية للقسطنطينية انذاك، بل إنه في الوقـت نفسـه قد زاد الضغط العثمانـي على المدينة [5]، حتى أن حنا السـابع – القائم على حكم القسـطنطينية في غياب الإمبراطور مانويل في تلك الفترة – أرسـل رسـالة استغاثة إلى الملك الإنجليزى هنري الرابع، خاتمًا كلامه بالقول: " أن سقوط المدينة

1_ خلال إقامة الإمبراطور مانويل الثانى فى باريس كتب رسالة خطية، حفظت حتى الآن فى المكتبه الوطنيه بباريس، وهى رسـاله بدون تاريخ، ولأنها كتبت بالتاكيد فى باريس أرسـلها إلى مانويل خريسولوراس أحدُ أصدقائه والذى كان متواجـدًا وقتهـا فى إيطاليـا، ولقد جاء فى هذه الرسـاله :" لقد أردت فى كثير مـن الأحيان أن أكتب لك، ولكن عجزت يدى عن مراسـلتك، فلم أجد شـيئًا مفرحًا أكتبه لك، كانت الرحلة شـاقة، ونحن الآن فى فرنسـا، ولا أجد كلماتٍ أصف بها ما فعله الملك شـارل من اسـتقباله المبجل لنا، وهو وباقى مجلسـه وشـعبه العظيم، ولا أجد كلمات أصفُ بها نبل أخلاقهم معنا ورغبتهم فى مساعدتنا، سوف أعود إلى البلاد قريبا إذا انتهت مهمتى على خير، وأرجوك ياصديقى أن تُصلِّى من أجلى وتتمنى أن يوفقنا الرب، انظر:

Dennis,T.، The Leatters Of Manuel II Palaeologus,Harvard University 1977، p، 12

2_ Derksen,D.,TheCrescent and the Cross,(NewYork,1964),P.121.

3_ Nicol,D.,The Last Centuris,P.323.

4_ Nicol,D.,The last Centuris,PP.324.

5_ Nicol,D.,The last Centuris,PP.325.

أصبح وشيكًا، ولن يمنع ذلك سوى قوتكم، وقوة الملوك المسيحيين الآخرين، وتدخل العناية الإلهية.[1]

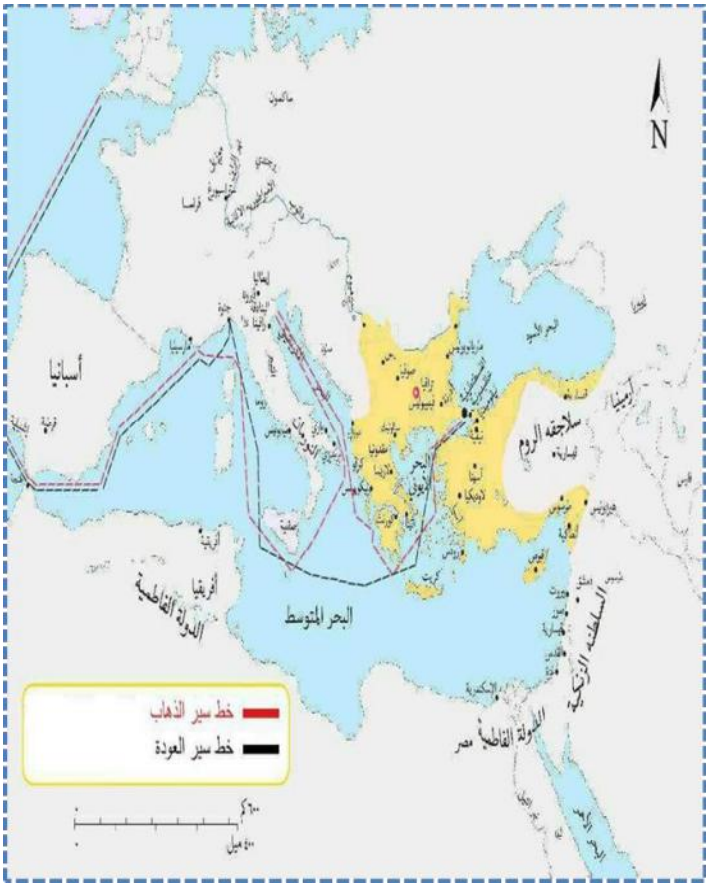

رحلةالإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني في الغرب الاوربي للإستغاثة من حصار العثمانيين للقسطنطينية

1_ Barker,J.,Manuel II Palaelogus(1391-1425),A study in Later Byzantine Statesmanship,(New-Jersey,1969),P.213.

فشـل المحاولة الأخيرة للتحالف العثماني المملوكي واسـتيلاء تيمورلنك على دمشـق ومعظم بلاد الشام ١٤٠١م/ ٨٠٣هـ

من جانب آخر، ومن خلال تتبعنا للاحداث ، نجد أنه في المشرق الإسلامي انتهز السـلطان العثمانـي انقسـام المماليك ووقـوع الاضطرابـات في السـلطنة المملوكية، وعقب وفاة السـلطان برقوق، وتولي ابنه الناصر فرج ولم يكن قد بلغ الحادية عشـرة مـن عمـره [1]، وكذلك اطمئنانه من ناحية القائد المغولي تيمورلنك الذى كان ما يزال منشـغلا بحروبـه فـي بلاد الهند، واسـتنادًا على ما سـبق قام بايزيـد بمهاجمة الأملاك المملوكيـة فـي شـمال الشـام، واسـتولى على ملطيـة، وحاصـر البسـتان، وذلك في أغسطس 1399م/ ذى الحجة 801 هـ [2].

في الوقت نفسه فرح تيمورلنك وشعر بالارتياح حينما علم بوفاة السلطان برقوق، وأيقن أن الوقت مناسب للقضاء على أقوى قوتين في العالم الاسلامي فى تلك الفترة، فأنجـز أمـوره في الهنـد على وجه السـرعة، وغادرها فـي 1399م/ صفر802 هـ [3] ، واتجـه الـى أذربيجان واتخذ من مدينـة تبريز قاعدة لتحركاته العسـكرية، فتوجه إلى بغداد بناء على استغاثة أمرائها به لتخليصهم من أحمد ابن أويس بسبب تصرفاته السيئة تجاهم، وبالفعل نجح تيمورلنك فى الاسـتيلاء على مدينة بغداد بسـهولة، وذلك في

1ـ السـلطان فـرج بـن برقوق، تولي عقب وفـاة والده الظاهر برقوق عـام 1399م / 802هـ، وعمره عشرة سـنوات، فدخلـت السـلطنة في مرحلـة من الفتن والصراعات، الأمر الذي جعل السـلطان فرج يزهـد في العرش، وهرب في عـام 1405 / 808هــ، ليضع الأمراء محله أخاه الصغير عبد العزيز، ولكن عاد فرج إلى السـلطنة بعد شـهرين من اختفائـه، وزادت في عهـده الثورات والمؤامرات، وكان أخطرها تلك التي قادها نوروز نائب الشـام، والأمير شـيخ نائـب طرابلس، مما اضطر السـلطان فرج إلى الخروج إليهم، ليلقى هزيمة قاسـية قرب دمشـق، ثـم يتم القبض على السلطان فرج ويتم قتله في عام 1412م / 815هـ. انظر:
سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي، ص161 – 162

2ـ المقريزى: السلوك، ج 3، ص 965 ؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج 12، ص 141؛ابن إياس : بدائع الزهور، ج1أق 2، ص 549

3ـ ابن عربشاه :عجائب المقدور، ص 191

ديسمبر 1399م/ ذى القعدة 802هـ[1]، كذلك تصادف أن لجأ كلٌّ من أحمد بن أويس وقرا يوسف التركمانى – الفارين من أمام تيمورلنك –إلى السلطان بايزيد، الذي استقبلهما بحفاوة وأكرمهما[2]، وهو ما أثار غضب تيمولنك وجعله يتقدم بقواته تجاه الأناضول، وأرسل خطابًا إلى بايزيد يحتوى على أوامر يطالبه بتسليم ابن اويس وقرا يوسف، وأن يعلن بايزيد التبعية لتيمورلنك، وبالتالي يدفع جزية له[3] وبالطبع رفض بايزيد لهجة التهديد التي خاطبه بها تيمورلنك، ورد عليه بخطاب شديد اللهجة يعلمه بأنه على استعداد لمحاربته في أى زمان وأى مكان[4] ليقوم تيمور بمهاجمة مدينة سيواس Sivas – الواقعة تحت حكم الأمير سليمان ابن السلطان بايزيد – والاستيلاء عليها[5]، وإقامة مذبحة للأهالى هناك، وهو ما فعله أيضا في ملطية، وذلك في أكتوبر 1400م/ محرم 803 هـ[6]

في الوقت الذي توقع الجميع استمرار توغل تيمورلنك في الأملاك الخاضعة للحكم العثماني في ذلك الوقت، وجدناه يعلن توقفه عند ذلك الحد، ويرسل للسلطان بايزيد يطالبه بالوقوف محايدًا في حربه القادمة – أيا كان وجهتها – كما وقف

1_ ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 43

2_ عقب استيلاء تيمور لنك على بغداد هرب حاكمها أحمد بن أويس إلى الموصل مستغيثاً بحليفه قرا يوسف التركمانى، فهاجما بغداد في محاولة لاسترداده إلا أنهما فشلا في محاولتهما، واضطرا للهروب إلى بلاد الشام لاجئين إلى السلطان المملوكي فرج ، الذي رفض حمايتهما، بل وكتب إلى نائب دمشق يأمره بقتالهما ، فاضطرا إلى الالتجاء إلى السلطان بايزيد الذي استقبلهما بحفاوة وأكرمهما ، فأقطع أحمد بن أويس كوتاهية، وأنعم على قرا يوسف باقسرا .انظر : ابن عربشاه: عجائب المقدور ، ص 170 ؛ ابن حجر العسقلانى : إنباء الغمر، ج 4، ص 244 ؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج 12، ص 174

3_ ابن عربشاه :عجائب المقدور، ص 196؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص 48 .

4_ ابن الصيرفي: نزهة النفوس، ج2، ص54.

5_ سيواس : هي مدينة تقع شرق الاناضول وهي مدينة حصينة حيث يبلغ عرض جدرانها في الأساس عشرة أذرع وارتفاع القلعة من الأبراج عشرين ذراعا، حولها خندق من ثلاث جهات الشمالية والجنوبية والغربية، وكان يصعب دخولها بهجوم مباشر إلا أنها سقطت في يد تيمورلنك ١٤٠٠م . انظر: علي خليل أحمد: الدولة العثمانية في سنوات المحنة، ط١، دار الحامد للنشر، عمان،٢٠١١م، ص٦٥.

6_ المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص 1023 ؛ ابن عربشاه :عجائب المقدور ، ص 197 ؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس ج2 ، ص 54.

هـو محايـدًا في حرب بايزيـد ضد التحالف الصليبـي الأوربي فى معركـة نيكوبوليس قبيل سـنوات قليلة[1]، وعند ذلك أدرك بايزيد أن تيمورلنك فضل التوجه نحو الأملاك المملوكيـة أولاً، حتى إذا ما خربها يجعلها وراء ظهره، ثم يتوجه الى الأملاك العثمانية بعد ذلك حتى لا يقع بذلك بين قوتين في حالة تحالفهما[2]، أرسل السلطان العثماني بايزيد إلى السلطان المملوكي فرج يطلب منه اجتماع الكلمة بينهما، عارضا عليه إقامة تحالـف بينهمـا لمواجهة خطـر المغول، الـذي كان في طريقه للقضـاء على الجميع، ولكن كبار أمراء المماليك أقنعوا السلطان الصغير فرج برفض طلب بايزيد، مذكرين إياه بما فعله بايزيد بهجومه السابق على الأملاك المملوكية قائلين : " الأن صار صاحبنا ! وعندما مات أستاذنا الملك الظاهر برقوق، مشى على بلادنا وأخذ ملطية، فليس هو لنا بصاحب : يقاتل هو عن بلاده، ونحن نقاتل عن بلادنا ورعيتنا" [3]. وبذلك فشلت المحاولـة الرابعة من محاولات التحالـف العثماني المملوكـي، والتى أرجع المؤرخ ابـن تغرى بردى ما فعلـه الأمراء المماليك برفضهم عـرض التحالف العثمانى وإقناع السلطان المملوكي بذلك، بأن هؤلاء لم يكن يهمهم سوى الوصول للسلطة، فى ظل ضعف السلطان وصغر سنه، متغافلين عن مصلحة البلاد في تلك الفترة [4].

واذا حاولنا تقييم محاولة التحالف السابقة، نجد أنها كانت أهم المحاولات التى تمت بين الطرفين، لأنها جاءت فى فترة مهمة لكل القوى الكبرى في المنطقة، بعد أن بات واضحًا أن تيمور لنك فى طريقه للإطاحة بالجميع، وأنه لو قُدِّر لهذه المحاولة النجاح لتغير مجرى الأحداث فيما بعد، لأنها على حد قول المؤرخ ابن تغري بردي كانت فى مصلحة الطرفين العثمانى والمملوكى، لأن اتحادهما معا هو السبيل لمواجهة تيمورلنك، ويروى ذلك من خلال حوار دار بينه وبين سنباى الظواهري – أحد الأمراء الذين كانوا مقربين من تيمورلنك ثم عاش في مصر فيما بعد – والذي أخبر ابن تغري بردى بقوله :"قال لي تيمور ما معناه أنه لقى فى عمره عساكر كثيرة وحاربها، لم يرى فيها مثل عسكرين : عسكر مصر وعسكر ابن عثمان،

1_ Jaen paul Roux,Tamerlan,P. 134.

2_ Jean Paul Roux,Tamerlan,P.135

3_ المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص 971–972 ؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرةأج 12، ص 174

4_ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرةأج 12، ص 175.

غير أن عسكر مصر كان عسكرًا عظيما ليس له من يقوم بتدبيره لصغر سن الملك الناصر فرج، وعدم معرفة من كان حوله من الأمراء بالحروب، وعسكر ابن عثمان المذكور غير أن بايزيد كان صاحب رأى وتدبير وإقدام، ولكن لم يكن من العساكر من يقوم بنصرته، ليرد ابن تغرى على سنباى بقوله : أن المصلحة كانت تقتضي الصلح بين أبى يزيد أبي عثمان المذكور فإنه كان يصير للعساكر المصرية من يدبرها، ويصير لابن عثمان المذكور عساكر مصر مع عساكره عونا، وكان تيمور لا يقوى مدافعتهم، فان كلا من العسكريين كان يقوى دفعه لولا ما ذكرناه " [1] **. في حين يورد المؤرخ ايمانويل بيلوتي Emmanuil Pilot – والذي كان أحد الأجانب المقربين من السلطان فرج – أثرا مهما لفشل تلك المحاولة بقوله "إن رفض السلطان فرج التعاون مع سلطان الاتراك، كان انتصارا للمسيحية، بعد أن تسبب في اضعاف الاتراك أمام تيمورلنك وأبقى على القسطنطينية صامدة أمام الاتراك**[2]**. واستنادا على ما ذكره المؤرخان المعاصران للأحداث، في أن عدم وجود قيادة للقوات المملوكية ، نظراً لصغر سن السلطان المملوكى، وهو ما كان يمكن تعويضه بوجود السلطان بايزيد، كذلك مشكلة قلة عدد القوات العثمانية يتم حلها عن طريق وفرة عدد القوات المصرية، كذلك كان كل طرف فى حاجة للآخر في مواجهة تيمورلنك، ولكن قصور نظر مستشاري السلطان فرج وأمرائه بحَثِّهم على رفض التحالف مع بايزيد أدى الى نتائج مؤثرة بعد ذلك، ليس على الطرفين العثماني والمملوكي فحسب، بل كذلك على الدولة البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية وبعد أن اقتنع تيمورلنك باستحالة قيام تحالف عثماني مملوكي ضده، وبالتالى كانت فرصة ذهبية له ليستطيع مواجهة كل قوة منهما على حدة** [3].

بالفعل شرع تيمورلنك فى مهاجمة بلاد الشام، فزحف بقواته حتى حاصر مدينة حلب ثم اقتحمها ، وقتل وأسر العديد من أهلها، وذلك في 2 نوفمبر 1400م/ 11 ربيع الأول 803 هـ [4] .ثم احتلت قواته حماه وحمص، ثم حاصر دمشق، ونجح في

1_ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج 12، ص 174– 175

2_ Piloti، Traite'، P.229

3_ ياسر مصطفى عبد الوهاب: محاولات التحالف العثماني المملوكي، ص814.

4_ المقريزى : السلوك، ج 3، ص 1032–1034؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص –205 207 ؛ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج 12، ص 176 ؛ ابن الصيرفي: نزهة النفوس ج2 ، ص 77

احتلالها في 31 يناير 1401م/ 21 جمادى الآخر 803 هـ[1]. وبعد أن انتقم تيمورلنك من المماليك، قرر مغادرة دمشق، بعد أن ألحق العديد من مظاهر الدمار ببلاد الشام، وقد ساعده فى تحقيق تلك الانتصارات حالة العجز الواضحة من جانب السلطات المملوكية، حتى اضطر السلطان فرج في النهاية، ولكى ينقذ دولته من السقوط فى أيدى المغول، إلى عقد صلح مهين مع تيمورلنك[2]، وعلى الرغم من وجود عدة أسباب دفعت تيمورلنك للتوجه بهذا الشكل إلى بلاد الشام في تلك الفترة، منها : قيام السلطان برقوق بقتل رسل تيمورلنك قبيل سنوات قليلة ، كذلك وجود القائد المغولى أطلمش أسيرا بالقاهرة، ورفض سلاطين المماليك الإفراج عنه ، أيضا رغبة تيمورلنك استغلال حالة الضعف التى كانت تمر بها الدولة المملوكية في ذلك الوقت[3]. ولكن مهما يكن من أمر تلك الحجج والمبررات التى أوردها المؤرخون لما قام به تيمورلنك، إلا أننا يمكن أن نضيف سببًا آخر لا يقل أهمية عما سبق، بل قد يكون في مقدمتها، وهو ذلك القلق الدائم والخوف الذى كان ينتاب تيمورلنك من إقامة تحالف عثماني مملوكي يهدد طموحاته التوسعية في تأسيس إمبراطورية كبرى يكون هو حاكمها، وهو الأمر الذى جعله يرسل للسلطان بايزيد يطالبه بالوقوف محايدًا في حروبه ضد أى طرف – وبالطبع كانت الدولة المملوكية هى هدفه آنذاك –

1_ المقريزى : السلوك، ج 3،ص 1048–1051؛ ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج 12 ، ص 187، ولمزيد من التفاصيل عن اقتحام تيمورلنك لدمشق والاستيلاء عليها ، انظر :
محمد عبد النعيم عبده :" مذابح تيمورلنك ضد المسلمين في بلاد الشام سنة 803هـ/ 1400–1401م دوافعها واحداثها ونتائجها، حوليات المؤرخ المصري، ابريل 2016م،ص49–55؛ أكرم حسن العلبى : تيمور لنك وحكايته مع دمشق، دمشق 1987م.

2_ أصدر تيمور لنك أوامره للسلطان فرج ، بإطلاق سراح أطلمش توجين من سجنه بالقاهرة ، وإن لم ينفذ ذلك ، فإنه–أى تيمور – سوف يعود مرة أخرى ولن يكتفي ببلاد الشام فقط، بل سيتوجه إلى القاهرة ويدمرها ، ليضطر السلطان فرج إلى الخضوع لأوامر تيمور لنك ، ويطلق سراح أطلمش ، وزوده بخمسة آلاف درهم ، والعديد من الهدايا القيمة ، انظر : ابن حجرالعسقلاني: انباء الغمر بأنباء العمر،تحقيق حسن حبشي،جـ2، دارالكتب المصرية، القاهرة، 1970م، ج 4، ص287

3_ المقريزى: السلوك، ج 3 ، ص 965 ؛ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرةأج 12، ص 141؛؛ابن إياس : بدائع الزهور، ج1أق 2، ص 549 .

ومن ثَمَّ وجدناه عندما شعر باستحالة إقامة تحالف يقرر مهاجمة بلاد الشام.

من جانب آخر، وفي ظل تهديدات السلطان بايزيد الأول استمرت معاناة أهالي القسطنطينية، وتواردت الأنباء عن موافقة حنا السابع على طلبات بايزيد، والتي تضمنت دفع جزية سنوية إلى العثمانيين مقدارها عشرة آلاف دوكات، توطين السكان الأتراك في قلعتي تاراكلد ينداشيTarakld Yenidiesi وجونيق Gonik بمدينة القسطنطينية، وإقامة قاض مسلم في القسطنطينية في الحي الذي يقطن فيه الأتراك، وذلك بهدف الفصل في المنازعات بين البيزنطيين والعثمانيين طبقاً للشريعة الإسلامية، وتحويل إحدى الكنائس في الحي الذي يقطنه الأتراك إلى مسجد، والتنازل للعثمانيين عن مدينة سليمبريا وكل الأراضي التي مازالت تحت يد البيزنطيين خارج العاصمة البيزنطية، وإقامة هدنة وسلام بين العثمانيين والبيزنطيين مدتها عشر سنوات.[1]

بطبيعة الحال، لم يكن أمام حنا السابع سوى تنفيذ أوامر السلطان بايزيد حتى يستطيع أن يحتفظ بمنصبه في القسطنطينية فقد عجل بدفع الجزية سنةً إلى بايزيد، وعلى ذلك اضطر حنا إلى أن يرسل له عشر سمكات محشوة بالذهب سنوياً وعلى الرغم من ذلك لم ينفذ حنا السابع كل طلبات بايزيد سالفة الذكر؛ ولهذا لم يستمر بايزيد في اتباع سياسة اللين تجاهه، بل تغير عليه وعزم على اقتحام القسطنطينية والاستيلاءعليها.[2]

ما لبث وأن أرسل السلطان بايزيد برسالة إلي حنا السابع قائلا:" إذا طردت الإمبراطور مانويل من المدينة، لقد فعلت هذا ليس من أجلك بل من أجلي، إذا كنت ترغب في أن تكون صديقي، فغادر المدينة وسوف أمنحك أي مقاطعة تريدها، لكن إذا رفضت، فإني أشهد الله والنبي العظيم، أنني لن أترك أحداً، في الواقع، سوف أقتل

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P. 87;CF.also: Barker، J.W.,Manuel II Palaeologus,P.201.

2_ يذكر أن الذي أدار المفاوضات بين الإمبراطور حنا السابع والسلطان بايزيد هو الوزير العثماني علي باشا، أنظر: Jonathan Harris، Constantinople Capital of Byzantium، Second Edition، Oxford، 2017,p. 188.

أيضا: صلاح ضبيع: العلاقات السياسية بين العثمانين والإمبراطورية البيزنطية في عهد أل باليولوجوس، ص 299.

الجميع دون استثناء"، ليرفض حنا السابع تهديدات السلطان قائلا: "اذهب وقل لسيدك، بما أننا عاجزون ومضطهدون إلى حد كبير، فلا يوجد مكان يمكننا أن نلجأ إليه إلا الرب الذي يساعد الضعفاء وينتقم من الظالمين بقوة، افعل ما تريده".[1] وفي حقيقة الأمر، أن ما شجع حنا متحديا السلطان هو أن البيزنطيين كان لا يزال لديهم الأمل في نجدة قادمة من الغرب الأوروبي أو من قوة أخرى لم تكن في الحسبان.

انطلاقا مما سبق شدد السلطان بايزيد حصاره على القسطنطينية [2]؛ ونتيجة لذلك وصلت الحالة داخل المدينة إلى ذروة تعاستها، فقد انتشرت المجاعة واليأس، وزاد الضغط بدرجة كبيرة عليها، وفقد سكانها الأمل في الاحتفاظ بها، وأصبح سكان القسطنطينية يرفعون أيديهم إلي الرب بالدعاء ويزرفون الدموع الكثيرة [3]، ولهذا عندما تيقنوا من أن مدينتهم في أيدي العثمانيين، هرب العديد منها ليلاً وبأعداد كبيرة، عن طريق إنزال أنفسهم من على أسوارها بالحبال.[4] وفي محاولة أخيرة يائسة قرر حنا عرض السلام على السلطان بايزيد، فأرسل إليه سفارةً يخبره أنه مستعد لأي شيءٍ يأمره به، فيما عدا تسليم القسطنطينية، ولكن السلطان بايزيد أوضح لسفراء حنا أنهم سوف يصبحون أسرى قريبا بعد اقتحامه للقسطنطينية والاستيلاء عليها .[5]

على الرغم من ذلك، فقد أرسل حنا سفارة أخرى إلي السلطان، ضمت هذه السفارة أيضا مندوبين من الجنوية والبنادقة المقيمين في القسطنطينية، ورحلت هذه السفارة

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP.88-89.

انظر أيضا: زبيدة عطا :بلاد الترك في العصور الوسطي،ص177.

2 Preas,E.,The Destruction of the Greek Empire,P.138.

3_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.90.

4_ Dersca,A.,La Campagne de Timuren Anatolie,1402,London,1977,P.17;Gibbons,H.,The Foundation of the Ottoman Empire,P.242.

يشير جوتتيير Gautier إن البيزنطيين، رجالاً ونساء، الذين هربوا عن طريق البحر وأسرهم العثمانيون في مدينة أبيدوس الواقعة على ساحل مدخل الدردنيل في آسيا الصغرى، ومدينة سيستوس، الواقعة على الساحل الأوروبي للدردنيل في مواجهة أبيدوس لا يمكن حصرهم، انظر:

Gautier,P.,Un Recit Indit Du Siege De Consantinole,P.107.

5_ Gautier,P.,Un Recit Indit Du Siege De Consantinole,PP.109-111.

إلـى بورصة، وهنـاك تم التفاوض على إقامة السـلام بين الطرفين، وقـد وافق الجنوية مـن جالاتيا على دفع خمسـة آلاف هابيربيرون[1] كجزية سـنوية إلى السـلطان بايزيد، الـذي وافق على أن يرد للبيزنطييـن القلاع البحرية والأراضي التي كانوا يملكونها قبل الحصـار، والجدير بالذكر أن السـلطان بايزيـد اضطر إلى الموافقة على ذلك؛ بسـبب وضعـه الخطيـر بعد أن تواردت الأخبار أن تيمورلنك قام بغـزو الأراضي العثمانية في آسيا الصغرى مقررًا شن الحرب ضد العثمانيين.[2]

سـفارة الإمبراطور مانويل إلى تيمورلنك عارضا عليه القدوم لمساعدة القسطنطينية أو تسليم المدينة له.

أخيـرا ومـن جانب آخر، أدركت بيزنطة وقادة وحكام الغرب الأوربى أنه لا سـبيل لإنقاذ القسطنطينية سوى إيجاد تحالف مع تيمورلنك ، أو على الأقل استثارته لمحاربة بايزيد، والتخلص من الخطر العثمانى، الذي قد لا يكتفي بالقسـطنطينية فقط، بل قد يتوغل في القارة الأوربية بعد ذلك[3] فأرسل الإمبراطور البيزنطى سفارة إلى تيمورلنك تحثـه على محاربة السـلطان بايزيد ، وفـي محاولة منه لإغراء القائـد المغولي ، ألمح الإمبراطور البيزنطي بأن شـعب القسطنطينية يفضل تسـليم مدينته لتيمورلنك على ألا تسـقط فى يد السـلطان العثماني[4]، ويرى المؤرخ ثيودور سباندونيس Theodore

---

1_ الهابيربـيرون وحـده نقدية بيزنطية مقسـمة إلى ٢٤ قيراط كانت شـائعة في شرق البحر المتوسـط في وقـت ما، ولكنها فقدت أهميتها كعملة متداولة خلال القرن الرابع عشر وبعد منتصف القرن الرابع عشر تحول الهابيربيرون إلى عملة فضية. انظر :كات فليت، التجارة بين أوروبا والبلدان الإسلامية في ظل الدولة العثمانية،ص 338.

2_ Barker,J.W.,Manuel II Palaeologus,P.212;Dersca,A.,La Campagne de Timur en Anatolie, PP.18-19.

على الرغم من الهدنة السابقة، إلا أن تهديدات السلطان للقسطنطينية لم تتوقف، فنجده في إحدى المرات التي حاصر فيها القسـطنطينية راح يتفحص مبانيها وكنائسـها من فوق إحدى التلال، وسـأل عن ماهية كل مبنى وعن اسـمه، وقام بتوزيعها سلفاً على أبنائه وقواده، أما هو فقد احتفظ لنفسه بكنيسة آيا صوفياAya Sofia ، انظر:

Nicol,D.,The Last Centuries of Byzantium,P.325

3_ Timothy,G.,Ahistory of Byzantium,(Oxford,2010),P.379.

4_ Nevra Necipglu,Byzantium Between The Ottomans and The Latins Politics and Society in the Late Empire,Cambridge,2009,p.254

Spandounes أن كلمات الإمبراطور البيزنطي كان لها أبلغ الأثر في تحفيز تيمورلنك على مهاجمة العثمانيين[1]، كذلك أرسل كلا من الملك الفرنسي شارل السادس والبابا بونيفاس التاسع Boniface IX(1404-1389م/ 806-791 هـ) رسائل تحمل عبارات الود إلى تيمورلنك، وتحثه على محاربة السلطان العثمانى واصفين إياه بأنه العدو الرئيس لكلٍّ من المغول والعالم المسيحى[2] . وهكذا وجدنا العديد من المحاولات التي بذلتها بيزنطة وقوى الغرب الأوربي لحث تيمورلنك على الاصطدام بالعثمانيين.

أخيرًا قرر الإمبراطور مانويل التوجه نحو التحالف مع القوة الجديدة الناهضة في الشرق، قوة المغول تحت زعامة تيمورلنك، وذلك من أجل إنقاذ مدنية القسطنطينية، خاصة بعد أن توغل تيمورلنك في الأملاك العثمانية في آسيا الصغرى، وقد استغل الإمبراطور مانويل حالة العداء المتبادلة بين العاهلين العثماني والمغولي؛ خاصة بعد قيام تيمورلنك بالاستيلاء على مدينة سيواس Sivas [3]، حيث رأى أن التحالف مع تيمورلنك سوف يجبر السلطان العثماني، على ترك حصار المدينة والالتفات نحو الشرق لمواجهة الخطر المغولي المحْدِق بأراضيه وممتلكاته، بل وهيبة العثمانيين في بلاد الأناضول، فأرسل الإمبراطور مانويل سفارة إلى تيمورلنك عارضًا عليه القدوم لمساعدة القسطنطينية، ومن ثم تسليم المدينة له، بدلاً من أن تسقط في أيدي السلطان بايزيد[4]، لأن تيمورلنك قد قرر الزحف لقتال السلطان العثماني بعد موسم حصاد القمح مقررًا القضاء على الوجود العثماني في المنطقة[5]

1_ Spandounes,T.، On The Origin of theOttoman Emperors ,tr.Nicol,D., (Cambridge,1997)، P..23.

2_ De La ville Le Roulx، La France en Orient au XIVe Siècle، (Bibiotheque des Ecoles Francasies dAthènes et de Roma، Sèr. I، XIiv - XLV)، 2 Vols، (Paris، 1885-1886),vol.1,P.386

3_ Clavigo,Embassy to Tamerlane,PP.132-133.

4_ Spandoune,Th.,On The Origin of the Ottoman Emperors,Trans.by.Nicol,Cambridge، 1997، P.23.

5_ حاتم عبد الرحمن الطحاوي: معركة أنقرة 804 هـ 1402م مقدماتها ونتائجها، مايو 2001م، ص4.

إنسحاب العثمانيين من أمام القسطنطينية

بالفعل حدث وأن تبادل كل من السلطان بايزيد وتيمورلنك رسائل التهديد والوعيد بشكل كبير، بل قيل أن بايزيد بعد أن انتهى رسل تيمور من تلاوة مطالب سيدهم، أمر بحلق لحاهم، وإعادتهم إليه، محملين بسخرية بايزيد من تيمور ومطالبه، وأخبرهم أنه ينتظر مجيء سيدهم إليه لكي يقوم بتأديبه قائلا " اذهب وأخبر سيدك أن يأتي بسرعة لأنى أنتظره، إذا رفض عندئذ سيعتبره منفصلا عن زوجته الشرعية "[1] وترددت أقوال نسبت لتيمورلنك بالقول أن الأخرين – يقصد السلطان العثماني– فقدوا حماستهم الدينية، وأن العالم الإسلامي لا يستحق أن يكون له حاكمان[2]

من الملاحظ أن السلطان بايزيد كان يتمنى ألا يستدرجه تيمورلنك إلى حرب بينهما، ليس بسبب قوة جيش تيمور، بل على العكس فقد كان بايزيد يستخف بتيمور وجيوشه، بل لأن غزو تيمور للأراضي والأقاليم التابعة للعثمانيين في الأناضول، سوف يجبر السلطان العثماني على تأجيل مشروعه في غزو باقي الأراضي البيزنطية، وعلى رفع حصاره الطويل عن مدينة القسطنطينية، من أجل الدفاع عن أراضي وسمعة العثمانيين في الأناضول، وعلى الرغم من كل هذا كان بايزيد يهدف إلى إرضاء تيمورلنك بسفارته المتكررة، وإلى إقرار السلم معه، لولا وصول جماعة من أهل قلعة كماخ [3] "حفاة عراة" أخبروه أن جيش تيمور قام بغزو مدينة أذربيجان[4]، وفي

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.88.

ويذكر أن بايزيد قال لرسل تيمور "أخبروا سيدكم أن يأتي إلى بسرعه لأنني أتوق لانتظاره، وإذا لم يحضر على وجه السرعة فسوف أعتبر زوجته طالق منه". انظر:

ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ2، طـ1، دار الكتب المصرية، القاهرة،1930م، ص267.

2_ بارتولد: تاريخ الترك في أسيا الصغرى، ترجمة: أحمد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1958ن، ص228.

3_ قلعة كماخ: تقع على مسيرة يوم واحد من أذربيجان. انظر:

ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٤، ص٤٧٩.

4_ الخطيب الجوهري: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، جـ2، طـ5، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1971م، ص150.

أذربيجان: اسمها القديم (أثروباتان) إقليم يقع في الجزء الجنوبي الغربي لبحر قزوين، يحده شمالا إقليم داغستان

ذلـك الوقـت أدرك بايزيد أن تيمورلنـك ماض في تحقيق أهدافـه ومهاجمة ممتلكات العثمانيين فعدل عن موقفه، وعزم على قتال تيمورلنك.

لذلك عندما وصلت الأخبار إلى السـلطان بايزيد أن تيمورلنك اسـتولى على مدينة سيواس وقتل ابنه أرطغرل الذي كان يتولى الدفاع عنها، رفع الحصار عن القسطنطينية، وعبر البوسـفور للدفاع عن الأراضي العثمانية الآسـيوية.[1] من ثم نرجح أن الجميع بـات ينتظر اللحظة الحاسـمة في تقريـر مصير بيزنطـة والقوى الدوليـة المتواجدة في الشرق في تلك الفترة.

معركة أنقرة Ankara عام ١٤٠٢م/٨٠٤هـ وأثرها على بيزنطة والقوي الإسلامية

عقـب أن علـم تيمورلنك بالتطـورات الجديدة علـى الجانب العثمانـي، والممثلة فـي رفع الحصار عن القسـطنطينية للتفرغ إلى محاربته، قرر إقامة معسـكره في حقول مدينة أنقرة، وأمر قواته بضرورة حفر خندقين حول المعسـكر الذي كان يحوي أعداداً هائلة مـن قوات المغول وحلفائهم، تلك القوات التـي قدرتها أحد المصادر البيزنطية بمبالغـة واضحة بأنها كانـت تتألف من ثمانمائة ألف رجـل.[2] وعلى الجانب الآخر، قام بايزيد بحشد قوات كبيرة من تراقيا من الأقاليم العثمانية الشرقية في آسيا الصغرى، كما فرض التجنيد الإلزامي على شعبه، كما جمع قوات من منطقة غاليبولي القريبة من

وإقليـم جورجيـا، ومن الغرب والجنـوب الغربي أرمينيا. انظر: ابن خلدون: ديـوان المبتدأ والخبر، جـ٧، ص٧٢٦؛ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، جـ6، طـ1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص81-82.

1_ صلاح ضبيع: العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية في عهد آل باليولوجوس، ص306؛ زبيدة عطا، بلاد الترك في العصور الوسطي، ص178.

2_ حاتم عبد الرحمن الطحاوي: معركة أنقرة، ص12-13.

بينـما يذكـر المؤرخ البيزنطي المعاصر ميخائيل دوكاس أن جيش تيمورلنك تألف من التتار وحلفائهم من شـعوب البحر الأسـود، بالإضافـة إلى العديـد من الأرمن، وهو ما دعا إلى تشـبيه تيمورلنك بالملك الفـارسي إكسر خسر xerxes الذي قام بغزو بلاد اليونان بجيش كبير في عام 480 ق.م انظر:

Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.90.

القسطنطينية بالإضافة إلى قوات بقيادة ستيفان لازاريفيتش Stefan Lazarevich أمير صربيا (1427-1389م). [1]

ما لبثت وأن وصلت قوات السلطان بايزيد منهكة إلى سهول أنقرة، وقد أمر بنصب معسكره على أحد الأنهار القريبة، وفي صباح اليوم التالي، أرسل بايزيد قواته للصيد والقنص لمدة ثلاثة أيام متتالية، وقد انتهز تيمورلنك هذه الفرصة لنقل قواته، واحتلال مكان معسكر بايزيد الواقع على النهر ويعلق المؤرخ ميخائيل دوكاس Michael Doukas أن تحرك بايزيد من معسكره ثاني خطأ قاتل فعله أدى إلى حدوث كارثة، إذ لم تجد قواته الماء، ومات خمسة آلاف منهم قبيل المعركة نتيجة العطش الشديد [2]اصطف الجيشان العثماني والمغولي في أحد سهول أنقرة استعدادًا للمواجهة الحاسمة، اتخذت قوات تيمورلنك مواقعها على الشكل التالي في الميمنة كلا من شاه رخ ابن تيمور، وأمير زاره خليل سلطان، ومساعديهم من القادة الأمير سليمان شاه، والأمير يدغار أندخوري، ورستم طاغاي بغا، وستيفان بهادر، بينما تولى قيادة ميسرة الجيش كلٌّ من ميرزا ميرانشاه، والأمير الشيخ نور الدين، والأمير بروندوك، وعلي سلطان كارشيم، ومبشر تخرتين، وحاجي عبد الله عباسي. [3]

وقبيل بدء المعركة الحاسمة، قام تيمورلنك بإلقاء خطبة على قواته، ذكرهم فيها

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.90.

ستيفان لازاريفيتش 1389 (Stefan Lazarevich-1427م): هو امير صربيا منذ عام 1389م والحاكم المطلق عليها منذ عام 1402م، وهو ابن لازار هريبليانوفيتش الذي قتل في معركة كوسوفو 1389م فورث ممتلكات أبيه واشترك في معركة نيقوبوليس 1396م ومعركة أنقرة 1402م كفصل عثماني، واشترك في العديد من المجريين والعثمانيين وكان يهدف الي تكوين امارة صربية مستقلة ولكن الهجمات العثمانية منعته من ذلك، وقبل وفاته بعام عين ابن اخيه جورج برانكوفتش وتوفي الامبر الصربي ستيفان لازاريفيتش عام 1427م.انظر:

O.D.B.,Vol.III,P.1947.

2_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P. 91.

ويعلق دوكاس أيضا أن السلطان بايزيد كان معذوراً ومستخفاً بالإمكانات العسكرية لتيمورلنك ورجاله، ولهذا أمر قواته بالتوجه للصيد أولاً.

3_ حاتم عبد الرحمن الطحاوي: معركة أنقرة804ه/ 1402م " مقدماتها ونتائجها"، مجلة كلية الاداب، جامعة الزقازيق، مايو2001م، ص15.

بمجد أسلافهم، وبما امتلكوه من أراضي امتدت من الشرق حتى تخوم أوروبا، كما ذكرهم بحملة الملك الفارسي إكسركسيس Xerxes على بلاد اليونان أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، وفي الوقت الذي وصف فيه البيزنطيين وإمبراطورهم مانويل بالحلفاء احتقر الأتراك في خطبته، بوصفهم عنصر نصف بيزنطي ونصف تركي، ووصفهم بالجراد مقارنة بالأسود البيزنطيين، مختتما خطبته لجنوده بالدعوة إلى عدم إفلات الجنود العثمانيين من قبضتهم، وضرورة أسرهم جميعاً، وأن يساقوا إلى بلاد فارس، وأن يقوموا بعرضهم أمام أطفالهم. (1)

من جانب آخر، يذكر خالكوكونديلاس Chalcocondylas كلامًا مغايراً عن خطبة تيمورلنك لجنوده، فتذكر أنه أمر بأن ينادى في معسكره بألا يقبض على أي رجل من جيش السلطان بايزيد، وألا يوقعوا أحدًا منهم في حالة الأسر المهينة، بل أمر بأن يتم سلب كل ما لدى الجنود العثمانيين فقط، ثم يطلق سراحهم، وذلك لأنه استهجن أن يستعبد أقراناً له في الدين. (2)

أما عن الجيش العثماني فقد أسند السلطان بايزيد قيادة ميمنة جيشه إلى صهره ستيفان لازاريفيتش ملك صربيا، وأمده ببعض الفرسان العثمانيين لمساندة فرسانه ثقيلي العدة، وأسند الميسرة إلى ولده سليمان، وتكونت الميسرة من قوات من مقدونيا من آسيا الصغرى، أما قلب الجيش فقد تكون من الإنكشارية(3) والسباهية (4)، وتحت

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.92.

2_ Chalcocondylas,L.,Historiarm,p.157.

أيضا: طالب محيبس حسن: هزيمة العثمانيين في أنقرة 1402م" دراسة في مقدمات الصدام التتاري العثماني ومجريات الحرب"، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد 4، 2008م، ص141-169.

3_ الإنكشارية: فرقة استحدثها العثمانيون في عهد السلطان مراد الأول، واعتبرت قوة عسكرية وسياسية تدين بالولاء والطاعة للسلطة ومحورها السلطان نفسه، كانت تقع تحت تصرفه(القبو قولرو) أي عبيد الباب، والمقصود به الباب الملكي لأنه كان من عادة السلاطين العثمانيين جلوسهم في البوابة الكبري للقصر لإقامة العدل، وأطلق على الإنكشارية هذا المصطلح لأنها كانت تتقاضي أجورًا مقابل الخدمات التي كانت تقدمها تميزا لها عن السباهية. انظر: هاملتون جب وهارولد باون: المجتمع الإسلامي والغرب، ص112.

4_ كانت السباهية فرقة في الجيش العثماني تحمل الراية الحمراء وهولون الدم الذي اتخذه العثمانيون رمزا لدولتهم، تميزا لهم عن الأمويين الذي كانت لهم راية بيضاء، والعباسيين الذي كان يحملون راية سوداء والفاطميون يحملون راية

قيادة السلطان بايزيد نفسه، أما المؤخرة فكانت بقيادة ابنه الأمير محمد أما بالنسبة إلي أعـداد كلا الجيشـين فيميل كثير مـن الكُتاب المعاصرين والمحدثيـن إلى الإفراط في تحديـد أعـداد الرجال في كل من الجيشـين المغولي والعثماني، ويشـير المؤرخ رينيه جروسيه Renne Grusset أن حوالي مليون مقاتل اشتركوا في المعركة التي دارت بينهمـا، وكتـب الفـارس يوهـان شـيلتبرجر Johann Schiltberger الـذي عاصر هزيمـة الصليبيين فـي نيقوبوليس وانتقل إلى خدمة العثمانييـن[1] في مذكراته أن عدد جيش بايزيد بلغ مليوناً وأربعمائة ألف مقاتل، وأن جيش تيمورلنك زاد عن ذلك الرقم بحوالي مائتي مقاتل.[2]

خضراء. انظر :

Lavallee,T.,Histoire de LEmpire Ottoman,P.414.

1_ كان يوهـان شـيلتبرجر عندما غادر من منزله القريب من مدينـه ميونيخ عام 1394م كان في الرابعة عشر من عمره، وذلك لمرافقة سـيده الأمير لينهارت ريتشـارتجنر واللحاق بالحملة الصليبية التي دعي إليها سـيجموند ملك المجر، لمحاربـة العثمانيين في نيكوبوليس 1396م . ولكن السـلطان العثماني بايزيـد الأول قد حقق نجاحًا كبيرا علي القوي الأوربيـة في هـذه المعركـة، والتي خلفت آلاف القتـلي والأسري من الجانب المسـيحي، وكان مـن هؤلاء الأسري، يوهان شـيلتبرجر، وقد احتفظ به السـلطان العثماني ليعمل ضمن حاشيته كجندي مراسل، وظل لمدة ستة سنوات، إلي أن شـارك في المعركة الفاصله وهي معركة أنقره عام 1402م، وعاد إلي وطنه في الغرب الأوروبي عام 1427م، ليكتب مذكراته هناك، انظر :

Johna Schiltberger ,The Bondage and Travel of Johan Schiltberger,Native of Bavaria inEurope,Asia,Africa,(1396-1427),trans by karl Fredric (,London,1859),pp.3-5.

2_ محمود محمد الحويري: تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ص89-90.

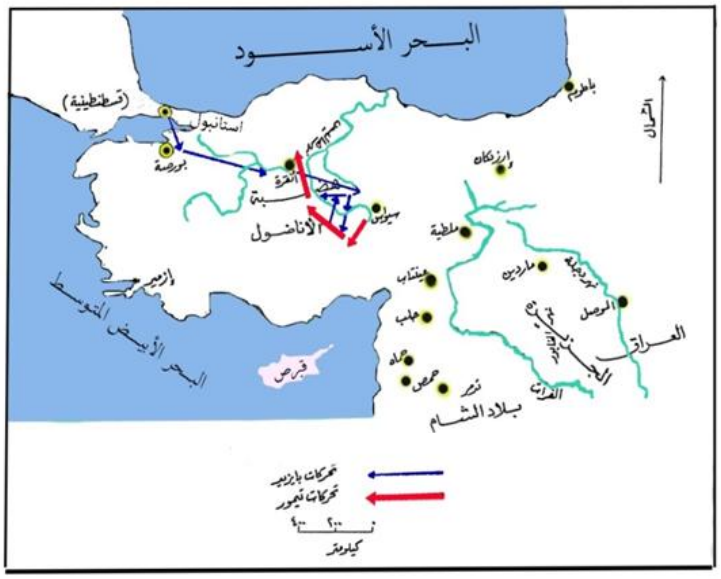

نقلا عن:-محمد أسد الله صفا:تيمور لنك(أعلام الحرب)،ط1،دار النفائس للطباعة والنشر،بيروت،1990م، ص211.

تحركات كل من القوات العثمانية والقوات المغولية قبيل الصدام في معركة أنقرة

فـي بداية المعركة، ظهرت القوات العثمانية بشـكل منظم وبقوة مذهلة، وأحدثت الكثير من الخسائر في القوات المغولية حيث انقض عليهم العثمانيون ببساطة، وأخذوا فـي مطاردتهم[1]، ولكن حـدث هجوم معاكس من قوات تيمورلنـك الذين أخذوا في مهاجمة القوات العثمانية، وزادوا من ضغطهم عليها، الأمر الذي أسـفر عن مقتل عددٍ كبير من الجنود العثمانيين، وبدأت قوات تيمورلنك في مطاردتهم، وهو ما بث الرعب فـي قلـوب القـوات العثمانية، فلاذت بالفـرار، وتقدمت قوات شـاه رخ بن تيمورلنك صوب قوات بايزيد.[2]

إزاء مـا حـدث من جراء هذا الهجـوم اضطرت القوات العثمانية إلـى الفرار، ومنها قـوات أمير أيديـن Aydan، والمكونة من خمسـمائة فارس، والذين كانوا مسـلحين جيدًا بالتوجة والاستسـلام إلى معسـكر تيمورلنك، وهو ما فعلتـه أيضا قوات إمارات كل مـن صاروخان Saruchan منتشـا Manteche [3] وكرميـان Germiyan [4]، بالإضافة إلى أن تيمورلنك نجح في إقناع العديد من الفرق العسكرية في جيش بايزيد، بالانسـحاب من المعركة والانضمام إلى معسـكره، وكان عدد تلك الفرق كبيراً حيث كانت تمثل ثلثي عدد الجيش العثماني كله.[5]

1_ Chalcocondyles,L.,Historiarm، PP.156-157.

انظرأيضـا: كارل بروكلمان: تاريخ الشـعوب الأسـلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكـي، طـ5، دار العلم، بيروت 1968م، ص422-423.

2_ Chalcocondyles,L.,Historiarm,P.157.

3_ بنـو منتشـا :أقـام بنو منتشـا طـوال سـنة ٧٠٠هجرية حكومة مسـتقلة أثنـاء انهيار دولة سـلاجقة الـروم، وذلك في الإقليم الذي يعرف باسـم قاريا والمعروف حاليا بولايا منتشـا، وكان من القصبات التابعة لهم بلاد وميلاس وبجين وجينـه وطواس وغيرها. انظر: مسـعد سـيد محمد كتبي : الإمـارات التركمانية ودورها في صراع القوي الإسـلامية (784-922هـ/ 1382-1516م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر،كلية اللغة العربية بالمنصورة،2003، ص75.

4_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.93.

بنو كرميان : كانت عشـيرة تسـكن بجوار ملطية ثم انتقلت إلى منطقة أنقرة وكوتاهية، وليس اسـم كرميان علما علي فرد، ولكنه اسـم قبيلة بأسرها ثم صار على هذه الأسرة وأول أمير منهم كان مظهر الدين بن غليشـير. انظر: مسـعد سيد محمد كتبي: الإمارات التركمانية ودورها في صراع القوي الإسلامية، ص53.

5_ ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص 320-328.

ونتيجة لما سبق، فقد تشتت شمل القوات العثمانية تماماً، وتمت محاصرة السلطان بايزيد في مجموعة من قواته، وحسب تعبير المؤرخ ميخائيل دوكاس Michael Doukas "أصبح بايزيد كالغراب الذي نتف ريشه"، وقامت قوات تيمورلنك بتطويقه في دائرة مغلقة، وأصبح على وشك الاستسلام.[1]

في النهاية حقق تيمورلنك انتصاراً عسكرياً باهراً على السلطان بايزيد العثماني في سهول أنقرة التي لم تكتب له نصراً عسكرياً فقط بل نجح في أسر السلطان بايزيد نفسه، على بعد ميل من مدينة أنقرة يوم الأربعاء 28 يوليه 1402م/ 7 ذي الحجة 804 هـ، وحول أسر السلطان بايزيد يذكر المؤرخ خالكوكونديلاس Chalcocondylas قائلا: " بدأ بايزيد كأنه طائر على سطح الماء" لكنه فوجئ بنهر، وكأنه كان يشعر بالعطش الشديد، في الوقت الذي كان فيه بايزيد يعاني من مرض عضال، فلم يستطع كبح جماع الحصان ومنعه من الشرب فاضطر إلى التوقف عن المشي، مما أتاح الفرصة لجنود تيمور القبض عليه وحملوه إلى سيدهم[2]، بينما يذكر المؤرخ ميخائيل دوكاس Doukas أن وجود بايزيد لحظة أسره كان وسط حرسه الخاص به، والذين دافعوا عنه ببسالة قبل أن يقتلوا جميعا، وفي النهاية تقدم أحد جنود تيمورلنك نحو بايزيد قائلاً : " ترجل عن جوادك أيها السلطان، تعال إلى هنا، تيمورلنك يستدعيك، ولتذهب معنا"، وبالفعل ترجل بايزيد عن جواده العربي الأصيل، غالي الثمن وقام الجنود المغول بتسريح جواد آخر من النوع المعروف لديهم من الخيل الصغير يسمى Pony، ليمتطيه بايزيد تحت حراستهم حيث قادوه إلى خيمة قائدهم تيمورلنك.[3]

في حقيقة الأمر، إن انتصار المغول بزعامة تيمورلنك على العثمانيين، وأسر السلطان بايزيد كان بمثابة إهانة عسكرية وسياسية بالغة لهيبة العثمانيين في المنطقة، لكنه أيضاً بشر بالإيقاف المؤقت للمد العسكري العثماني بالأناضول. وسقوط مدينة

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P. 93.

انظر أيضا: زبيدة عطا: بلاد الترك في العصور الوسطي، ص178.

2_ Chalcocondyles,L.,Historiarum Demenstratation,PP.157-158.

3_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.94.

القسطنطينية، التي جاءها انتصار تيمورلنك، وهزيمة وأسر بايزيد، بمثابة منحة من السماء لكي تبقى مستعصية على السقوط في أيدي العثمانيين لمدة نصف قرن جديد تقريباً بعد أن كانت على وشك السقوط. كما عبر أحد المؤرخين عما حدث[1]

ما أسفرت عنه معركة أنقرة سمح لتيمورلنك بتوجيه إهانة كبرى للعثمانيين، فقيل أنه أمر بتقييد السلطان بايزيد ووضعه في قفص حديدي حتى يصبح عبرة لغيره، حيث اصطحب الجنود أسيرهم بايزيد إلى خيمة تيمورلنك الذي كان ينهي لعبة الشطرنج مع أحد أبنائه بالعبارة الشهيرة: "كش ملك، لم أعد أشعر بالقلق حيال بايزيد بعد أسره، شكرًا لقواتي العديدة، بايزيد الآن لدي مثل عصفورٍ في الفخ"[2]، في نفس الوقت صاح فيه الجنود" انظر أيها القائد ! ها هو زعيم الأتراك أسيراً بين يديك، وعندما التفت تيمور إليهم قائلاً باحتقار واضح: " أليس هذا هو الذي قال منذ وقت قصير، أن زوجاتي طالق إذا لم أتوجه لمحاربته"، وأضاف قائلاً: "كيف أوعز إليك حمقك أن تتعدى علينا وتحاربنا؟ ألم تعلم أنه لا يتصدى لجيوشنا سوى التعساء!"، وأجابه السلطان الأسير: "نعم أنا ذلك الرجل، لكن ليس من اللائق أن تحتقر أو تستخف بمن هزم في المعركة، ونظراً لأنك أيضاً زعيمٌ وحاكم فلابد أنك تعرف جيداً أنه كان يجب عليَّ أن أقوم بالدفاع عن حدود مملكتي، فرد عليه تيمور قائلاً: " لو لم تفقد روحك وعقلك لما هبطت الآن في مثل هذا الشقاء". [3]

كان تيمورلنك يدرك مدى معاناة السلطان بايزيد من الجوع والعطش، فتحول إلى ملاطفة أسيره، وأمر بنصب ثلاثة خيام جديدة وفخمة، قائلاً له "اذهب الآن لتأخذ قسطاً من الراحة، لا تشغل بالك بما يمكن أن يحدث لك إنني أقسم لك بالله ورسوله ﷺ،

1_ Asikpasaoglu.,"Asikpasaoglu Tarihi",PP.75-81.

2_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.94.

3_ Asikpasaoglu.,"Asikpasaoglu Tarihi",P.78.

يري بعض المؤرخين الأتراك أن تيمورلنك وضع أسيره السلطان بايزيد في تختروان مقفل بشبابيك من حديد يجره حصانان لكن بسبب سوء ترجمة كلمة تختروان ظن المؤرخون الأوربيون أنه وضعه في قفص حديد كما توضع الوحوش الكاسرة. انظر: محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٢١.

أن أحافظ على حياتك" .كما أمر بحفر خندق حول الخيام الثلاث، وأن تقوم فرقة من خيرة فرسانه بأعمال الحراسة، ومن أجل المحافظة على صيده الثمين لديه أصدر أوامره أيضاً بضرورة وجود خمسة آلاف من الفرسان المسلحين بأسلحة خفيفة، للقيام بأعمال الحراسة ليلاً ونهاراً. (1)

في محاولة يائسة من الأمير محمد حاكم إقليم جالاتيا وابن السلطان بايزيد، قرر العودة لفك أسر والده عن طريق الحيلة والخداع، حيث استعان بعدد كبير من المتخصصين في حفر الأنفاق من أجل حفر نفق طويل لإنقاذ السلطان بايزيد، ووصلت أعمال الحفر بالفعل إلى المنطقة الموجودة بها الخيام الثلاث الخاصة بالسلطان بايزيد، ولكن جنود تيمور اكتشفوا ذلك وحذروا الحراس، لتفشل تلك المحاولة في النهاية.(2)

عقب فشل المحاولة السابقة، قام تيمورلنك باستدعاء السلطان بايزيد، وتوبيخه وتهديده، ثم أمر بقطع رأس خوجه فيروز خصيه المسجون معه أمام عينه، وفضلاً عن ذلك أمر بتشديد الحراسة حول السلطان بايزيد لدرجة ربطه بسلسلة حديدية في الليل، في الوقت الذي تم الاكتفاء بحراسته نهاراً بشكل صارم. (3)

الجدير بالذكر، أنه كان من بين أسرى معركة أنقرة الرحالة والمغامر البافاري شيلتبرجر Schiltberger الذي كان يعمل في خدمة السلطان العثماني بايزيد وظل في الأسر حتى عام 1405م/ 807هـ، وترك لنا بعض الإشارات عن الأحداث التاريخية التي جرت في عهد تيمورلنك (4)

لم يكتفِ تيمورلنك بأسر العديد من العثمانيين بل قام بسلب ونهب الكثير من

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.95.

2_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP.95- 96.

3_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP.96-99.

انظر أيضا : روبير مانتران : تاريخ الدولة العثمانية، جـ1أص76.

4_ Schiltberger,G.,The Bondage and Travells of Johannes Trans.by.J.Buchan Telfer,London، 1879,P.21.

خيـرات المدن هو وجيشـه، محرقـاً ومدمراً كل مـن يقوم بمقاومتـه، حيث وصل إلى مدينة كوتاهية برفقته أسـيره السـلطان بايزيد [1]، وبينما كان السـلطان بايزيد يعاني في الأسـر نتيجـة وضعه السـيئ، والإهانات المتكـررة التي قـام بها تيمورلنـك بتوجيهها إليه وهو سـليل آل عثمان، السـلطان الذي كان يهابه الجميـع؛ البيزنطيون، وحلفاؤهم الأوربيـون، وكذلك المماليك، وباقي الإمارات العثمانيـة كل ذلك دفعه إلى الانتحار في قفصه الحديدي، بعد أن قام بضرب رأسه في القضبان الحديدية لمرات عديدة [2]، وبينما كان السـلطان بايزيد يلفظ أنفاسـه الأخيرة قدم الطلب التالي لتيمورلنك: " لقد تركت حياتي الآن، كن طيبا معي الآن وقد أموت، وضع جسـدى لدفنه في القبر الذي بنيته"، اسـتجاب تيمورلنك لطلب السـلطان بايزيد، وأرسـل رفاته إلي بورصة مع مائة من العبيد ودفن في مقبرته التي بناها وأعدها لهذا الأمر. [3]

هكذا انتهت معركة أنقرة بانتصار عسـكري باهر لتيمورلنك على السلطان العثماني بايزيـد، الأمـر الـذي كان لـه العديـد مـن النتائـج العسـكرية والسياسـية علـى منطقة الأناضـول ومدينة القسـطنطينية، بل وعلى المنطقة بأكملهـا، ففي الوقت الذي أصبح فيه تيمورلنك هو سـيد الأناضول، وخضعت باقـي الإمارات العثمانية والتركمانية إلى سـلطنتة وسـطوته، فقد دبت الحرب الأهلية بين أبناء بايزيد في المعسكر العثماني من أجل وراثة عرش أبيهم، ومن أجل محاولة اسـتعادة المجد العثماني، فضلاً عن الهيبة العسـكرية الضائعـة واسـتمرت هذه الحـرب ما بعد معركـة أنقرة حتـى العام 1412م / 814هـ، حيث اسـتقر الوضع للابن محمد الأول بن بايزيد بعد أن وضعت الحرب

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P. 95.

2_ Spandoune,Th.,On the Origin of the Ottman Emperors,P.24.

ويذكر المؤرخ البيزنطي المعاصر ميخائيل دوكاس Michael Doukas أن إشـاعة سرت تفيد بأن السلطان بايزيد مات مسموماً، بينما كان تيمورلنك يود المحافظة على حياته، لكي يحضره إلى بلاد فارس كحيوان متوحش قام بأسره في رحلة صيد، ثم أراد أن يذيقه ألواناً من العذاب قبل أن يأمر بقتله في النهاية انظر:

Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP.99-100.

3_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP.99.

انظرأيضـا: ابن حجرالعسـقلاني: إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق حسـن حبشي،جـ2، دارالكتب المصرية، القاهرة، 1970م،ص226-227.

أوزارهـا، وتـم البدء في محاولة إحيـاء الدولـة العثمانية من جديد، والتـي كان هدفها القديم والجديد هو التوسـع العسكري، وإسقاط مدينة القسطنطينية والوقوف في وجه التحالفات بين المدن الإيطالية والقوى الأوروبية المسيحية .

مـن جانبنـا فقد كان من أهـم النتائج هي بقاء مدينة القسـطنطينية لنصف قرن جديد فـي أيـدي البيزنطيين قبل أن ينجح العثمانيـون في اقْتحامُها في عـام 1453م، وهكذا كان علـى المصادر البيزنطية أن تبارك النصر المغولي على العثمانيين في معركة أنقرة، علـى الرغم من خشـيتها من خطـورة تيمورلنك، وأن تشـعر بالراحة لموت السـلطان بايزيـد في الأسـر، وأن تعتبر ما حـدث "حدثاً ومعجزة مذهلـة .... عندما انتصر الرب علـى الطاغيـة "فرعونPharaon" على حسـاب طاغية أو فرعـون آخر"، ويجب هنا أن نشـير إلى المسـحة الدينية لـدى المؤرخين البيزنطيين، بالإشـارة إلـى أن ما حدث كان بفعـل الرب، الـذي أراد ذلك حتى تظل القسـطنطينية صامدة لعـدة عقود أخرى، وأن الرب قد انتصر للمسيحيين من خلال نجاح تيمورلنك المسلم في إلحاق الهزيمة بالسلطان بايزيد المسلم أيضاً وإبعاد خطره عن مدينة القسطنطينية حامية الأرثوذكسية المسـيحية في الشـرق الأوروبي، بل وتمت حماية الغرب المسـيحي كذلـك.[1] بينما وجدنـا مؤرخ بيزنطـي آخـر وهـو خالكوكونديـلاس Chalcocondyles يتحدث بشـكل آخر أكثر حيادية عن السـلطان العثمانـي بايزيد فذكر أنه حكم لمـدة 25 عاماً، وحقق انتصارات عسكرية واسعة في الأراضي الآسيوية والأوروبية، وفضلاً عن ذلك كان جاداً وجسـوراً، بحيث لم يصغ إلى نصح أحد، وعندما كان يتوجه للقاء أعدائه لم يكن يتكل إلا على نفسه فقط..."[2]

علـى أية حـالٍ، فعندما علـم الإمبراطور مانويـل الثاني بما حدث للسـلطان بايزيد وقواته على يد تيمورلنك، فرح فرحاً شـديداً وقرر العودة سريعاً إلى القسطنطينية، فتم تعيين شاتو موراند على رأس قوة فرنسية مؤلفة من مائتي جندي لمرافقته خلال رحلة

1_ Asikpasaoglu Tarihi",P.83-85; Asikpasaoglu, Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.92 "

2_ Chalcocondyles,L.,Historiarm، PP.161-162

عودتـه ليغـادر الإمبراطور الأراضي الفرنسـية عائـداً إلى بلاده وذلك فـي 21 نوفمبر 1402م/ 16 ربيع ثاني 805هـ[1] فوصل جنوة في 22 يناير من سنة 1403م، وهناك اسـتقبله حاكمها بوسـيكو استقبالا رائعاً وأحسـن ضيافته، وبعد إقامة قصيرة في جنوة غادرها مانويل في 10 فبراير/ 6 رجب من نفس العام، متوجهاً إلى البندقية، وقد زوده بوسـيكو ببعض السـفن الحربية لحراسـته، ووصل الإمبراطور مانويل والوفد المرافق لـه إلى البندقية، وهناك اسـتُقبل اسـتقبالًا رائعاً، وطالبوه بالعودة سـريعاً ومباشـرة إلى القسـطنطينية، ولكنه أوضح لهم أن نيته الاتجاه إلى المورة والبقاء هناك حوالي شـهر لتسـوية بعض المسـائل، وحسـبما يرجح نيقـول Nicol أن مانويل لم يكـن راغباً في العودة بسـرعة ومباشـرةً إلى القسـطنطينية، لأنه كان خائفاً من المقابلة التي ربما يقابله بها ابن أخيه الإمبراطور حنا السابع بعد غيابه الطويل، وذلك في 21 مارس 1403م/ 18 شعبان 805هـ[2]

فـي 13 أبريـل 1403م/ 12 رمضـان 805هـ وصـل مانويـل إلـى مينـاء ميثـون Methone البندقـي فـي المـورة، وهناك التقـى بزوجته وطفليها، كمـا ناقش الوضع الداخلـي فـي المورة مع أخيه ثيوردور، وفي نهاية مايو/ شـوال اسـتأنف رحلة عودته إلـى القسـطنطينية، مـروراً بالدردانيـل، فوصل إلـى غاليبولـي، حيث قابلـه هناك حنا السـابع الذي جاء خصيصاً لاسـتقباله، ومن غاليبولي تقدم مانويل وحنا معاً إلى مدينة القسطنطينية فوصلها في 9 يونيو سنة 1403م/ 10 ذو القعدة805هـ، وهكذا استمرت رحلة مانويل الثاني أكثر من ثلاث سنوات ونصف.[3]

1_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP.100-282. No.82.

وتذكـر بعـض الدراسـات أن الطريق الذي سـلكه مانويل الثاني من فرنسـا إلى جنوة غير معروف عـلى وجه الدقة، ويقال إنه مر خلال ألمانيا انظر:

Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.87; CF.also: Barker,J.W.، Manuel II Palaeologus,P. 221. No. 33.

2_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,P.100;CF.also: Barker,J. W.,Manuel II Palaeologus,PP.221-222-230-320;Nicol,D.The Last Centuries of Byzantium ,P.334.

3_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP.87-283. No.82.

وتذكر إحدي الدراسات أن الإمبراطور مانويل الثاني وصل إلى مدينة القسطنطينية في 15 يونية سنة 1403م انظر

الجدير بالذكر، وعقب استقرار الإمبراطور مانويل الثاني في القسطنطينية، قام بنفي الإمبراطور حنا السابع من القسطنطينية، وقد تكون هناك أسباب خفية لهذا، إلا أن السبب الظاهر لذلك كان تلك الاتفاقية المهينة مع السلطان بايزيد التي قضت بتسليم القسطنطينية للأخير إذا انتصر على تيمورلنك[1]، وأعطاه الإمبراطور مانويل جزيرة لمنوس متخلياً عن وعده السابق له بإعطائه مدينة سالونيك، وقام بعزله من منصب الإمبراطور الشريك.[2]

أما على الجانب العثماني، فنجد أنه بعد وفاة السلطان بايزيد في 8 مارس 1402م/ 25 رجب 804هـ دخلت البلاد في حرب أهلية ظلت لمدة عشر سنوات، وذلك بين أولاده لعب خلالها الإمبراطور مانويل الثاني باليولوجوس دوراً أساسياً في تحريك أحداثها[3].

من جانب أخر، وما يخص كلا من المماليك والمغول، وطبيعة العلاقة بين الطرفين عقب ما حدث لكل من بيزنطة والعثمانيين، وجدنا تيمورلنك يرسل رسالة إلي السلطان المملوكي فرج يخبره بانتصاره على السلطان العثماني، وأن أغلب المنطقة أصبحت خاضعة له، وذلك في 19 سبتمبر 1402م/ 12 صفر805هـ[4] ثم تلا ذلك سفارة مغولية أشار إليها المؤرخ المقريزي بأنها وصلت القاهرة في جمادي الأول 805هـ/ نوفمبر 1402م برئاسة الخواجا نظام الدين مسعود الكججاني، تحمل

Brehier,L.,Vie et Mort de Byzance,P.472.

1_ Clavigo,Embassy to Tamerlane,P.52.

2_ Doukas,M.,Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,PP.100-285. No.104.

3_ في الواقع أنه بعد وفاة السلطان بايزيد، فإن أولاده لم يتفقوا على تنصيب أحدهم سلطاناً، وراح كل منهم يدعي أحقيته في العرش العثماني، ولاح في الأفق شبح الحرب الأهلية التي خيمت عليهم، وقد اتخذ عيسى الخطوة الأولى التي فجرت هذه الحرب، وذلك عندما أعلن نفسه سلطاناً على كل الممتلكات العثمانية في آسيا الصغري، وحدثت اتصالات بين عيسى والإمبراطور مانويل، وقيل تم عقد معاهدة بين الطرفين، انظر:
ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص334-335؛ القرماني: أخبار الدول،مج3، ص302؛ انظر أيضا : ابن حجر العسقلاني: أنباء الغمر بأنباء العمر،جـ2،ص227. راجع ايضا:
Hidden,A.,The Ottoman Dynasty,P.36

4_ القلقشندي: صبح الأعشى، ج7، ص322.

رسـالةً تطالب السلطان المملوكي فرج بالاعتراف بتيمورلنك أبا له، وأضاف المؤرخ العسقلاني أن الكججاني حمل معه لواء مذهبا عليه اسم تيمورلنك، وتم الاتفاق بين السـلطان والوفد المغولي على ألا يسـتقبل أحد الطرفين أي شـخص معارض للأخر، ويعترف السـلطان بأبوة تيمورلنك[1] لتنتهي تلك المرحلة التاريخية بوجود علاقة طيبة جمعت بين المماليك والمغول، بعد الانكسار المؤقت للعثمانيين في معركة أنقرة .

مما سـبق، ومن خلال إلقاء الضوء عن أحوال بيزنطة في الصراع العثماني المغولي المملوكي، في تلك الفترة التي امتدت من عام 1399م/ 1402م إلى 804-801هـ، فقد كانت جولة الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني في الأراضي الأوروبية غير مجدية، فقد كان كل ما نجح فيه هو استقباله بشكل رائع فقط، فلم يقدم له قادة الغرب الأوروبي أى نوع من المساعدات، ولم تشر المصادر إلى ذلك، وإن كانت قد أظهرت العلاقات الطيبة بين الإمبراطورية البيزنطية والقوى الموجودة في الأراضي الإيطالية

ومـن جانـب أخـر أظهـرت الأحـداث أن تيمورلنـك كان فـى طريقـه للإطاحة بالجميـع، في ظل فشـل المحاولة الأخيـرة للتحالف العثمانـي المملوكي ضده؛ لأن اتحادهمـا معًا كان هو السـبيل لمواجهـة تيمورلنك ، وكانت مقولـة المؤرخ إيمانويل بيلوتـي فـي أن فشـل تلك المحاولـة كان انتصارًا للمسـيحية، بعد أن تسـبب ذلك في إضعـاف العثمانيين أمام تيمورلنك، وأبقى على القسـطنطينية صامدة أمام العثمانيين، فـي الوقت نفسـه كانـت للاتصـالات المتبادلـة بيـن تيمورلنـك والبيزنطييـن أثره في بقـاء مدينتهـم صامدة أمام محـاولات السـلطان العثماني في اقتحـام عاصمتهم، ومع اسـتعداد الجميع للمواجهة الحاسـمة كان من الطبيعي انسـحاب القوات العثمانية من أمام القسـطنطينية، وما أسـفرت عنه معركة أنقرة Ankara عام 1402م/ 804هـ

1ـ يروي القلقشـندي أن جميع الحاضرين وقعوا على نص المعاهدة كشـهود، وقد حررت المعاهدة من نسـختين، وتم الإتفاق مع الخواجا نظام الدين مسـعود الكججاني على حمل النسـختين معه إلي تيمور ليوقع عليهما، ثم تعاد إحدى النسختين إلي القاهرة وهو ما حدث بالفعل، انظر:
القلقشـندي: صبـح الأعشـى، ج7، ص393، ابـن حجـر العسـقلاني: أنباء الغمـر بأنباء العمر،جـ2، ص222، المقريزي: السلوك، ج3،ق3،ص1099.

كان له أثره على بيزنطة والقوي الإسـلامية، فقد كان سـببا في تأجيل سـقوط العاصمة البيزنطية لما يقرب من خمسين عاما أخرى، كذلك دخلت الدولة العثمانية في مرحلة من الفوضى بشـكل مؤقـت عقب وفاة السـلطان بايزيد، وفي الوقت نفسـه وجدنا في نهاية تلك الفترة تقارب مغولي مملوكي، بعد أن بات تيمورلنك هو أبرز الشـخصيات على الساحة الدولية في تلك الفترة.

الخاتمة

مما سبق، وفي ختام ما تم سرده في مؤلفنا عن بيزنطة في الصراع العثماني المغولى المملوكي؛ في تلك الفترة التي بدأت باستيلاء السلطان العثمانى مراد الأول على مدينة فيليبوبوليس ثم الاستيلاء على أدرنة- ثانى أكبر المدن البيزنطية بعد القسطنطينية - ونقل العاصمة العثمانية إليها في عام 1365 / 766 هـ، وظهور التهديد العثماني لبيزنطة بشكل خطير، يتضح لنا أن الصراعات على العرش البيزنطي قد استنزفت الدولة البيزنطية من كل مواردها، ونجد ذلك واضحًا في الصراع بين الإمبراطور حنا كانتاكوزين والإمبراطور حنا الخامس وأمه آنا أوف سافوي، فنجد أنَّ كل طرف من تلك الأطراف كان تفكيره في كيفية التخلص من الآخر سواء بالمؤامرات الداخلية أو بالاستعانة بالقوى الخارجية والتي كان أهمها الأتراك العثمانيون، وعلى الرغم من مساعدة العثمانيين لقوى النزاع، إلا أنه كان رغبة في تحقيقهم لأطماعهم داخل الأراضي البيزنطية، فعندما قام حنا كانتاكيوزين بالاستعانة بالعثمانيين والمصاهرة بينهم بزواج ابنته من السلطان أورخان، كان ذلك بمثابة أول مسمار يدق في نعش الإمبراطورية البيزنطية ؛ وهو ما عجل في سقوط القسطنطينية والمساعدات العثمانية لكانتاكيوزين في دخول القسطنطينية، وأيضا عندما تدخل العثمانيون في الصراع على العرش البيزنطي ومساندة يوحنا الخامس جعل الأخير ينجح في النهاية .

من جانب آخر، لاحظ الباحث أيضا أن بيزنطة كانت دائما تحتفظ بعلاقات طيبة مع الدولة المملوكية أهم قوي الشرق الإسلامي أواخر العصور الوسطى، ومن جانب آخر أدرك المماليك أهمية أن تستمر تلك العلاقة السلمية في ظل ما عانت منه السلطة المملوكية من ضعف ووهن في العقدين السادس والسابع من القرن الرابع عشر، ولا نغفل أنه في ظل العلاقات والصراعات السياسية والعسكرية التي ربطت بين القوى الثلاثة (بيزنطة- العثمانيين- المماليك) أطل على الجميع طرف أخر لم يكن يتوقع أن يتوحد في تلك

الفترة، ألا وهو العنصر المغولي الذي بات يهدد بتغيير موازيين القوى في المنطقة، وبالفعل تزامن ذلك مع خروج القائد المغولي تيمورلنك Tamerlan من وسط آسيا بعد مرحلة شهدت تشتت شمل المغول، وانقسامهم إلى ممالك عدة، فقرر التحرك غربا، طامعاً في تأسيس إمبراطورية كبرى على غرار إمبراطورية جنكيزخان . فنجح في سنوات قليلة فيما بين أعوام 1380 – 1386 م / 781–788 هـ في مهاجمة شمال بلاد فارس وشرقها، وأخضع معظمها، جاعلا من مدينة سمرقند عاصمة لدولته، ثم واصل مهاجمته لعدة مدن هامة مثل الرها وملطية، وآمد وسيواس، وكان من الملاحظ أن تلك المدن اعتبرها كلٌّ من العاهلين العثماني والمملوكي خاضعة لنفوذهما، لتبدأ بين الأطراف الأربعة مرحلة من الصراعات السياسية والعسكرية وتلاها تحالفات ثنائية.

توصلت الدراسة أنه في مرحلة زمنية أخرى، وجدنا تدخل العثمانيين وبشكل متتالي في مسألة الصراع على العرش البيزنطي، سواء بعرضهم مساعدةِ طرفٍ ضد آخر، أو عن طريق استدعائهم من قبل أحد الأطراف المتصارعة للوصول للحكم، فمثلا في الصراع الذى قام بين أندرونيقوس الرابع والإمبراطور حنا الخامس، والذى تم على مرحلتين فالمرحلة الأولى كانت بالاتفاق مع الأمير صاووجي ابن السلطان العثماني مراد الأول على الإطاحة بوالديهما، ويرجع ذلك لشعورهم بالنقص بين إخوتهما وتفضيلهم عليهما، فوجد كل منهما العون للآخر وأعلنوا العصيان ولكن عندما علما العاهلان بهذا العصيان تحركا علي الفور، وكان العقاب بسمل العين والزج بأندرونيقوس الرابع في السجن، وساند السلطان العثماني أندرونيقوس الرابع، ومن جانبنا نرجح أنه لم تكن مساعده السلطان العثماني رغبة فى استقرار بيزنطة، بل رغبة فى زعزعة الأمن الداخلى للإمبراطورية، وظل الوضع متزعزعًا أيضا بين الأطراف بسبب استبعاد مانويل من وراثة العرش البيزنطي، ومع وفاة حنا الخامس بدأت صفحة جديدة من العلاقات البيزنطية العثمانية في عهد خليفته مانويل الثاني، حاول التخلص من تبعية أباطرة بيزنطة للسلطان العثماني، وفشل في ذلك.

كان من الملاحظ أيضا أنه وسط تلك الأحداث والتي جعلت بيزنطة في احتكاك مباشر مع العثمانيين، ظهر الخطر المغولي من جديد مع رغبة تيمورلنك في إعادة إمبراطورية

المغول مرة أخرى على الساحة الدولية، ولم يكتف باكتساح وسط آسيا بل توجه غربا حتى وصل لبلاد الشام وبدأت أطماعه في الممتلكات المملوكية والعثمانية، عن طريق السيطرة على الإمارات التركمانية، مما جعل القوتين المملوكية والعثمانية يحاولان معا عن طريق السفارات المتبادلة توحيد صفوفهما معا ضد العدو الجديد الطامع في اكتساح المنطقة، وهي أمور بلا شك أثرت في نفس الوقت على الوضع في بيزنطة، وكانت مؤشرا على انشغال العثمانيين ولو مؤقتا عن أباطرة القسطنطينية .

حاولت الدراسة تقييم الموقف في الفترة ما بين عامي(1399-1393م/ 795 - 802هـ) والتي تميزت بما عرف بحصار القسطنطينية واشتداد الصراع في المنطقة حول بيزنطة، وتحديدًا بين القوى في المشرق الإسلامي، دارت العديد من التحالفات ومحاولات التقارب بين القوى المختلفة سواء من جانب بيزنطة أو من جانب العثمانيين أو المماليك أو المغول، وفي محاولةٍ لإقامة تحالفٍ عثمانيٍّ مملوكيٍّ مُوَجَّه ضد المغول، لم تنته بالنجاح، والتي من المرجح أن وفاة السلطان برقوق كانت نقطة فاصلة في هذا الأمر، كذلك من المرجح أن تلك القوة التي قادها المارشال الفرنسي بوسيكو؛ والتي حافظت على القسطنطينية من السقوط، لم تكن كافيةً لاستمرار صمود عاصمة الإمبراطورية، مما جعل الإمبراطور مانويل يعلن أنه على استعدادٍ لأنْ يُسلِّم عاصمتَه للقائد المغولي تيمورلنك .

كذلك توصلت من خلال الدراسة إلى أنَّه عندما حاول السلطان بايزيد إحياء الصراع القديم على العرش البيزنطي، رغبةً منه في الاستيلاء على عاصمة الإمبراطورية الصامدة أمام قواته لم يتم الأمر في النهاية، بسبب استماتة مانويل برفض تنفيذ أوامر السلطان بترك الحكم، كذلك يبدو أيضا أن حنَّا السابع لم يستجب في النهاية لمخطط السلطان العثماني، ووسط تشكك أهالي القسطنطينية لنوايا السلطان فشل مخطط بايزيد لإحياء الصراع القديم على العرش البيزنطي.

من جانب آخر، وعلى الرغم من أن البعض تشكك في موقف تيمورلنك من العرض البيزنطي بإقامة تحالف بيزنطي مغولي موجه ضد العثمانيين، إلا أنه من جانبنا يمكن القول أن تيمورلنك رحَّبَ بالعرض البيزنطي ووافق عليه؛ لأنه أدرك أن المماليك وسلطانَهم

برقوق اعتبروه عدوًا لهم، ومن ثَمَّ أصبح بذلك بين عدوين هما المماليك والعثمانيون، فأراد بالتحالف المرتقب استغلال الجانب البيزنطي كعنصر ضغط على السلطان العثماني عند الصِدام المرتقب معه، ولابد أنه علم بمحاولات عقد تحالف مملوكي عثماني ضده، وبالتالي سوف يصبح بين مطرقة العثمانيين وسندان المماليك في حالة نجاح تلك المحاولات، وأخيرًا: إن مجرد ظهور تقارب بيزنطي مغولي ضد العثمانيين كان يعني تطورًا مفاجئًا وخطيرًا في الصراع الدائر بين بيزنطة والقوة الموجودة في الشرق في تلك الفترة.

أما إذا حاولنا تقييم أحوال بيزنطة في الصراع العثماني المغولي المملوكي، في تلك الفترة التي أمتدت من عام 1399م/ 1402م إلي 804-801هـ، فقد كانت جولة الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني في الأراضي الأوروبية، غير مجدية فقد كان كل ما نجح فيه هو استقباله بشكل رائع فقط، فلم يقدم له قادة الغرب الأوروبي أى نوع من المساعدات، ولم تشر المصادر إلى غير ذلك، وإن كانت قد أظهرت العلاقات الطيبة بين الإمبراطوريه البيزنطيه والقوى الموجودة في الأراضي الإيطالية.

مع مرور الوقت أظهرت الأحداث أن تيمورلنك كان فى طريقه للإطاحة بالجميع، في ظل فشل المحاولة الأخيرة للتحالف العثماني المملوكي ضده، لأن اتحادهما معا كان هو السبيل لمواجهة تيمورلنك ، وكانت مقولة المؤرخ إيمانويل بيلوتي في أن فشل تلك المحاولة كان انتصارا للمسيحية، بعد أن تسبب ذلك في إضعاف العثمانيين أمام تيمورلنك، وأبقى على القسطنطينية صامدة أمام العثمانيين، في الوقت نفسه كانت للاتصالات المتبادلة بين تيمورلنك والبيزنطيين أثره في صمود مدينتهم صامدة أمام محاولات السلطان العثماني في اقتحام عاصمتهم، ومع استعداد الجميع للمواجهة الحاسمة كان من الطبيعي انسحاب القوات العثمانية من أمام القسطنطينية، وما أسفرت عنه معركة أنقرة Ankara عام 1402م/ 804هـ كان له أثره على بيزنطة والقوي الإسلامية، فقد كان سببا في تأجيل سقوط العاصمة البيزنطية لما يقرب من خمسين عاما أخرى، كذلك دخلت الدولة العثمانية في مرحلة من الفوضى بشكل مؤقت عقب وفاة السلطان بايزيد، وفي الوقت نفسه وجدنا في نهاية تلك الفترة تقارب مغولي مملوكي، بعد أن بات تيمورلنك هو أبرز الشخصيات على الساحة الدولية في تلك الفترة .

ملحق رقم (١)

أباطرة بيزنطة أواخر العصور الوسطى

أندرونيقوس الثالث باليولوجوس	Andronicus III	(١٣٢٨-١٣٤١م)
حنا الخامس باليولوجوس	John V Paleologos	(١٣٤١-١٣٧٦م)
حنا السادس كانتاكيوزين	John VI Cantacuzenus	(١٣٤٧-١٣٥٤م)
أندرونيقوس الرابع باليولوجوس	Andronicus IV	(١٣٧٦-١٣٩٧م)
حنا الخامس باليولوجوس	John V Paleologos	(١٣٧٩-١٣٩١م)
حنا السابع باليولوجوس	John VII Paleologos	(١٣٩٠م)
مانويل الثاني باليولوجوس	Manual II Paleologos	(١٣٩١-١٤٢٥م)
يوحنا الثامن باليولوجوس	John VIII Paleologos	(١٤٢٥-١٤٤٨م)
قنسطنطين الحادي عشر باليولوجوس	Constantine XI Paleologos	(١٤٤٨-١٤٥٣م)

نقلا عن :

محمد مؤنس عوض: الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة، ط1،دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،2007م، ص441.

ملحق رقم (٢)

سلاطين الدولة العثمانية

<table>
<tr><td colspan="5">اورخان غازي
(١٢٨١-١٣٦٠م)
+
نيلوفر خاتون
(١٢٨٣-١٣٨٣م)</td></tr>
<tr><td colspan="5"></td></tr>
<tr><td colspan="2">سليمان باشا
(١٣١٦-١٣٥٧م)</td><td>مراد الأول
(١٣٢٦-١٣٨٩م)
+
لجيجك خاتون
(١٣٥٥-١٣٨٩م)</td><td>قاسم
ت١٣٤٦/ م</td><td>خليل باشا
(١٣٤٧ -
١٣٦٢م)</td></tr>
<tr><td colspan="5"></td></tr>
<tr><td>ساووجي جلبي
(١٣٦٢-
١٣٨٥م)</td><td colspan="2">بايزيد الأول
(١٣٦١-١٤٠٢م)
دولت خاتون
(١٣٦١-١٤١٣م</td><td colspan="2">يعقوب جلبي
(١٣٥٩-١٣٨٩م)</td></tr>
<tr><td colspan="5"></td></tr>
<tr><td>عيسي جلبي
(١٣٧٧ -
١٤١١م)</td><td>سليمان جلبي
(١٣٧٧ -
١٤١١م)</td><td>محمد الأول
(١٣٩١-١٤٢١م)
امينة خاتون
(١٣٩٨-١٤٤٩م)</td><td>موسي جلبي
(١٣٨٨-١٤١٣م)</td><td>مصطفى جلبي
(١٣٩٣-١٤٢٢م)</td></tr>
</table>

قاسم جلبي	بايزيد جلبي	محمود جلبي	مراد الثاني (١٤٠٣-١٤٥١م) خديجة هما خاتون (١٤٠٠-١٤٤٩م)	يوسف جلبي	مصطفى جلبي الاصغر (١٤٠٨-١٤٢٣م)	احمد جلبي
أحمد جلبي (١٤١٩-١٤٣٧م)	علاء الدين جلبي (١٤٢٥-١٤٤٣م)	محمد الثاني (الفاتح) (١٤٢٩-١٤٨١م)	أورخان جلبي ت١٤٥٣/ م	حسن جلبي (١٤٥٠-١٤٥١م)		

نقلا عن :-

محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص777.

ملحق رقم (٣)

ملحق رقم(3) سلاطين دولة المماليك في مصر والشام

اسم السلطان	تاريخ تولية السلطة
شجر الدر	1250م
المعز عز الدين أيبك	1250-1257م
المنصور نور الدين علي	1257-1259م
المظفر سيف الدين قطز	1259-1260م
الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري	1260-1277م
السعيد ناصر الدين أبو المعالي محمد بركة قان	1277-1279م
العادل بدر الدين سلامس	1279-1279
المنصور سيف الدين قلاوون الألفي	1279-1290م
الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون	1290-1293م
الناصر محمد بن قلاوون(فترة حكم أولي)	1293-1294م
العادل زين الدين كتبغا	1294-1296م
المنصور حسام الدين لاجين	1296-1298م
الناصر محمد بن قلاوون(فترة حكم ثانية)	1298-1308م

المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير	1308–1309م
الناصر محمد بن قلاوون(فترة حكم ثالثة)	1309–1340م
المنصور سيف الدين أبو بكر	1340–1341م
الأشرف علاء الدين كجك	1341–1342م
الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد	1342–1342م
الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد	1342–1345م
الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد	1345–1346م
المظفر سيف الدين حاجي بن الناصر بن محمد	1346–1347م
الناصر بدر الدين أبو المعالي الحسن بن الناصر محمد (فترة حكم أولى)	1347–1351م
الصالح صلاح الدين صالح بن الناصر محمد	1351–1354م
الناصر بدر الدين أبو المعالي الحسن بن الناصر محمد(فترة حكم ثانية)	1354–1361م
المنصور صلاح الدين محمد بن حاجي بن الناصر محمد	1361–1363م
الأشرف زين الدين شعبان بن حسن بن الناصر	1363–1376م
المنصور علاء الدين علي بن شعبان	1376–1381م
الصالح زين الدين حاجي	1381–1382م
الظاهر سيف الدين برقوق	1382م–1399م
الناصر ناصر الدين فرج بن برقوق	1399–1405م
المنصور عز الدين عبد العزيز بن برقوق	1405م

الناصر ناصر الدين فرج بن برقوق للمرة الثانية	1312–1405م
الخليفة العباسي المستعين بالله أبو الفضل	1412م
المؤيد شيخ المحمودي	1412–1421م
المظفر أحمد بن المؤيد شيخ	1421م
الظاهر سيف الدين قطز	1421م (94 يوما)
الصالح ناصر الدين محمد بن قطز	1421م
الأشرف سيف الدين برسباي	1422–1438م
العزيز جمال الدين يوسف بن برسباي	1438م
الظاهر فخر الدين عثمان بن الظاهر حقمق	1453م
الأشرف سيف الدين اينال العلائي الظاهري	1453–1460م
المؤيد شهاب الدين أحمد بن اينال	1460م (أربعة اشهر)
الظاهر سيف الدين خشقدم	1461–1467م
الظاهر سيف الدين يلباي	1467م
الظاهر تمريغا الرومي	1467م (شهرين)
خير بك	سلطان ليلة
الأشرف سيف الدين قايتباي	1468–1496م
محمد بن الأشرف قايتباي للمرة الأولي	1496–1497م
قانصوه	جلس في العرش ثلاثة أيام

محمد بن الأشرف قايتباي للمرة الثانية	1497-1498م
قانصوه الأشرفي	1498-1500م
الأشرف جانبلاط	1500-1501م
العادل طومان باي الأول	1501م (100ليلة)
الأشرف قانصوه الغوري	1501-1516م
الأشرف طومان باي	1516-1517م

ملحق رقم (٤)

تهديد القائد المغولي تيمورلنك للسلطان العثماني بايزيد الأول قبيل معركة أنقرة عام 1402م/ 804 هـ

نقلا عن: - ابن عربشاه: عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 253-250.

" فراسل سلطانها بايزيد المجاهد الغازي، وصرح بما يروم من بلاد الروم، من غير كناية وألغاز، وجعل السلطان أحمد [1] وقرا يوسف [2] سبباً، وذكر أنهما من سطوات سيوفه هربا، وأنهما مادة الفساد، وبوار البلاد، ودمار العباد، وسنخ الخمول والإدبار، وكفرعون وهامان في العلو والاستكبار، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ {سورة القصص-8 }وقد صارا بمن معهما في حمى ذراكم لاطئين، وأينما حلوا حلَّت التعاسة والشؤم، وحاشا أن يكون مثلهما من المفلوكين تحت جناح صاحب الروم، فإياكم أن تأووهم بل أخرجوهم، وخذوهم واحصروهم ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾{سورة النساء-89 }

1_ هو السلطان أحمد الجلائري (783-813هـ/ 1381-1410م) :هو مغيث الدين أحمد بن أويس بن حسن بن حسين بن اقبعا بن إيلكان، تولي العرش بعد مقتل أخوه السلطان حسين الجلائري عام 1381م، ويرجع نسبته إلي الدولة الجلائرية، وهم قبيلة ترجع أصولها للمغول، سكنوا وادي اوزن بمنغوليا وزحفوا إلي العراق وإيران وأسسوا دولتهم وتملكوا السلطنة في بغداد 1336م، وانتهي حكمهم بإجلائهم عام 1411م علي يد دولة قرا قوينلو. انظر:شعبان طرطور:الدولة الجلائرية، دار الهداية للطبعة والنشر والتوزيع، القاهرة،1987م،ص40-47.

2_ قرا يوسف (1390-1420م) : وهو أمير تركماني وقد دخل في مصاهرة سياسية مع السلطان أحمد الجلائري للحصول علي مساعدات وقت الحاجة فتزوج السلطان أحمد من أخته مقابل زواج قرا يوسف من إحدي النساء الجرائريات، ويرجع قرا يوسف إلي القبائل التركمانية التي أسست دولة قرا قونيلو التي تسمي بالخروف الأسود (782-873هـ/ 1380-1468م)، وامتد حكمها إلي إيران والعراق، ولعبوا دورًا كبيرًا في الأحداث السياسية في المنطقة، وصلت الدولة إلي أوج عظمتها في عهد قرا يوسف . انظر: علاء محمود قداوي: تاريخ العراق في عهدي القرا قوينلو والأق قوينلو(814-914هـ/ 1411-1508م)،ط1، دار الغيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2012م،ص31-48.

وإياكم ومخالفة أمرنا، فتحل عليكم دائرة قهرنا، فقد سمعتم قضايا مخالفينا وأضراهم، وما نزلهم منا في حراهم وضراهم ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ {سورة إبراهيم-45} فلا تكثروا بيننا وبينكم القيل والقال، فضلاً عن جدال وقتال، فقد بينا لكم البراهين وضربنا لكم الأمثال، وفي أثناء ذلك أنواع التهديد والتخويف، وأضاف التهويل والأراجيف، وكان ابن عثمان عنده رقاعة وشجاعة، ولم يكن عنده صبر ساعة، مع أنه كان من الملوك العادلين، وعنده تقوى وصلابة في الدين، وكان إذا تكلم وهو في صدر مكان، فلا يزال في حركة واضطراب حتى يصل إلى طرف الإيوان، وكان بواسطة عدله ساعده الزمان، وقويت شوكته في المكان، فاستصفى ممالك قرمان، وقتل ملكها السلطان علاء الدين وأسر له عنده ولدان، واستولى على ممالك منتشا وصاروخان، وهرب منه إلى تيمور الأمير يعقوب بن علي شاه حاكم ولايات كرميان، وصفا له من حدود جبل بالقان، من ممالك النصارى إلى ممالك أرزنجان فلما وقف على كتابه، وفهم فحوى خطابه، نهض وربض، وامتعض وارتمض، ورفع صوته وخفض، وكأنه تجرع نقوع الحضض ".

ملحق رقم (٥)

رد السلطان بايزيد على تهديد تيمورلنك

نقلا عن: – ابن عربشاه: عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص 255–253.

" قال أو يخوفني هذه الترهات، ويستفزني هذه الخزعبلات؟ أو يحسب أنني مثل ملوك الأعجام، أو تتار الدشت الأغتام؟ أو في جمع الجنود، كجيش الهنود، أو جندي في الشقاق، كجمع العراق أو ما عندي من غزاة الإسلام، كعساكر الشام، أو أن قفله المجمع كجندي، أو ما يعلم أن أخباره عندي؟ وكيف ختل الملوك وختر، وكيف تولى وكفر، وما صدر عنه وعنهم، وكيف كان كل وقت يستضعف طائفة منهم، وأنا أُفَصِّل جُمَلَ هذه الأمور، وأكشف ما خزنه في التامور، أما أول أمره فحرامي سفّاك الدم، هتّاك الحرم، نقّاض العهود والذمم، طرف منحرف عن الصواب في الخطأ، فصال وجال وجار وصار وسطا، ثم طال واستطال، واتسع له المجال، وغفل عن الرجال، ومن حين نبع، استصبى حتى شاب الشيب بالعيب فأدرك وما بلغ، فالتهبت فتيلته بعد أن كانت شرارة، وانتشرت فروع حبته فصارت غرارة، أما ملوك العجم فإنه استتر لهم بدخله وختله، ثم استفزهم بخيله ورَجِلِه، وبادر إلى قتلهم بعد أن أمكنتهم فرصة قتله وأما توقتاميش خان، فإن غالب عسكره خان، ومن أين للتتار الطغام، الضرب بالبتار الحسام؟ وما لهم سوى رشق السهام، بخلاف ضراغم الأورام، وأما جنود الهنود فإنه ختلهم في أمرهم، ورد كيدهم في نحرهم، فوهت أركانهم، لا سيما وقد مات سلطانهم، وأما عساكر الشام فأمرهم مشهور، وما جرى عليهم فظاهر غير مستور، ولما مات سلطانهم، وتضعضعت أركانهم، وانقض أمرهم وانفض، وبغى بعضهم على بعض، فقطعت منهم الرؤوس الكبار، ولم يبق فيهم إلا رؤوس صغار، فنثر الزمان نظامهم، وسام التبدد ملكهم وشامهم، مع أنهم في الصور ربيع وفي المعاني جمادى، يرمون بواحدة وهي أنهم يبيتون جميعاً ويقومون مثنى وفرادى، لا جرم تفرقت أيادي سبا أحزاب تلك الزمر، فاشتغل جيشه فيها بالمحرم، فباض لما خلا له

الجو وصفر، ولو كان بينهم اتفاق لفتوه فتاً، وبددوا شمله وبتوه بتاً، ولكنهم ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾{سورة الحشر-}14 ومع اتساق نظامهم، وتسديد سهامهم، وقوة نطاحهم، وشدة كفاحهم، وشدة رماحهم، وكونهم ظهر الحاج، وأسود الهياج، أنى لهم نظام عساكرنا، وقوة القيام بتظافرنا وتناصرنا؟ وكم تفرق بين من تكفل بأمر الحفاة العراة، وبين من تحمل إصر الكماة الغزاة، فإن الحرب دأبنا، والضرب طِلابنا، والجهاد صنعتنا، وشرعة الغزاة في سبيل الله تعالى شرعتنا، إن قاتل أحد تكالباً على الدنيا، فنحن المقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا، رجالنا باعوا أنفسهم وأموالهم من الله بأن لهم الجنة فكم لضرباتهم في آذان الكفار من طَنَّة، ولسيوفهم في قلانس القوانس من رَنَّة، ولنون قِسِيِّهم في خياشمهم بني الصليب من غنة، لو سُمْنَاهم خوض البحار خاضوها، أو كلفناهم إفاضة دماء الكفار أفاضوها، وقد أطلوا من صياصيهم على قَلْع قلاع الكفار وأخنوا عليها، وأمسكوا بعنان أفراسهم فكلما سمعوا هيعة طاروا إليها، لا يقولَون لملكهم إذا غمرهم في البلاء والابتلاء إنا هاهنا قاعدون فاذهب أنت وربك فقاتلا ومعنا من الغزاة مشاه، أفرس من فوارس الكماة، أطبارهم باترة، وأظفارهم ظافرة، كالأسود الكاسرة، والنمور الجاسرة، والذئاب الهاصرة، قلوبهم بِوِدادنا عامرة، لا تخامر بواطنهم علينا مخامرة، بل وجوههم في الحرب ناضرة ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾{القيامة-23 }وحاصل الأمر أن كل أشغالنا، وجُل أحوالنا وأفعالنا، جم الكفار ولمّ الأسرى وضم الغنائم، فنحن المجاهدون في سبيل الله الذين لا يخافون لومة لائم، وأنا أعلم أن هذا الكلام يبعثك إلى بلادنا انبعاثاً، فإن لم تأت تكن زوجاتك طوالق ثلاثاً، وإن قصدت بلادي وفررتُ عنك ولم أقاتلْك البتة، فزوجاتي إذ ذاك طوالق ثلاثاً بته، ثم أنهى خطابه".

ملحق رقم (٦)

خطبة تيمور لنك لجنودة قبل معركة انقرة 1402م

Timur Leng's Sermon to his Soldiers Before the Battle of Ankara 1402

نقلا عن:-

Doukas، M.، Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks، P.92 .

" my assembled troops and invincible army، adamantine in nature، a stalwart wall، and of anindomitable breed You have heard of the heroic exploits performed from the beginning by our fathers، not only in the East for this is also our fatherland but also in Europe and Libya and، in a word، throughout the whole world، You know full well the expedition undertaken by Xerxes and Artaxerxes against the Greeks، I say–those heroic men and demigods، Compared to them these half–Greek and half–Turkish barbarians are like the locust to lionsIt is not to give you courage that I recall these feats for the prey is already in our hands، Let not this bugbear escape from our handsCapture it whole and uninjured so that we may take it back to Persia where we will exhibit it to our children and teach it not to demand that we abjure our wives، Now

I wish this great field which lies before us to be surrounded Let the right wing be led forward in a circling maneuver and also the left wing Encircle the whole plain and let the enemy be enclosed in the middle like the center of the polar axis " .

الترجمة

" قواتي المجمعة وجيشي الذي لا يقهر، أنتم الصامدون بطبيعتهم، والأقوياء مثل الجدار المتين، ومن سلالة لا تقهر، لقد سمعت عن المآثر البطولية التي تشكلت منذ البداية بواسطة أبائنا، وليس فقط في الشرق بل أيضا في أوروبا وجميع أنحاء العالم بأثره، أنتم تعرفون تماما الحملة التي قام بها إكسركسيس(1) على بلاد اليونان والإغريق مقارنة بهؤلاء البرابرة نصف اليونانيين ونصف الأتراك يشبهون الجراد الأسود، لا تدعوا هذا البغيض يهرب من أيدينا التقطوه وغير مصاب حتى نتمكن من إعادته إلى بلاد فارس حيث نعرضه على أطفالنا ونعلمه ألا يطلب منا نبذ زوجاتنا، أتمني أن نحيط به في ساحة المعركة الكبيره التي أمامنا، دع الجناح الأيمن يقود إلي الأمام في لعبة مناورة دائرية وكذالك الجناح الأيسر قوموا بتطويق السهل بالكامل، ودع العدو محاطا في الوسط مثل مركز المحور القطبي، ثم يبدأ الجناحان إحداهما من اليمين والأخر من اليسار في تطويق المنطقة المحيطة، بينما كان الصباح ما يزال مبكرا ".

---

1 ـ إكسركسيس Xerxes I هو ملك فارسي من سلالة الأخمينيين ولد في عام 518 ق.م،وحكم بلاد فارس في عام 485ق.م بعد ابوه الملك داريوس Darius I، وقد حاول غزو اليونان وعندما حشد قواته، والتي بلغت أكثر من عشرة ألاف فارس، وتوغل في جنوب بلاد اليونان كان عليه أن يجتاز الجبال عبر ممر ثرموبيلاي Thermopylae، والذي كان مكلف بالدفاع عنه ليونيدوس وفرقته البالغة ثلاثمائة محارب أسبرطي، وذلك في عام 480 ق. م، وقد نجح القائد الأسبرطي في الصمود فترة طويلة أمام الهجوم الفارسي الشرس، وعلى الرغم من مقتل ليونيدوس ورجاله جميعا في تلك المعركة، إلا أنه ظل رمزا للبسالة والقتال حتى الموت، وقد عاد إكسركسيس إلي بلده فارس وانصرف بحياته العابثة مهملا شؤون الحكم حتي قتل علي يد رئيس حرسه ارتابانوس Artabanusعام465 ق.م. انظر:

ياسر مصطفى عبد الوهاب: الحروب الصليبية في الشرق الإسلامي،

(1)الإمبراطور البيزنطي مانويل الثاني
(١٣٩١-١٤٢٥م)

(2) لوحة تظهر وقوع السلطان العثماني بايزيد الأول في أسر القائد المغولي تيمورلنك

(3) السلطان العثماني مراد الأول

(1326-1389م)

بيان بالمختصرات الوارد ذكرها في هوامش الكتاب

C.M.H.	Cambridge Medieval History
C.S.H.B.	Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae
D.O.P.	Dumbarton Oaks Papers
J.C.S.	Journal of Croatian Studies
J.H.S.	Journal of Hellenic Studies
O.C.A.	Orintalia Christians Analecta
.O.D.B	Oxford Dictionary of Byzantium Oxford University

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصادر الأجنبية: -

1. Asikpasaoglu. ، "- Asikpasaoglu Tarihi",Hazirlayan,H. Nihal Atsiz,Ankara,1985.
2. Cantacuzenus ، J. ، - Historiarum,CSHB,ed.by Ludwig Schopeni,3Vols,Bonnae,1829 ، Partial EnglishTrans ، The Hostory of John Cantacuzenus (BookIV): Text ، Transalation ، and Commentary ، ed.by. Miller ، T. ، America.1975 ،

Caesaris ، S.R.E.,Annales Ecclesiastici de nuo et accurate excusi ، .3 Tomus XV ، 1334-1355 ، Paris,1880 ،

4. Chalcocondyles ، L. ، - Historiarm Liber Decem,CSHB ، ed.by. B.G. Niebuhril ، Bonnae ، 1841.partial English Trans ، Laonikos Chalkokondyles: ATranslation and Commentary of the"Demonstration of Histories (Book I-III)" ، ed.By. Nicoloas Nicoloudis ، Athens,1996.
5. Charanis ، P. ، -" An Important Short Chronicle of the Fourteenth Century",in Byzantion,Vol.XIII,Bruxelles,1938.

.6 -The Strife Among the Palacologi and the Ottoman Turks,1370-1402 ، in Byzantion,Vol.XVI,Boston,1942-1943.

7. Clavigo ، - Embassy to Tamerlane,1403-1406,tr. form the Spanish by Guy Lestrang,first published,London,1928.
8. Dolger ، F. ، - Regesten Der Kaiserurkunden Des Ostromichen Reiches Von 565-1453 ، Regesten Von 1341-1453,Teil.5. Berlin,1965.
9. Doukas ، M. ، - Decline and Fall of Byzantium to the Ottoman Turks,Tr.

From"Historia Turco - Byzantion "by Harrry J. Magoulias,Wayne State University,1975.

10. Emmanuel Piloti، Traite` dEmmanuel Piloti Sur Le Passage en Terre Saint (1420)، ed. P. H. Doop، Publication de LÙiversite` Lovanium de Lèopoldville، (Louvain، 1958),

Froissart,j، Chronicle of Froissart,Trans by John Bouchier,Lord Berners .11 edited by Macaulay,G.,London 1930,

12. Gregoras، N.، -Byzantinae Historiae، CSHB، ed.by. Ludwig Schopeni، I. Bekkeri، 3Vols، Bonnae,1829.

13. Le Livre des Faicts du Mareschal de Boucicaut، èd. M. Petitot، 4 Parties، (Paris، 1825)، ،

14. Schiltberger,G.، The Bondage and Travells of Johannes Trans. by.J.Buchan Telfer,London، 1879.

15. Spandoune، Th.,On The Origin of the Ottoman Emperors,Trans. by.Nicol,Cambridge، 1997،

16. SPhrantzes، G.،- Annales,1259-1477,ed.by I Bekker,Corpus Scriptorium Histoirae Byzantine,Bonne,1838.

ثانيا المصادر الأجنبية المعربة: -

1. ج. ر. جونز: - الفتح العثماني للقسطنطينية (857هـ-1453م) سبع روايات معاصرة، دراسة وترجمة وتعليق حاتم عبد الرحمن الطحاوي، دارعين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2021م.
2. دانيال الراهب: - وصف الأرض المقدسة في فلسطين للحاج الروسي دانيال الراهب 1106- 1107م، ترجمة وتعليق سعيد عبد الله البيشاوي، داود أبو هدية، دار الشروق، عمان، 2003م.
3. نيقولو باربارو: - الفتح الإسلامي للقسطنطينية يوميات الحصار العثماني 1453، ترجمة حاتم عبد الرحمن الطحاوي، طـ 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2002م.
4. **ثالثا المصادر العربية: -**
5. ابن إياس: -(أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، ت930هـ - 1533م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، جـ2، طـ1، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، 1972م.
6. ابن العماد: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ج7، بيروت، د. ت
7. ابن بطوطة: -(محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي، ت779هـ-1377م)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، جـ1، طـ1، دار إحياء العلوم، بيروت، 1987م.
8. ابن تغري بردي: (أبوالمحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، ت874هـ -1470م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جـ16-2، طـ1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1930م.
9. ابن حجر العسقلاني: (شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، ت

852هـ-1449م) إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشي، جـ2، دار الكتب المصرية، القاهرة،1970م.

10. ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الخضرمي، ت808هـ-1405م) ديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، جـ7-1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2000م.

11. ابن سباط الغربى: (حمزة بن أحمد بن عمر بن صالح، 926هـ/ 1520م) صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط، ج 2، تحقيق: عمر عبد السلام تدمرى، طرابلس - لبنان 1993م.

12. ابن الصيرفي: (علي بن دواوود بن إبراهيم، ت900 هـ/ 1495م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، 3 أجزاء، تحقيق حسن حبشي، القاهرة 1970م

13. ابن عربشاه: -(أبو العباس شهاب الدين أبو محمد أحمد بن محمد الدمشقي، ت854هـ-1450م) عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق أحمد فايز الحمصي، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،1986م.

14. الحنبلى: (عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد، ت1089 هـ/ 1679م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 7، بيروت 1931م.

15. الخطيب الجوهري: -(علي بن داود الصيرفي، ت900هـ - 1495م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، جـ2، طـ5، مطبعة دار الكتب، القاهرة،1971م.

16. الحميري: (محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، ت 900هـ/ 1495م) الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه: إحسان عباس،الطبعة الثانية،مكتبة لبنان،1984م.

17. الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، جـ1/ جـ6، طـ15، دار العلم للترجمة والنشر، بيروت،2002م.

18. العينى: (أبو محمد بدالدين، ت855هـ/ 1451م) السيف المهند في سيرة الملك المؤيد "شيخ المحمودي، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2003م.

19. القرماني: (أبو العباس أحمد بن يوسف بن احمد الدمشقي الشهير بالقرماني، ت 821هـ -1418م)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق فهمي سعد وأحمد حطيط، مج 3، طـ1، عالم الكتب، بيروت،1992م.

20. القلقشندي: -(أحمد بن علي بن أحمد، ت821هـ-1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ5، دار الكتب الأميرية، القاهرة، 1915م.

21. المقريزي: -(تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي، ت 845هـ-1442م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، أربعة أجزاء في أثنى عشر قسماً، حقق الجزئين الأوليين محمد مصطفى زيادة، القاهرة 1939 - 1942م، وحقق الجزئيين الثالث والرابع سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة1970 - 1973م.

22. ياقوت الحموي:

32. - معجم البلدان، مج٤، دار صادر، بيروت،1977م.

رابعا : المراجع الأجنبية: -

1. Alxander P.Kazhdan، -The Oxford Dictionary of Byzantium,Oxford,1992.
2. Alexander Millingen، -Byzantine Conatantinople,London,2004.
3. Alix، M.، - Precis De L'Histoire De L'Empire Ottoman,Tom.I,(Paris,1822).
4. Andriopoulou Stavroula، - "Diplomatic communication between Byzantium and the West under the late Palaiologi (1354-1453)"، PhD. Degree in the University of Birmingham، 2010
5. Anthony Goodman & James L. - Gillespie,Richard II "The Art of Kingship,(Oxford,1999).
6. Arnott، P.، The Byzantines and the World,U.S.A.,1973.
7. Atiya، A.،
.8 -The Crusade in Later Middle Ages، London,1938.
9. - The Crusade of Nicopolis ، (London 1934
10. Barker، J.W.،- Manuel II Paleologos,1391-1425، A Study in Late Byzantine Statesmanship,New Jersey,1969.
11. Barker، J.،- Turkey in Europe,New York,1877.
12. Brehier، L.،- Vie et Mort de Byzance ,Paris,1848.,and Eng. Trans.the Life and Death OF Byzantium,Trens,Lated by Margaret Vaughen,New York,Oxford,1977.
13. Browning، R.، -The Byzantine Empire، New York,1980.
14. Castellan، G.،- History of the Balkans,Tr.by Nicolas Bradley,NewYork ,1992.
15. Celik، S.، -Manuel II Palalologos (1350-1425) A Byzantine Emperor in A Time of Tumult، New York,2021.
16. Cheyney، E.، - The Dawn of A New Era,U.S.A.,1936.
17. Cirkovic، S.، -"Between kingdom and empire; Dusans state 1346-

1355 reconsidered"، in Byzantium and Serbia in the 14th century، Athens,1996.

18. Cloud Chen، The Monogol and The Near East، In Setton,K.M A History of the Crusades، 1969، voll.2، pp.711-722.
19. Curry، A.، -The Cambridge History of War، Vol.II، Cambridge,2020.
20. Cydones، D., -Correspondence,ed.by. R.J. Loenertz، Vol.II، Vatican City,1956-1960
21. David Morgan، The Monogol، (Oxford، 1945), De La ville Le Roulx، La France en Orient au XIVe Siècle، (Bibiotheque des Ecoles Francasies dAthènes et de Roma، Sèr. I، Xliv - XLV)، 2 Vols، (Paris، 1885-1886),
22. Dennis، G.، -The Reign of Manuel II Paleologos in Thessalonica,"1383-1387",OCA,Roma,1960,PP.11-55.
23. -The Leatters Of Manuel II Palaeologus,Harvard University 1977
24. Dereksen، D.، - The Crescent and the Cross,New York,1964.
25. Dersca، A.، - La Campagne de Timur en Anatolie,1402,London,1977. Edward S.، ,History of the Ottoman Turks,Beirut,1968,
26. Emmenul، B.، - Histoire de LEurope,Pairs,1945.
27. Fine، J.، - The Late Medieval Balkans,America,2000.
28. Gautier، P.، - Un Recit Indit Du Siege De Consantinole par Les Turcs 1394-1402,Revue Des Etudes Byzantines,Tom.XXXIII,Pairs,1965.
29. Gibbons، H.، - The Foundation of the Ottoman Empire: Ahistory of the Osmanlis up to the Death of Bayezid I,1300-1403,Oxford,1916.
30. George L. Williams.، Papal Genealogy: The Families and Descendants of the Popes,London,2004.
31. Greasy، E.، -History of the Ottoman Turks,Beriut,1968.
32. Gregory E.T.، A History of Byzantium، Blackwell، 2005
33. -Turey and the Balkans,U.S. A,1928.
34. Grousset، R.، -L'Empire Du Levant,Paris,1946.
35. Hammer، V.، -Histoire De LEmpire Ottoman ,Tr .by. J. Hellert، Tom.I، Paris، 1841-1853.

36. Hearsy، J.، - City of Constantines 324-1453,Dufour Philadelphia,1966.

37. Hidden، A.، -The Ottoman Dynasty,New York,1912.

38. Idem.،

39. -The Crusade of Nicopolis,London,1934.

40. Inalick، H.، -The Emergence of the Ottoman ,Vol.IV,Part.1 Cambridge,1977.

41. -The Ottoman Empire: the Classical Age,1300-1600,London,1973.

42. Jackson، G.، -Women Rulers Throughout the Ages,Anillustrated guie,Califrnia، 1999.

43. Jean Paul Roux، Tamerlan، (Paris,1999),

44. John H.,Rosser، Historical Dictionary Of Byzantium,

45. Jonathan Harris، -The Lost World of Byzantium، Yale Univrsty Prees New Haven and London,p,2015,

46. Kate,F.، Turks، Mamluks,and Latin Merchants: Commerce,Conflict,and Coopertion in The Estern Mediterranean,in Byzantines,Latin,and Turks in The Estern Mediterranean Worldo after 1150,ed. Jonathan Harris، Oxford Uiniersity Press,2012),

47. Kelly، J.N.، - Oxford Dictionary of Popes,Oxford,1996.

48. Kelly Devries، The Lack of a Western European Military Response to the ottoman Invasions of Eastern Europe from Nicopolis (1396) to Mohács (1526)، J.M.H، Vol.63، No.3 (Jul.,1999)، PP.539-559.

49. Kielty، B.، - La Chute de Constantinople,paris,1961.

50. Lavallee، T.، - Histoire,De L'Empire Ottoman,Paris,1855.

51. Lebeau.، - Histoire du Bas- Empire,paris,1885.

52. Liddle، R.، - Byzentium and Istanbul,London,1958.

53. Lodge، E.، -The End of the Middle Age,1273-1453,London,1928.

54. Loenertz (R.)، "La Premiere Insurrection، Andronic IV Paleologue (1373) at Echo DOrient,TomXXXVIII، Bucarest,1939

55. Mazower، M.، - Salonica City of Ghosts,1050-1453,NewYork، 2005.

56. Melvani، N.، -The Tombs of the PalaiologanEmperors، B.M.G.S.، Vol.42، Tom.2، Istanbul,
57. 2018، PP.237-260.
58. Michaud.، - Histoire des Croisades,Tom.III,Paris,1849.
59. Miller، w.، -The Balkans,Romania,Bulgaria ,Servia and
60. Montenegro,NewYork,1899.
61. -The Last Athenian Historian Laonikos Chalkokondyles,J.H.S.,Vol.,XL II,1922.
62. Necipoglu، N.، - Byzantium Between the Ottoman and the Latins، Cambridge، 2009.
63. Neville، L.، -Guide to Byzantine Historical Writing,Cambridge,United Kindom ,2018.
64. Nicol، D.، -The Last Centuries of Byzantium ,1261-1453,Cambridge,1996.
65. -The Reluctant Emperor: Abiography of John Cantacuzene Byzantine Emperor and Monk ,1295-1383، Cambridge,1996.
66. - Nicopolis 1396: The Last Crusade، (Osprey Publishing,1999).
67. Nicholas Melvani، The tombs of Palaiologan emperors,Byzantine and Modern Greek Studies 42(2) pp.237-260.
68. -Abiographical Dictionary of the Byzantine Empire,London,1991.
69. O.D.B.، -The Oxford Dictionary of Byzantium,3Vols,NewYork,Oxford، 1991.
70. Oikonomides، N.، -John VII Palaeolgos and I vory Pyxis، at Dumbartonoaks، Dop,Vol. XXXI، Columbia، 1977.
71. Ostrogaskey، G.، -History of the Byzantine State ,New York,1957.
72. "-The Palaeologi ",in Camb. Med. Hist، Vo1.IV، Cambridge,1966.
73. Peter Jackson، The Mongols and The Islamic World,London,2017
74. Preas، E.، -The Destruction of the Greek Empire and The Story of Capture of Constantinople by the Turks ,London، 1903.

75. Rev، C.S.D.D.، - The Ottoman Turks، Colombo، 1915.

76. Richard، Mcbrien- the Pocket Guide to the Popes، Harper One، 2006.

77. Rosser، J.، - Historical Dictionar of Byzantium,U.S. A,2001.

78. Runciman، S.، -The Last Byzantine Renaissance,Cambridge,1970.

79. Schevill.، F.، - The Balkan Peninsula,New York، 1933.

80. Shaw، S.، -History of the Ottoman Empire and Modern Turkey,Vol.I,Cambridge,1979.

81. Soulis، G.، -The Serbs and Byzantium DuringThe Region of Tsar Stephen Dusan (1331-1355) and his Successors,Washington,1984.

82. Sullivan، A.، -Byzantium in Eastern European Visual Culture in the Late Middle Ages، Boston,2020.

83. Sykes,P.,A history of Persia,2vols,(London,1969)

84. Treadgold، W.، -A history of Byzantine State and Society، stanford، 1997.

85. Vasiliev، A.، -Histoire De LEmpire Byzantine,1081-1453,Tom.II، Paris,1932.

86. Waugh,W.T.، The Councils of Constance and Basel,Vol.VIII,in Camb Med، Cambridge، 1966,

87. Wenzel,M.، The Byzantium، London,1965,

88. Wittek، P.، -De La Defaite DAnkara A La Prise de Constantinople,et Revue Des Etudes Islamiques,vol.XII,1938.

89. -The Rise of Ottoman Empire,London,1958.

90. Zachariadou,A. John VII(Alias Andronicus) Palaeologus,Vo1.31,Colum bia,1977،

خامساً: المراجع العربية

1. ابراهيم على طرخان: مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة، القاهرة 1960م.
2. أحمد زيني دحلان: – الفتوحات الإسلامية جـ2، مطبعة السعادة، القاهرة، 1330هـ.
3. أحمد عبد الرحيم مصطفى: أصول التاريخ العثماني، ط1، دار الشرق، القاهرة،1982م.
4. أحمد عودات وأخرون: تاريخ المغول والمماليك، أربد، 1990م.
5. أحمد فؤاد متولي: – الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته "من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية "، القاهرة 1995م.
6. إدوارد جيبون: – اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة د. محمد سليم سالم، مراجعة على أبودرة، جـ3، دار الكتب، القاهرة، 1969م.
7. إدوارد شيفرد كريسي: – تاريخ الأتراك العثمانيين، ترجمة أحمد سالم سالم، طـ1، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، الدوحة، 2019م.
8. إسحق عبيد: – أوروبا في العصور الوسطي المفهوم والحضارة، جـ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٦م.
9. – الدولة البيزنطية في عصر باليولوغوس (1282–1261م)، مطبعة دار الكتب، بيروت، د.ت.
10. أسد رستم: الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، جـ2، طـ1، دار المكشوف، بيروت،1956م.
11. إسماعيل أحمد ياغي: –الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، طـ2، الرياض،1998م.
12. إسماعيل سرهنك: – تاريخ الدولة العثمانية، مراجعة حسن الزين، دار الفكر الحديث، بيروت،1988م.
13. – حقائق الأخبار عن دول البحار، جـ1، طـ1، المطبعة الأميرية، القاهرة،1312هـ.
14. أسمت غنيم: – الإمبراطورية البيزنطية، الأسكندرية،1995م.
15. اكرم حسن العلبى : تيمور لنك وحكايته مع دمشق، دمشق 1987م.

16. أميرة محمد محمود نافع: - العثمانيون وأوروبا (805-753 هـ/ 1402-1352م)، ط1، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،2014م.

17. أوزتونا يلماز: - موسوعة تاريخ الإمبراطورية السياسي والعسكري والحضاري، ترجمة عدنان محمود سليمان، مج1، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت،2010م.

18. الأمين أبو سعدة: - الأمين أبو سعدة: بيزنطة في الملاحم العربية، قراءة في سيرة الأميرة ذات الهمة، مجلة كلية الأداب جامعة حلوان، العدد التاسع والعاشر، 2001م.

19. الشيماء سيد كامل: نظم الحكم والإدارة في الدولة الجغتائية في تركستان الشرقية(771-624ه/ 1369-1227م)، مجلة الدراسات العربية، كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مجلد 34، العدد4، يوليو2016م، ص1988-1935

20. أومان: - الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة مصطفى طه بدر، القاهرة، 1992م.

21. أيه سعد الدين:أورخان غازي، دار اكتب للنشر والتوزيع،2014م

22. بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الصغرى، ترجمة: أحمد سليمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1958م

23. تيسير جبارة :

24. -تاريخ الدولة العثمانية، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا جامعة القدس المفتوحة، فلسطين ط1 2015

25. جوزيف داهموس: - سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، ط2، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة،1989م.

26. جوزيف نسيم يوسف: - العدوان الصليبي على مصر، دار الكتب الجامعية، الإسكندرية، 1969م.

27. جون باتريك كينروس: - القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، ترجمة ناهد إبراهيم دسوقي، دار المعارف، الإسكندرية،٢٠٠٢م.

28. حاتم عبد الرحمن الطحاوي: - بيزنطة والمدن الإيطالية العلاقات التجارية-1081 1204م، القاهرة، 1998م.

29. - معركة أنقرة 804 هـ 1402-م مقدماتها ونتائجها، مجلة كلية الأداب جامعة

الزقازيق، مايو2001م.
30. حسنية بن عريبي: العلاقات الخارجية لدولة المماليك: المماليك والدولة العثمانية 1517-1388م، المجلة الليبية للدراسات، العدد 7، 2014م، ص210-185
31. حسن كريم : موسوعة تاريخ ايران السياسي، الدار العربية للموسوعات، بيروت ـ 2008
32. حسين كوكتشة وآخرون: السلاطين الأوائل" عصر سلاطين الدولة العثمانية"، ترجمة: سمير عباس، دار النيل للطباعة والنشر، القاهرة 2016م.
33. حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة 2004
34. حضرة عزتلو يوسف بك آصاف: - تاريخ سلاطين بنى عثمان، تقديم محمد زينهم محمد عزب، طـ1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.
35. حفظ الله ناصر عبد الله مصلح: تيمورلنك وشخصيته السياسية والعسكرية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق 2009م، ص191.
36. خليل أفندي مطران: - مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام، مصر، 1897م.
37. خليل إينالجيك: -تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، بنغازي، 2002م.
38. خليل بن ميخائيل البدوي: - كشف المكتوم في تاريخ آخر سلاطين الروم، أملاه عليه بالفرنسية الأب دي كوبيه اليسوعي، مطبعة الأباء، بيروت، 1890م.
39. دونالد نيكول: معجم التراجم البيزنطية، ترجمة وتعليق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2003م.
40. روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، ج١، ط١، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٩٣م
41. روبير مانتران: -تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، جـ1، طـ1، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة،1993م.
42. زبيدة عطا: - بلاد الترك في العصور الوسطى بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت.
43. -الدولة البيزنطية رؤية تاريخية، دار الفكر العربي، القاهرة،2006م.

44. ستيفن رنسيمان: -تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، جـ3، دار الثقافة، بيروت،1980م.

45. سعيد عبد الفتاح عاشور:

46. - قبرص والحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2002م.

47. - العصر المماليكى في مصر والشام، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة 1965م.

48. سعد الغامدي: - الياسا دراسة نقدية تحليلية واستنتاجية، مجلد37، مجلة كلية الآداب، الإسكندرية 1990م، ص137-74.

49. سهير محمد مليجي علي: - مدينة أبيدوس البيزنطية حتى سقوط القسطنطينية عام1402م، المؤتمر الدولي السنوي الثالث لقطاع الدراسات العليا والبحوث، مج١، المؤتمر الثالث، جامعة عين شمس - كلية البنات لآداب والعلوم والتربية، أسوان، ٢٠١٩م.

50. سهير نعينع: - الحروب الصليبية المتأخرة "حملة بطرس الأول لوسينيان على الإسكندرية 747هـ/ 1365م"، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة 2002م.

51. سيد محمود سيد محمد: - تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار، طـ1، مكتبة الآداب، القاهرة،2007م.

52. شعبان طرطور: - الدولة الجلائرية، دار الهداية للطبعة والنشر والتوزيع، القاهرة،1987م.

53. صلاح ضبيع: - العلاقات السياسية بين العثمانيين والإمبراطورية البيزنطية في عهد آل باليولوجوس 1453-1261م، طـ1، المكتب العربي للمعارف، القاهرة،2009م.

54. طالب محيبس حسن: -هزيمة العثمانيين في أنقرة 1402م" دراسة في مقدمات الصدام التتاري العثماني ومجريات الحرب" مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد 4، 2008م، ص169-141.

55. طارق منصور: - القسطنطينية في الكتابات الصليبية 1402-1096م، دراسة تحليلة للرؤي الصليبية لمدينة قسطنطين، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب جامعة القاهرة، ال عدد29، يناير 2006م.

56. عبد الباسط على الفاخوري: – تحفة الأنام مختصر تاريخ الإسلام، ط1، شعبة المعارف، بيروت،1902م

57. عباس أقبال: تاريخ المغول منذ حملة جينكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة: عبد الوهاب علوب، المجمع الثقافي أبو ظبي 1420هـ/ 2000م

58. عزيز سوريال عطية: – العلاقات بين الشرق والغرب تجارية– ثقافية– صليبية، ترجمة فيليب صابر سيف، مراجعة أحمد خاكي، ط1، دار العلم العربي، القاهرة، 1972م.

59. على أحمد السيد: الخليل والحرم الإبراهيمى فى عصر الحروب الصليبية (1187–1099م/ 583–492هـ) دار الفكر العربى، الطبعة الأولى، القاهرة، 1418هـ/ 1998م

60. علي خليل أحمد: – الدولة العثمانية في سنوات المحنة، ط١، دار الحامد للنشر، عمان،2011م.

61. على بن صالح المجيد: إمارة قرمان ودورها السياسي في آسيا الصغرى خلال العصر المملوكي(888–654ه/ 1483–1256م)، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 55، ربيع الثاني 1433ه، ص 328–261.

62. فضل شلق ورضوان السيد: العلاقات العثمانية –البيزنطية، مجلة الإجتهاد، عدد41، دار الإجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت 1999

63. قاسم عبدة قاسم: عصر سلاطين المماليك، التاريخ السياسي والاجتماعي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 1999م

64. كات فليت: – التجارة بين أوروبا والبلدان الإسلامية في ظل الدولة العثمانية، تعريب أيمن الأرمنازي، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض،2004م.

65. كارل بروكلمان: – تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم، بيروت 1968م.

66. ليلي عبد الجواد إسماعيل: علاقة الدولة البيزنطية بسلطنة المماليك(659–784هـ/ 1382–1261م)، مجلة كلية الآداب– جامعة القاهرة، عدد1986،47م، ص131–57.

67. مبارك محمد الطراونة: الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة، المكتبة الوطنية، الأردن، 2010م.

68. مبروكة كامل: سالونيك " المدينة الثانية في الإمبراطورية البيزنطية"(1204-1284م)، نورحوران للدراسات والنشر، دمشق2021م.

69. مفيد الزيدي: موسوعة العصر العثماني، دار أسامة، عمان 2003.

70. محمد أحمد الثقفي: - زواج السلاطين العثمانيين من الأجنبيات وأثره في إضعاف الدولة العثمانية، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة أم القري، مكة المكرمة ١٤٣١هـ-١٤٣٢هـ.

71. محمد أسد الله صفا: -تيمور لنك (أعلام الحرب)، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت،1990م.

72. محمد أنيس: -الدولة العثمانية والشرق العربي 1914-1514م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،1981م.

73. محمد الشوربجي:ابن الصيرفي "حياته ومؤلفاته التاريخية، معهد المخطوطات العربية، 2019م.

74. محمد جميل يهيم: - فلسفة التاريخ العثماني، دار صادر، بيروت، 1925م.

75. محمد زايد عبد الله: مصادر تاريخ العصور الوسطى (التاريخ البيزنطي)، ط1، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2015م.

76. محمد سالم الرشيدي: - محمد الفاتح، ط2، دار البشير للثقافة، القاهرة،٢٠١٣م.

77. محمد سهيل طقوش: - تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ط3، دار النفائس، بيروت، 2013م.

78. - تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، دار النفائس، بيروت 2007م.

79. محمد عبد النعيم عبده: - مذابح تيمورلنك ضد المسلمين في بلاد الشام سنة 803ه/ 1401-1400م دوافعها وأحداثها ونتائجها، حوليات المؤرخ المصري، إبريل 2016م، ص127-9.

80. محمد عثمان عبد الجليل: - ابيروس وسياستها الخارجية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، 1997م.

81. محمد فتحي الشاعر: - السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في القرن السادس الميلادي "عصر جوستنيان"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1989م.

82. محمد فريد بك: - تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط1،

دارالنفائس، القاهرة، 1896م.

83. محمد فوزي رحيل: نهاية الصليبيين: فتح عكا، دار عين للبحوث والدراسات الإنسانية، القاهرة 2009م.

84. محمد مؤنس عوض: -الإمبراطورية البيزنطية دراسة في تاريخ الأسر الحاكمة، ط1، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،2007م، ص441.

85. محمود سعيد عمران:

86. - معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،2000م.

87. -المغول وأوربا، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، 1996م.

88. محمود شاكر: - التاريخ الإسلامي العهد العثماني، جـ8، طـ٤، المكتب الإسلامي، بيروت،2000م.

89. محمود محمد الحويري: - تاريخ الدولة العثمانية في العصورالوسطى، طـ1، المكتب المصري للتوزيع المطبوعات، القاهرة،2002م.

90. منجم باشي أحمد: جامع الدول- تاريخ الدولة العثمانية(1083-698هـ/ -1299 1672م)، تحقيق أحمد أغير أقجة، جـ1، طـ1، دار الكتب العلمية، بيروت،2020م.

91. موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق عصام محمد الشحادات، ط1، دار بن الحزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،2002م

92. موريس كين: -حضارة أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة قاسم عبده قاسم، دارعين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، القاهرة،2015م

93. ميشيل بالار: -الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، ترجمة بشير السباعي، دار عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٣م

94. ناهد عمر صالح: -الاتحاد الكنسي في عهد الإمبراطور يوحنا الخامس باليوجولوس (1376-1354)، مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥م.

95. -ثورة أندرنيقوس الرابع باليولوجوس ضد أبيه عام ١٣٧٦م، بحث منشور في مجلة البحث العلمي، يصدرها كلية البنات الأداب - جامعة عين شمس، العدد العشرين،

٢٠١٩م.
96. نيقـولا فاتان: – صعود العثمانيين 1451–1362م، ترجمة بشـير السـباعي، جـ1، طـ1، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، 1993م.
97. هاسـكنز: نشـأة الجامعات في العصورالوسـطى، ترجمة جوزيف نسـيم يوسـف، طـ1، الإسكندرية، 1971م.
98. هاملتون جب وهارولد باون:
99. المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد إيبش، جـ1، طـ١، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، 2012م.
100. هايد: – تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة أحمد رضا محمد، جـ2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1994م.
101. وسام عبد العزيز فرج: – الألقاب والمناصب الحكومية في بيزنطة بين الاستمرار والانقطـاع، الجمعيـة المصريـة للدراسـات اليونانيـة والرومانيـة، الكتـاب الثانوي الثالث، القاهرة،1998م.
102. ول ديورانت: – قصة الحضارة، مج2، ترجمة محمد بدران، القاهرة، 2001م.
103. ياسر مصطفى عبد الوهاب:
104. – الحـروب الصليبية على الشـرق الإسـلامي عصر الدولـة المملوكية، مكتبة دار الشروق – الكويت – 2024 م
105. – الشـرق الإسـلامي فـي السياسـة الأوروبيـة أواخـر العصـور الوسـطى، مجلـة دراسات، دولة الإمارات العربية المتحدة، العدد46 ، 2023م.
106. – الدعم الأوروبي للإمارات الصليبية في بلاد الشام، مكتبة دار الشروق، الكويت 2022م
107. – محـاولات التحالف العثماني المملوكي العثماني المملوكي ضد المغول وأثره علـى بيزنطة (–1388 1402م/ 804–790هـ)، المؤتمر الدولي الخامس، جامعة قناة السويس، مارس 2013م، ص818–798.
108. سادسا: الرسائل العلمية: –
109. إبتسـام محمد أحمد العرابي: – العلاقات السياسـية بيـن بيزنطة والغرب الأوربي مـن 1453–1363م، رسـالة ماجسـتير غيـر منشـورة، كليـة الآداب جامعـة كفـر

الشيخ،2018م.

110. إبراهيم مصباح عبد القوي: - السياسة الخارجية للدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور أندرونيكوس الثالث باليولوجوس (-1328 1341م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طنطا،2006م.

111. -السياسة الخارجية للدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور حنا باليولوجوس، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب - جامعة طنطا، 2009م.

112. أحمد رشاد محمد أحمد: السياسه الخارجيه للإمبراطوريه البيزنطية فى القسطنطينية، رسالة ماجستير غير منشوره، كليه الآداب، جامعه حلوان، 2002م.

113. أسماء عبد الله سيد: - التاريخ السياسي والحضاري لمدينة سمرقند في عهد تيمورلنك(1370-771م) (807هـ/ 1405م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار العلوم،جامعة الفيوم،2015م.

114. خالد عبد البديع: إمارة بني قرمان في الأناضول" دراسة في التاريخ السياسي والعسكري" 1483-1256م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب- جامعة سوهاج 2004م.

115. صلاح عماد الدين صلاح الدين محمد: - الإمبراطور مانويل الثاني باليولوج (1425-1391م) والإسلام في ضوء كتاباته الأدبية ومحاوراته اللاهوتية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة المنصورة،2017م.

116. عبد المالك ادريس: خصائص أسلوب ابن عربشاه من خلال كتابيه عجائب المقدور في نوائب تيمور وفاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، رسالة دكتوراه لم تنشر بعد، كلية الدراسات العليا، جامعة أم درمان 2010م

117. عدنان علي طه: دولة المماليك الأولى في مصر والشام في عهد السلطان الأشرف شعبان،رسالة ماجستير لم تنشر بعد، جامعة اليرموك 2001م،

118. مخلف عبد الله صالح: إمارة قرمان في السياسة المملوكية العثمانية،-654 888ه/ 1483-1256م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت الأردن،2015م

119. مظهر شهاب: تيمورلنك" عصره -حياته- أعماله"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القديس يوسف، بيروت 1981م.

120. محمد عثمان عبد الجليل: ابيروس وسياستها الخارجية، رسالة دكتوراه غير

منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا 1997م

121. مسعد سيد محمد كتبي : الإمارات التركمانية ودورها في صراع القوي الإسلامية (922-784هـ/ 1516-1382م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية بالمنصورة،2003

122. ناهد عمر صالح: السياسية الخارجية للدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور أندرنيقوس الثاني باليولوجوس(1328-1282م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب جامعة القاهرة،1999م.

123. نهى حافظ عبد المبدي: الإمبراطور مانويل الثاني باليولوجوس وسياسته الخارجية (1391 - 1425م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة سوهاج، 2008م.

124. يوسف عبد الكريم: الدولة العثمانية في عهد السلطان مراد الأول،رسالة ماجستير لم تنشر بعد، كلية التربية، جامعة تكريت 2011م

الفهرس

إهـداء 7
تقديم 9
مقدمة 11
عرض لمصادر موضوع الدراسة 17
أولا: المصادر البيزنطية: 19
حنا كانتاكيوزين John VI Cantacuzenus 19
نقفور جريجوراس Nicephorus Gregoras 21
ميخائيل دوكاس Michael Doukas 23
جورج سفرانتزيس George Sprantzes 26
لاونيكون خالكوكونديلاس laonikon chalcocondyles 29
ثانيا:المصادر العثمانية 31
ثالثا: المصادر العربية 32
الفصل الأول: بيزنطة والقوى المجاورة (1363 - 1373م/ 775-765هـ) 35
_ بيزنطة والقوي المتواجدة في الشرق الإسلامي خلال النصف الأول. 35
_ استيلاء العثمانيين على فيليبوبوليس وبداية التهديد الفعلي لبيزنطة. 35
_ تدهور الدولة المملوكية وأثره على علاقتها ببيزنطة. 35
_ظهور تيمورلنك وإحياء القوة المغولية. 35
بيزنطة والقوي المتواجدة في الشرق الإسلامي خلال النصف الأول. 37
استيلاء العثمانيين على فيليبوبوليس وبداية التهديد الفعلي لبيزنطة. 52
تدهور الدولة المملوكية وأثره على علاقتها ببيزنطة 62
ظهور تيمورلنك وإحياء القوة المغولية 65

الفصل الثاني..... 71
بيزنطة بين التدخل العثماني في مشاكلها الداخلية والتحالفات الدولية 71
• العرش البيزنطي وتدخل السلطان العثماني مراد في الصراعات الداخلية. 71
• محاولات التحالف المملوكي العثماني ضد المغول 71
• استمرار محاولات العثمانيين في إضعاف بيزنطة والتدخل في شئونها الداخلية.... 71
• استيلاء تيمور لنك على بغداد 1393م / 795هـ 71
العرش البيزنطي وتدخل السلطان العثماني مراد في الصراعات الداخلية 72
محاولات التحالف المملوكي العثماني ضد المغول 84
استمرار محاولات العثمانيين في إضعاف بيزنطة والتدخل في شئونها الداخلية 95
الفصل الثالث: حصار القسطنطينية وصراع القوى في المشرق الإسلامي 105
- بداية الحصار العثماني للقسطنطينية عام 1394م/ 796 هـ. 105
- معركة نيقوبوليس وأثرها على القوى في المنطقة 1396م/ 798 هـ. 105
- التحالف العثماني المملوكي ضد الخطر المغولي عام 1397م/ 799هـ..... 105
- حملة المارشال الفرنسي بوسيكو لفك الحصار العثماني 105
- سفارة بيزنطية لتيمورلنك تدعوه للتحالف والتصدي للخطر العثماني 105
- مانويل الثاني يقرر التوجه نحو الغرب الأوروبي أواخر عام 1399م/ 802هـ.... 105
بداية الحصار العثماني للقسطنطينية عام 1394م/ 796 هـ 106
معركة نيقوبوليس وأثرها على القوى في المنطقة 1396م/ 798 هـ. 111
التحالف العثماني المملوكي ضد الخطر المغولي عام 1397م/ 799هـ. 117
حملة المارشال الفرنسي بوسيكو لفك الحصار العثماني عن القسطنطينية 123
سفارة بيزنطية لتيمورلنك تدعوه للتحالف والتصدي للخطر العثماني..... 127
مانويل الثاني يقرر التوجه نحو الغرب الأوروبي أواخر عام 1399م/ 802هـ..... 129
الفصل الرابع: بيزنطة في الصراع العثماني المغولي المملوكي 133
- رحلة مانويل لطلب المساعدة من الغرب الأوروبي 133
- فشل المحاولة الأخيرة للتحالف العثماني المملوكي واستيلاء تيمورلنك 133
- سفارة الإمبراطور مانويل إلى تيمورلنك عارضا عليه القدوم 133

- انسحاب العثمانيين من أمام القسطنطينية. 133
- معركة أنقرة Ankara عام 1402م/ 804هـ 133
رحلة مانويل لطلب المساعدة من الغرب الأوروبي 134
فشل المحاولة الأخيرة للتحالف العثماني المملوكي واستيلاء تيمورلنك 139
سفارة الإمبراطور مانويل إلى تيمورلنك عارضا عليه القدوم 146
إنسحاب العثمانيين من أمام القسطنطينية 148
معركة أنقرة Ankara عام 1402م/ 804هـ 149
الخاتمة 165
الترجمة 182
بيان بالمختصرات الوارد ذكرها في هوامش الكتاب 186
قائمة المصادر والمراجع 187
أولا المصادر الأجنبية: - 187
ثانيا المصادر الأجنبية المعربة: - 189
رابعا : المراجع الأجنبية: - 192
خامساً: المراجع العربية 197